القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الحادية والثلاثون العدد 9707 الأحد 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 28 صفر 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9707 Sunday 27 October 2019

نبيل شعث: نسعى لانتخابات تقود إلى وحدة وطنية

بعشيقة العراقية: مدينة الأحزان والزيتون

مهرجان القاهرة السينمائي: احتفاء بالسينما العربية

انتفاضة العراق: إرادة التغيير الحتمي متواصلة 02
تحقيق: اليمن ومعضلات تطبيق اتفاق الرياض 28
كأس الخليج العربي: مستمرة وفوائدها جمة 41

لبنان: الشعب ينتفض والمنظومة تهتز

دخلت الانتفاضة الشعبية في لبنان أسبوعها الثاني بزخم يتصاعد من حيث تنوع الفئات الاجتماعية والطبقات والطوائف، وكذلك تجذر المطالب حول تغيير الحكومة ومحاسبة الفاسدين واسترداد الأموال المنهوبة وتبديل الفريق الحاكم جذرياً، إلى درجة رفع الشعار الشهير «الشعب يريد إسقاط النظام». السلطة من جانبها سعت إلى امتصاص الغضبة الشعبية عن طريق تبني ورقة إصلاحات اقتصادية والتلويح بتعديل حكومي وإقرار الموازنة بلا ضرائب جديدة، كما بادر «حزب الله» بلسان أمينه العام إلى اعتماد لغة التهديد والوعيد حول النزول إلى الشارع بعد أن طالت الهتافات شخص نصر الله. من الواضح أن النظام يهتز ولكنه يقاوم ويراهن على الزمن وحاجات الحياة اليومية لإضعاف الحماس الشعبي وكسر الانتفاضة.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

إرادة التغيير الحتمي في العراق متواصلة

أعلنت بعض تنسيقيات التظاهرات، الانتقال إلى مرحلة الاعتصام أو الاضراب المفتوح حتى تحقيق المطالب، كما حصل في مدن الناصرية والعمارة.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

حضيت تظاهرات الجمعة 25 تشرين الأول/اكتوبر، بزخم هائل من الدعم الشعبي والسياسي قياسا بتظاهرات في بداية الشهر الجاري، وذلك بعد التأييد الواسع من المنظمات المهنية والحقوقية لحق التظاهر والمطالبة بالحقوق المشروعة، ودعم بعثة الأمم المتحدة في العراق لحق العراقيين بحرية التعبير والرأي، إضافة إلى خيبة الأمل الكبيرة التي سادت الشارع العراقي من النتائج الهزيلة لتقرير اللجنة التحقيقية الحكومية التي تعاملت مع الموضوع وفق مصالح الأحزاب السياسية المتنفذة وابتعدت عن تحديد الجاني الحقيقي في سقوط ضحايا التظاهرات.

وفي اليوم الموعود لتجديد التظاهرات المطالبة بالإصلاحات والتغيير بدأ توافد المتظاهرين على ساحة التحرير منذ صباح يوم الخميس، ليس من أحياء بغداد فحسب بل ومن المحافظات الأخرى أيضا، كما شهدت عدة محافظات تجمعات مشابهة، مع نشاط واسع عبر شبكات التواصل الاجتماعي للتحشيد للتظاهرات.

وخلال التحضير للتظاهرة في ساحة التحرير وسط بغداد، برزت مواقف ومؤشرات تستحق الوقوف عندها ومنها، قيام المتظاهرين بطرد بعض ممثلي أحزاب الإسلام السياسي من ساحة التحرير عندما حاولوا وضع منصة خطابة خاصة بهم. كما تداولت مواقع التواصل الاجتماعي وقنوات محلية، أفلاما عن التجمعات مساء الخميس ونهار الجمعة تضمنت ترديد شعارات وهتافات تصف النخب السياسية بالحرامية وتطالب بالتغيير الشامل، بينما انتقدت بعض الهتافات إيران وجنرالها قاسم سليماني.

وفي تطور عن التظاهرات السابقة، فقد أعلنت بعض تنسيقيات التظاهرات، الانتقال إلى مرحلة الاعتصام أو الاضراب المفتوح حتى تحقيق المطالب، كما حصل في مدن الناصرية والعمارة.

تجدد العنف ضد المتظاهرين

وقد تحققت مخاوف الكثير من العراقيين من تجدد وقوع صدامات بين المتظاهرين والقوات الأمنية، عندما سقط بعض القتلى ومئات الجرحى من المتظاهرين برصاص القوات الأمنية لمنعهم من الدخول إلى المنطقة الخضراء وسط بغداد، مما يؤشر لإصرار القوات الأمنية على استخدام العنف رغم إعلان الحكومة توجيه عناصر الأمن بعدم استخدام العنف ضد المتظاهرين.

وقد وقعت أغلب الاصابات يوم الجمعة على جسر الجمهورية الذي يربط ساحة التحرير بالمنطقة الخضراء، عندما أطلقت القوات الأمنية بكثافة، الإطلاقات النارية والغازات المسيلة للدموع لمنع عبور المتظاهرين إلى المنطقة الخضراء.

استعدادات مبكرة

وسبقت التظاهرات، إجراءات احترازية واسعة سواء من قبل الجهات الحكومية أو الشعبية، تحسبا من تداعيات تكرار أعمال العنف التي شهدتها التظاهرات الأولى بداية الشهر الحالي.

وقد تنوعت الإجراءات الحكومية لمواجهة التظاهرات بين وعود بالإصلاحات واستعدادات عسكرية، وضغوط على الناشطين في التظاهرات والإعلام، وإجراءات أخرى.

ففي خطوة استباقية، سارع رئيس الوزراء عادل عبد المهدي، إلى إلقاء خطاب قبل يوم من التظاهرات، للإعلان عن مجموعة وعود لإصلاح حكومته تتعلق بتخفيض رواتب المسؤولين في الدرجات العليا وإجراء تعديل بالكابينة الوزارية، لمواجهة التظاهرات، تحدثت مصادر مختلفة عن قيام بعض الدوائر الحكومية باخلاء البنايات الحكومية قبل التظاهرة من المستندات، والسجلات والأجهزة المهمة ونقلها إلى أماكن بديلة للحفاظ عليها من أي محاولات تخريب، كما عمدت بعض الأحزاب إلى إغلاق مقراتها. مصادر أخرى أفادت بقيام العديد من المصارف الأهلية بنقل الأموال إلى مناطق آمنة خوفا من استغلال بعض العصابات والمسلحين للتظاهرات من أجل محاولة سرقتها.

كما قامت العديد من الدوائر الحكومية بتوزيع الرواتب على موظفيها قبل موعد التظاهرة في 25 تشرين الأول/اكتوبر، تحسبا من تدهور الأوضاع عقب التظاهرات، فيما شهدت الأسواق ومحطات تعبئة الوقود اقبالا واسعا على الشراء وسط مخاوف من تطورات وتداعيات التظاهرات.

دعم التظاهرات

ومن المؤشرات المشجعة للحراك الشعبي، صدور موقف شعبي واسع بدعم التظاهرات من الاتحادات والمنظمات المهنية وجمعيات المجتمع المدني المتنوعة والعشائر، الذين أبدوا تضامنا قويا مع مطالب المتظاهرين وأعلنوا مشاركتهم في التظاهرات، وحذروا الحكومة من تكرار استخدام العنف ضد المتظاهرين، بينما أعلنت نقابة المحامين دعمها للمطالب المشروعة للمتظاهرين وقيامها بتشكيل فريق من المحامين للدفاع عن المتظاهرين المعتقلين لدى السلطات الأمنية وتأمين إطلاق سراحهم. كما أعلنت المفوضية العليا لحقوق الإنسان، تشكيل فرق إضافية لرصد الخروقات المتوقع أن تحصل في التظاهرات.

وجاء توجيه الادعاء العام، للمحاكم والقضاة بفتح تحقيق في عمليات إطلاق النار على التظاهرات ومحاكمة العسكريين المتورطين أوضاع البلد وعجز الحكومة عن مواجهة قوى الفساد والنفوذ الأجنبي.

وعلى مستوى الاستعدادات الأمنية للتعامل مع التظاهرات، فقد أعلنت حالة التأهب القصوى في وزارة الداخلية، واتخذت قوات حفظ القانون التي تم انشاءها قبل أيام ليكون واجبها محصورا في التعامل مع التظاهرات، استعدادات مشددة لتظاهرة الجمعة. ورغم إعلان وزارة الداخلية، عدم وجود أي قطع للطرق أو الإنترنت أو فرض منع التجوال خلال ساعات التظاهرات، إلا ان مصادر إعلامية أكدت ان وزارة الداخلية منعت القنوات الفضائية من التغطية المباشرة للتظاهرات، وسمحت باستخدام «الكاميرات للتسجيل فقط»، كما تم قطع الطرق والجسور المحيطة بالمنطقة الخضراء وساحة التحرير.

وضمن الاستعدادات الأخرى لمواجهة التظاهرات، تحدثت مصادر مختلفة عن قيام بعض الدوائر الحكومية باخلاء البنايات الحكومية قبل التظاهرة من المستندات، والسجلات والأجهزة المهمة ونقلها إلى أماكن بديلة للحفاظ عليها من أي محاولات تخريب، كما عمدت بعض الأحزاب إلى إغلاق مقراتها. مصادر أخرى أفادت بقيام العديد من المصارف الأهلية بنقل الأموال إلى مناطق آمنة خوفا من استغلال بعض العصابات والمسلحين للتظاهرات من أجل محاولة سرقتها.

كما قامت العديد من الدوائر الحكومية بتوزيع الرواتب على موظفيها قبل موعد التظاهرة في 25 تشرين الأول/اكتوبر، تحسبا من تدهور الأوضاع عقب التظاهرات، فيما شهدت الأسواق ومحطات تعبئة الوقود اقبالا واسعا على الشراء وسط مخاوف من تطورات وتداعيات التظاهرات.

دعم التظاهرات

ومن المؤشرات المشجعة للحراك الشعبي، صدور موقف شعبي واسع بدعم التظاهرات من الاتحادات والمنظمات المهنية وجمعيات المجتمع المدني المتنوعة والعشائر، الذين أبدوا تضامنا قويا مع مطالب المتظاهرين وأعلنوا مشاركتهم في التظاهرات، وحذروا الحكومة من تكرار استخدام العنف ضد المتظاهرين، بينما أعلنت نقابة المحامين دعمها للمطالب المشروعة للمتظاهرين وقيامها بتشكيل فريق من المحامين للدفاع عن المتظاهرين المعتقلين لدى السلطات الأمنية وتأمين إطلاق سراحهم. كما أعلنت المفوضية العليا لحقوق الإنسان، تشكيل فرق إضافية لرصد الخروقات المتوقع أن تحصل في التظاهرات.

وجاء توجيه الادعاء العام، للمحاكم والقضاة بفتح تحقيق في عمليات إطلاق النار على التظاهرات ومحاكمة العسكريين المتورطين وإطلاق سراح المعتقلين من المتظاهرين، ليشكل دعما للتظاهرات وردعا للعسكريين الذين قد يورطهم قادتهم بإطلاق النار على المحتجين. وقد شجع الادعاء العام في تحركه، موقف بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق «يونامي» التي اتهمت السلطات العراقية بالإفراط في استخدام القوة ضد المحتجّين.

مواقف مناوءة

وتأكيدا على عدم ارتياح عدد من الفصائل المسلحة للتظاهرات، فقد شن قادة الأحزاب الشيعية في الحكومة والبرلمان حملة تشكيك وتخوين للحراك الشعبي ودوافعه ومن يقف وراءه، فيما شكك بعضها بعودة التظاهرات مجددا، ومن ذلك تأكيد القيادي في ميليشيا سرايا الخراساني حامد الجزائري، في لقاء تلفزيوني، ان «تظاهرات يوم 25 تشرين الأول التي يجري التحشيد لها لن تحدث» مدعيا ان «أجندات خفية تقف خلف تلك الدعوات» نافيا علاقة ميليشياته أو فصائل الحشد بعمليات قنص المتظاهرين أو اقتحام المؤسسات الإعلامية وتهديد الصحافيين.

وحذرت كتائب حزب الله العراقية من ان «على محور الشر الأمريكي معرفة أن الفتنة التي يعملون على تأجيجها وإضرام نارها ستحرقهم وتمزق جمعهم» مدعية وجود «مخطط لمحور الشر الأمريكي الصهيوني السعودي في العراق» حسب قولها. وبالتناغم مع هذا الخطاب حذر قائد شرطة البصرة الفريق رشيد فليح، بان «تظاهرات يوم الجمعة لا تخلو من أجندات خارجية تحاول العبث بالمحافظة».

وكانت اتهامات اثيرت بمسؤولية بعض الميليشيات المقربة من الحرس الثوري الايراني، عن قمع التظاهرات من خلال قنص المتظاهرين والأجهزة الأمنية خاصة وان الحكومة العراقية نفت قيامها بهذه العملية.

ومما لا شك فيه، ان العراق مقبل على مرحلة خطيرة مفتوحة على كل الاحتمالات، حيث ان تجدد انتفاضة الشعب وتصاعدها، هو بمثابة رفض الوعي الجمعي لتضليل أحزاب السلطة، أو استمرار نهب ثروات الوطن وحرمان الشعب منها تحت شعارات الدين أو القومية أو المحاصصة وغيرها من الشعارات التي كانت غطاء لاستمرار هيمنة حيتان الفساد المستقوية بالأحزاب والميليشيات والدعم الأجنبي.

العراقيون اقتنعوا بأن تضحياتهم التي عمدوها بالدماء الغزيرة التي سالت بأوامر من قوى الفساد والتبعية، لن يكون ثمنها سوى التغيير والإصلاح الحقيقي الذي يلبي طموحات وحاجات الشعب وليس إطلاق الوعود والالتفاف على مطالبه المشروعة. ولذا فالمؤكد ان معركة الإرادات بين الشعب وقوى الفساد والتبعية، لن تكون سهلة وستأخذ مديات ليست قصيرة، وسط اصرار الأطراف على مواقفها.

من ساحة التحرير

مقتل عراقيين اثنين وإصابة 26 في تجدد الاحتجاجات

قالت الشرطة ومصادر مستشفى إن شخصين قتلا في جنوب العراق وأصيب 26 في بغداد السبت في اشتباكات بين قوات الأمن ومتظاهرين خلال احتجاجات ضد حكومة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي. وتأتي الاضطرابات بعد يوم من وقوع احتجاجات عنيفة يوم الجمعة شهدت مقتل 52 شخصا على الأقل في أنحاء العراق.

ولقي محتجان حتفهما وأصيب 17 آخرون في مدينة الناصرية بجنوب البلاد. وقالت الشرطة إن مجموعة من المحتجين خرجت من تجمع يضم الآلاف في وسط المدينة لاقتحام منزل مسؤول محلي مضيفة أن الحراس فتحوا النار على تلك المجموعة بعدما أضرمت النار في المبنى.

وفي بغداد، أطلقت قوات الأمن قنابل الغاز لتفريق المحتجين بميدان التحرير. وذكرت مصادر أمنية وطبية أن خمسة من بين المصابين الستة والعشرين يرقدون في حالة خطيرة بعدما أصيبوا بقنابل الغاز في رؤوسهم مباشرة.

باختصار

فلسطين: إصابات واحتجاز صحافيين خلال تفريق الجيش الإسرائيلي لمسيرة

الأغوار الشمالية – اصيب فلسطينيان بالاختناق واحتجز عدد من الصحافيين، السبت، خلال تفريق الجيش الإسرائيلي مسيرة ضد الاستيطان في منطقة «الحمّة» في الأغوار الشمالية في الضفة الغربية. وأفاد شهود عيان أن الجيش فرّق عشرات الفلسطينيين الذين شاركوا في مسيرة باتجاه بؤرة استيطانية، احتجاجا على إقامتها على أراضيهم والاستيلاء عليها.

وذكروا أن الجيش حاصر المنطقة وأطلق قنابل غاز مسيل للدموع، ما أدى لإصابة اثنين من المشاركين بالاختناق وتم علاجهم ميدانيا.

رئيس الوزراء الجزائري الأسبق يتقدم بملف ترشحه للانتخابات الرئاسية

الجزائر – تقدم عبد المجيد تبون رئيس الوزراء الجزائري الأسبق أمس السبت، بأوراق ترشحه للانتخابات الرئاسية المقرر اجراؤها في 12 كانون الأول/ديسمبر المقبل.

وانضم تبون، الذي شغل عدة مناصب عليا آخرها رئيس الوزراء في عهد الرئيس المخلوع عبد العزيز بوتفليقة، إلى قائمة المترشحين للاستحقاق الرئاسي. وتنتهي عند منتصف ليل السبت/الأحد المهلة القانونية التي حددتها السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، لتقديم أوراق الترشح للانتخابات الرئاسية.

السودان: وفد من حركة متمردة يصل الخرطوم لأول مرة منذ 14 عاما

الخرطوم – وصل وفد قيادي من حركة «تحرير السودان» المتمردة، بزعامة منى اركو مناوي، السبت، العاصمة الخرطوم، للمرة الأولى منذ (14 عاما).

وكان محمد حسن التعايشي، في استقبال الوفد الذي يترأسه جمعة الوكيل، مساعد رئيس الحركة لشؤون الشباب والطلاب، في مطار الخرطوم.

وفي تصريحات صحافية من مطار الخرطوم، قال الوكيل إن حركته تدعم مطالب تسليم المتهمين في جرائم حرب دارفور إلى المحكمة الجنائية الدولية.

عائلات فيتنامية تخشى أن يكون أبناؤها بين ضحايا شاحنة المهاجرين في بريطانيا

هانوي – تخشى عدة عائلات فيتنامية من أن يكون أبناؤها بين الضحايا الـ39 الذين عثر عليهم هذا الأسبوع متوفين في شاحنة تبريد تنقل مهاجرين غير قانونيين قرب لندن.

وقال نغويان دين غيا، وهو والد شاب فيتنامي يبلغ من العمر 20 عاماً، إنّه تلقى اتصالاً قبل أيام لإبلاغه بأنّ ابنه توفي أثناء محاولته الوصول إلى المملكة المتحدة.

محكمة مصرية تقضي بإعدام متهم وبراءة آخر وسجن ثلاثة في قضية إرهابية

القاهرة – قضت محكمة مصرية أمس بإعدام متهم وسجن آخرين في إعادة محاكمتهم بالقضية المعروفة إعلاميا بـ«خلية الوراق».

ووفق موقع «بوابة الأهرام» عاقبت محكمة جنايات القاهرة، المنعقدة بمجمع محاكم طرة، اليوم متهم بالسجن المؤبد، واثنين آخرين بالسجن لمدة خمس سنوات وتغريمهما 2000 جنيه لكل منهما.

وقضت المحكمة بالبراءة لمتهم.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9707 الأحد 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 28 صفر 1441 هـ

اتفاق بوتين-اردوغان بين مكاسب تركيا وخسائر المعارضة السورية

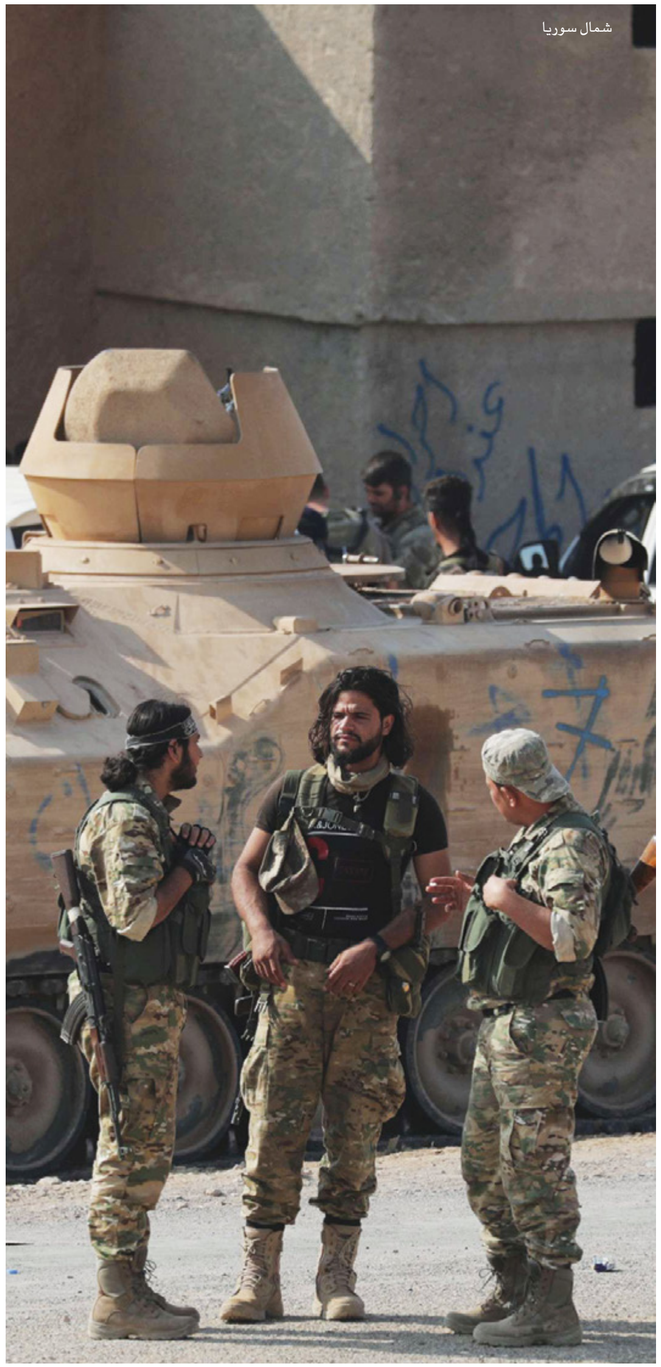
شمال سوريا

صدمة المعارضة وفصائل الجيش الوطني متعلقة بوضع منبج وتل رفعت، فمن الواضح أن أنقرة لم تتمكن من انتزاع شيء بالنسبة لهم في الاتفاق، بينما ضمنت إبعاد الوحدات الكردية.

منهل باريش

نجحت أنقرة مع انتهاء مدة 120 يوما التي يتوجب على قوات سوريا الديمقراطية خلالها الخروج من المنطقة الآمنة (منطقة عمليات نبع السلام) في ابرام اتفاق آخر مع روسيا، يوم الخميس 22 تشرين الثاني (أكتوبر) يتعلق بباقي مناطق الشريط الشريط الحدودي مع سوريا، تم الإعلان عنه من قبل وزيري خارجية البلدين، بحضور الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ونظيره التركي رجب طيب اردوغان في مدينة سوتشي، بعد لقاء بين الجانبين استمر أكثر من ست ساعات.

وينص الاتفاق على عشرة بنود أهمها التزام الجانبين على الوحدة السياسية لسوريا وسلامة اراضيها وحماية الأمن القومي التركي والإبقاء على الوضع القائم في المنطقة التي تشملها عملية «نبع السلام» بعمق 32 كلم، والتي تتضمن تل أبيض ورأس العين. وستدخل الشرطة العسكرية الروسية خارج حدود منطقة نبع السلام لتسهل خروج مقاتلي وحدات حماية الشعب وأسلحتها إلى عمق 30 كم من الحدود السورية المشتركة، خلال 150 ساعة بدأت منذ ظهر اليوم التالي لتوقيع الاتفاق (23 تشرين الأول /أكتوبر عام 2019) وتسيير دوريات روسية تركية مشتركة في غرب وشرق منطقة عملية نبع السلام بعمق 10 كم باستثناء مدينة القامشلي، التي يتقاسم النظام سيطرتها مع وحدات الحماية الكردية، وإخراج جميع عناصر الوحدات الكردية وأسلحتهم من منبج، وتل رفعت (غرب الفرات) وستبدأ جهود مشتركة لتسهيل عودة اللاجئين بطريقة آمنة وطوعية.

المكاسب الروسية

أدى قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالانسحاب من سوريا إلى تفاهم بين وحدات الحماية الكردية مع النظام السوري وإدخاله إلى عدة مواقع حدودية مع تركيا مثل عين العرب أو تسليمه نقاط شمال منبج في منطقة الدادات قرب نهر الساجور.

وبدأت موسكو بملء الفراغ الذي تسببه الانسحاب الأمريكي، بحذر وهدوء بسبب الارتباك الأمريكي والتصريحات المتناقضة في مجلس الشيوخ والرئيس والبنتاغون.

واستغلت روسيا الخشية التركية من إعادة تعويم وإنتاج الوحدات الكردية وهو ما كان يشكل هاجسا بالنسبة لتركيا وما دفع اردوغان لعقد قمة مستعجلة مع نظيرة الروسي فلاديمير بوتين نتج عنها التوصل إلى اتفاق مطمئن لتركيا ويبعد الوحدات ليس عن الشريك الحدودي بل يخرجها من أبرز معاقلها في المدن الكردية مثل عين العرب/كوباني والدرباسية وعامودا والقامشلي وأجزاء كبيرة في المثلث السوري العراقي التركي.

وركز الاتفاق على أكثر الملفات التي تعتبرها موسكو بوابة الحل السياسي في سوريا وهي ملف اللاجئين حيث ستعمل الدولتان معا لتسهيل عودة اللاجئين بطرية آمنة وطوعية والتشديد على «إيجاد حل سياسي دائم للنزاع السوري في إطار آلية أستانة وسيدعمان نشاط اللجنة الدستورية».

ونجحت روسيا بإغلاق شبه نهائي لملف منبج، وتخل تركي عن المدينة مقابل دخول الشرطة العسكرية الروسية إليها وإخراج مقاتلي الوحدات الكردية.

ويعتبر التنويه إلى اتفاق اضنة والتذكير به في نص الاتفاقية مجرد تفويض تركي لروسيا، تنازلت فيه تركيا عن حقها في «اتخاذ جميع الإجراءات الأمنية اللازمة داخل الأراضي السورية حتى عمق 5 كم» حسب الملحق الرابع من اتفاق اضنة الذي وقعه رئيس شعبة الأمن السياسي اللواء عدنان بدر الدين حسن عن الجانب السوري عام 1998 ومعاون الأمين العام لوزارة الخارجية التركية السفير أوغور زيال. وفي المقابل، وصف الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الاتفاق بانه «تفاهم تاريخي بخصوص مكافحة الإرهاب» فأنقرة تنظر إلى الاتفاق على انه أبعد مقاتلي الوحدات لمسافة 30 كم عن حدودها وهو ما لم يوفره اتفاق اضنة بنصه وملحقاته الأربعة.

وتبقى صدمة المعارضة السورية وفصائل الجيش الوطني متعلقة بوضع منبج وتل رفعت، فمن الواضح أن أنقرة لم تتمكن من انتزاع شيء بالنسبة للمعارضة في الاتفاق، بينما ضمنت إبعاد الوحدات الكردية من تل رفعت ومنبج حسب تصريح الرئيس اردوغان. وغيبت دهشة الاتفاق أصوات الكثير من قادة الفصائل وسياسييهم، فيما قال المسؤول السياسي في فرقة المعتصم مصطفى سيجري «إن من المبكر الحكم على شكل ومآلات ومستقبل شرق الفرات، والاتفاق الأخير وحسب البنود المعلنة لا يلبي آمال وتطلعات الشعب السوري، ولا معنى للمنطقة الآمنة بوجود عصابات الأسد والوحدات هم أحد أدوات وأذرع النظام في الفترة السابقة، والأسد رأس الإرهاب في المنطقة ولا يمكن القبول بوجوده».

أمريكيا، تمكن البنتاغون ونتيجة الضغط الهائل على ترامب من قبل مجلس الشيوخ والرأي العام وصناع القرار بالسماح بابقاء على 200 جندي في منابع النفط السورية لمنع النظام من الإستفادة منها، إضافة لرقابة للتحالف الدولي لتأمين ومراقبة سجون مقاتلي تنظيم «الدولة الإسلامية» ومخيمات أسرهم في شرق الحسكة. وبالطبع فإن هذا البقاء سيضمن تمديد الشراكة مع الوحدات الكردية، ما يعني انحصار الكتلة الصلبة للوحدات في شرق دير الزور والأجزاء الشرقية من محافظة الحسكة. فيما يتراجع نشاط الوحدات في المناطق التي دخل إليها النظام في الرقة والطبقة والمنطقة الممتدة جنوب طريق M4 المعروف بطريق حلب–الحسكة. وحتى تتضح خريطة الانتشار العسكري الجديدة للتحالف الدولي لمحاربة داعش، يرجح أن تخسر الوحدات أجزاء هامة من الطريق إلى جبال قنديل، معقل حزب العمال الكردستاني.

ضمنت عملية «نبع السلام» الأمن القومي التركي بكل تأكيد وحققت أنقرة ما لم تحلم به أو يستطيع اتفاق أضنة تحقيقه بما يتعلق بالوحدات الكردية، لكن نتائج العملية على المعارضة السورية وجمهور الثورة كانت كارثية باعتبارها سمحت بعودة النظام وأدخلته في المنطقة. فالنتائج العسكرية هناك سرعان ما ستترجم إلى نتائج سياسية، تحث إيران وروسيا تركيا على بدء حوار وتنسيق أمني مع النظام، وسيدفع وجود المنطقة الآمنة في جيب يحيط به النظام من ثلاث جهات إلى بدء تنسيق أمني ولو عبر الوسيط الروسي بهدف تلافي المشاكل والصدام على حدود المنطقة، وهو ما سيكون عمليا بوابة لتطبيع لاحق، سيصبح أمرا واقعا مع تراجع الدور الأمريكي.

Volume 31 - Issue 9707 Sunday 27 October 2019

حذر من احتمال مواجهة عسكرية في المنطقة

هل تعكس تحذيرات قائد الجيش الإسرائيلي حالة خطيرة أم أنها مناورة داخلية؟

الجبهة الجنوبية مع قطاع غزة لا تعدّ هادئة وقيادة الجيش الإسرائيلي تعد العدة لاحتمال قيام الجهاد الإسلامي بالعمل بصورة مستقلة أو بتوجيهات من طهران على تصعيد الأوضاع.

الناصرة–«القدس العربي»: وديع عواودة

ما الذي يقف خلف تحذيرات قائد جيش الاحتلال الجنرال أفيف كوخافي من احتمال اندلاع مواجهة عسكرية في الفترة القريبة بسبب التغييرات في منطقة الشرق الأوسط؟ هل فعلا هناك ما يدعو لهذا التحذير أم أنها محاولة للتأثير على القوى السياسية المتصارعة على الحكم في إسرائيل كي تتحد؟ أم هي محاولة لاصطياد عصفور آخر بنفس الحجر يتمثل بزيادة حصة الجيش من الموازنة العامة؟

أسئلة أشغلت أوساطا إسرائيلية تستذكر تصريحات مشابهة صدرت قبل شهر عن رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو حول وجود تهديدات خطيرة وحساسة، وقد سبقت تصريحات الرئيس الأمريكي بسحب قواته من شمال سوريا. وحذّر رئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي الجنرال أفيف كوخافي من احتمال اندلاع مواجهة عسكرية في الفترة القريبة بسبب ما أسماه «التغييرات في منطقة الشرق الأوسط» وهو ما يتطلب من الجيش التجهز للحرب بسرعة. وأشار إلى أن الوضع في الجبهتين الشمالية والجنوبية هش ومتوتر وقد يتدهور إلى مواجهة عسكرية على الرغم من أن أعداء إسرائيل لا يرغبون في خوض حرب. وقال كوخافي في تصريحات أدلى بها إلى مراسلي الشؤون العسكرية في وسائل الإعلام الإسرائيلية، إن إسرائيل تتعامل اليوم وفي الوقت نفسه مع عدد كبير من ساحات الحرب والأعداء، وإن التهديد الرئيسي الذي تواجهه يأتي من إيران وعملائها في لبنان وسوريا والعراق. لكنه أكد أن الجبهة الشمالية تشكل التحدي الاستراتيجي الرئيسي الماثل أمام إسرائيل في الوقت الحالي، وذلك على خلفية التموضع العسكري الإيراني في سوريا، ومشروع الصواريخ الدقيقة لحزب الله الذي تقوده طهران. وأضاف أن إيران تستغل أراضي دول ضعيفة غير قادرة على تطبيق سيادتها بالكامل من أجل تعزيز وجودها العسكري فيها، مشيراً إلى أن لبنان واقع في أسر حزب الله الذي قام بتشكيل جيش خاص به، فضلا عن كونه يتحكم في سياستها الأمنية من ناحية عملية. وأوضح كوخافي أنه أنهى خلال الأيام الأخيرة وضع اللمسات الأخيرة على خطة أمنية متعددة السنوات تشمل شراء معدات قتالية ذات قدرة تدميرية، وتحسين الوسائل الدفاعية للتصدي للطائرات المسيّرة في المنطقتين الشمالية والجنوبية. يُشار إلى أن إسرائيل تعتبر مشروع الصواريخ الدقيقة الموجهة تهديداً أكبر بكثير من التهديد الذي تشكله ترسانة حزب الله الحالية، نظراً إلى قدرة هذه الصواريخ على التغلب على منظومات الدفاع الجوي الإسرائيلية وعلى أن تشكل خطراً على بنيات تحتية حيوية. وقال مصدر إسرائيلي أمني رفيع المستوى الشهر الفائت إن المؤسسة الأمنية ترى أن هذا المشروع يشكّل ثاني أكبر تهديد يواجه إسرائيل بعد البرنامج النووي الإيراني. وأعلنت إسرائيل أن هذا المشروع هو بمثابة خط أحمر وأكدت أنها ستعمل لمنعه، وقامت لهذا الغرض بشن مئات الهجمات ضد القوات الإيرانية والمتحالفة مع إيران في الأراضي السورية. وكشف المحلل العسكري لصحيفة «معاريف» أن هناك توافقا داخل المؤسسة الأمنية على وجود خطر متصاعد خاصة في الجبهة الشمالية بعد الانسحاب الأمريكي المعلن. ونقل المحلل العسكري عن قيادات أمنية إسرائيلية ترجح بأن الهجمات الإسرائيلية على أهداف في سوريا ستلقى ردا إيرانيا هذه المرة. من جهته اعتبر المحلل العسكري في صحيفة «يديعوت أحرونوت» يوسي يهوشع أن تصريحات كوخافي ستترك أثرا في الحادثات الجارية من أجل تأليف حكومة إسرائيلية جديدة. وتابع «عندما يتطرق كوخافي إلى الواقع الجديد في الشرق الأوسط فهو يقصد، من بين عدة أمور، التجاهل الأمريكي للهجمات الإيرانية الأخيرة في السعودية، وتخلي واشنطن عن الأكراد في سوريا، وحقيقة أن قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني يقود إجراءات عسكرية ضد إسرائيل من دون أن يدفع ثمناً في مقابل ذلك. وعلى رأس هذه الإجراءات تعزيز التموضع العسكري الإيراني في الأراضي السورية، ومشروع الصواريخ الدقيقة لحزب الله». واعتبر كمحللين آخرين، أنه عندما يشير رئيس هيئة الأركان العامة إلى أن إيران تستغل أراضي دول ضعيفة غير قادرة على تطبيق سيادتها بالكامل من أجل تعزيز وجودها العسكري فيها، ويؤكد أن لبنان بات واقعا في أسر حزب الله، يمكن الاستنتاج أن العمليات التي قام بها الجيش الإسرائيلي ضد التموضع العسكري الإيراني في سوريا حتى الآن لن تمر من الآن فصاعداً من دون رد من طرف طهران، الأمر الذي من شأنه أن يجرّ إسرائيل إلى أيام قتالية في سوريا.

وفي رأيه في مثل هذه الحالة سيتعين على المؤسسة السياسية في إسرائيل أن تتخذ قراراً غير بسيط بتاتاً: هل يُلزم هجوم إيراني مباشر ضد أهداف إسرائيلية رداً إسرائيلياً في الأراضي الإيرانية، أو يمكن الاكتفاء بضرب أهداف إيرانية في الأراضي السورية؟

الجبهة مع غزة

كما اعتبر أن الجبهة الجنوبية (مع قطاع غزة) لا تعدّ هادئة تحت السطح منوها أن قيادة الجيش الإسرائيلي تعد العدة لاحتمال قيام الجهاد الإسلامي بالعمل بصورة مستقلة أو بناء على توجيهات من طهران على تصعيد الأوضاع، أو الانضمام إلى التصعيد في الجبهة الشمالية في حال حدوثه. وحسب يهوشع تشير التقديرات السائدة لدى قيادة الجيش الإسرائيلي إلى أن حركة «حماس» لا تزال معنية بالتوصل إلى تسوية مع إسرائيل، لكن الجهاد الإسلامي يعمل من أجل تنفيذ عملية عسكرية كبيرة. ويضيف «إزاء كل ما تقدّم، أنجز الجيش الإسرائيلي خطة أمنية جديدة متعددة السنوات باسم تنوفاه (انطلاقة) تشمل شراء معدات قتالية ذات قدرة تدميرية، وتحسين الوسائل الدفاعية للتصدي للطائرات المسيّرة في المنطقتين الشمالية والجنوبية، وتحسين القدرات الاستخباراتية». موضحا أن تطبيق هذه الخطة يكلف ميزانيات باهظة سيكون من الصعب المصادقة عليها في ظل وجود حكومة انتقالية. ويشير أنه في هذه الأثناء يقوم الجيش الإسرائيلي باستخدام الميزانيات القائمة من خلال تغيير بنود الصرف من غاية إلى أخرى. من جانبه يرى ألون بن دافيد المحلل العسكري في القناة الإسرائيلية 13 أن تصريحات كوخافي حقيقية وأنها بمثابة قرع للخزان وللجرس كتحذير للمستوى السياسي المنشغل بل الغارف في خصومات سياسية وشخصية. ويرى أن القلق من احتمال نشوب مواجهة عسكرية له ما يبرره في أعقاب التغيرات والتهديدات الاستراتيجية الإقليمية المترتبة على الانسحاب الأمريكي من المنطقة مستبعدا وجود نية لدى كوخافي للتهويل طمعا بزيادة حصة الجيش من الموازنة العامة.

غانتس وكوشنر

إلى ذلك قالت مصادر مسؤولة في تحالف «أزرق أبيض» إن من المقرر أن يعقد رئيس التحالف بني غانتس غدا الاثنين اجتماعاً مع مستشار الرئيس الأمريكي وصهره جاريد كوشنير في السفارة الأمريكية في القدس المحتلة. ومن المتوقع أن يصل كوشنير إلى إسرائيل اليوم الأحد وسيعقد خلال زيارته اجتماعاً مع رئيس الحكومة المنتهية ولايته بنيامين نتنياهو. وكان البيت الأبيض أكد في وقت سابق من الشهر الحالي أن إدارة الرئيس دونالد ترامب ستعلن الجزء السياسي من خطة السلام الأمريكية المعروفة باسم «صفقة القرن» بعد تأليف حكومة جديدة في إسرائيل وحتى إذا ترأسها غانتس. وتأتي زيارة كوشنير إلى إسرائيل في إطار جولة واسعة له في منطقة الشرق الأوسط، تشمل زيارة إلى السعودية وحضور مؤتمر اقتصادي يستضيفه ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان.

تونس: ساكن قرطاج الجديد يتسلم مهامه ويقدم جملة من الوعود

نجاح الرئيس يرتبط بنجاح الحكومة وبمدى اتفاقه مع رئيسها الذي في يده صلاحيات تنفيذية كبيرة منحه إياها الدستور وهي الآن محل جدل للحد منها.

قيس سعيد

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

الحدث الأبرز في الساحة السياسية التونسية هو بدون شك تسلم ساكن قرطاج الجديد مهامه بعد أدائه اليمين الدستورية يوم الإربعاء في مجلس النواب في جلسة خارقة للعادة. وبذلك يصبح قيس سعيد الرئيس الثامن للجمهورية التونسية منذ تأسيسها في 25 تموز/يوليو 1957 بعد إطاحة الرئيس الحبيب بورقيبة ورفاقه بالملك محمد الأمين باي ونظامه وإعلانهم قيام الجمهورية ليكون بورقيبة أول رئيس لها.

ولعل ما أثلج صدور التونسيين هو هذا التسليم السلس للسلطة من قبل القائم بأعمال رئيس الجمهورية محمد الناصر للرئيس المنتخب الجديد قيس سعيد في مشهد مهيب ومشرف لاحق لانتقال سلس آخر للسلطة حصل بعد وفاة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي. حيث تم تطبيق الدستور منذ أشهر معدودة وتسلم محمد الناصر رئاسة البلاد باعتباره رئيس مجلس النواب وتعهد بتنظيم الانتخابات في آجالها وتسليم السلطة لرئيس منتخب وهو ما حصل فعلا يوم الإربعاء.

وإذا استثنينا جمهورية قرطاج، التي كان نظامها ديمقراطيا وأشاد به وبدستورها الفيلسوف الإغريقي أرسطو في كتابه «السياسة» حيث بدا له نظام قرطاج الأقرب في عصره من النظام المثالي الذي يتصوره، وهو ما ساعد قرطاج على أن لا تعرف أبدا من الانتفاضات والنظم الاستبدادية ما يستحق الذكر، فإن التونسيين يشهدون هذا التداول السلمي على السلطة للمرة الثالثة. فقد سبق أن تسلم الرئيس المنصف المرزوقي مفاتيح قصر قرطاج من فواد المبزع ثم سلمها سلميا للباجي قايد السبسي الذي وافته المنية ليسلم خلفه محمد الناصر الأمانة لقيس سعيد.

خطاب متوازن

وقد حصل شبه إجماع على أن خطاب أداء اليمين للرئيس التونسي الجديد كان معتدلا ومتوازنا وتحدث فيه قيس سعيد عن حدود صلاحيات الدستورية وأهمها الدفاع والسياسة الخارجية وفقا للدستور التونسي الجديد الذي يعطي أغلب الصلاحيات التنفيذية لرئيس الحكومة. كما اتفق جل الطيف السياسي على أن المهم هو أن تتجسد الأقوال التي جاءت في خطابه أفعالا خصوصا في مجال محاربة الإرهاب وفي مجال تطوير علاقات تونس الخارجية مع محيطها المغاربي والعربي والافريقي وحتى الأوروبي.

ولعل ما جاء في خطاب الرئيس عن القضية الفلسطينية يعتبر مطمئنا لعموم الشعب التونسي الذي عرفت عنه مساندته للقضية وساهم حديث سعيد عنها بحماس في مناظرته التلفزيونية التي سبقت اختياره رئيسا في ارتفاع شعبيته. ويؤكد البعض على أن سعيد انتصر لخيارات دولة الاستقلال في تونس التي تميزت، إضافة إلى الاهتمام بالصحة والتعليم، بمساندة حركات التحرر في العالم وعلى رأسها القضية الفلسطينية، من دون أن تخشى لومة لائم.

محاربة الفساد

ولعل ما أثار الجدل في خطاب قيس سعيد هو اقتراحه على المواطنين التبرع بيوم عمل مدة خمس سنوات وذلك في ظل عدم توفر مناخ الثقة بين المواطن والمسؤول في تونس نتيجة لتراكمات سابقة. فتساءل البعض في هذا الإطار كيف يتبرع المواطن عن طيب خاطر والنهب والفساد مستشريان في البلاد؟ هل يتبرع التونسي للتغطية على نهب النهابين؟ وتم التأكيد في هذا الإطار على أن محاربة الفساد هو الأولوية وبعدها سيتبرع التونسيون عن طيب خاطر لدولتهم باعتبار أن الوطنية لا تعوزهم.

لقد رفع أحدهم في وقت سابق شعار محاربة الفساد لكنه بقي محاطا بالفاسدين فلم تلق دعواته آذانا صاغية، كما اختصر كل فساد البلاد في رجل أعمال ومهرب أو اثنين، لذر الرماد في العيون وترك البقية يرتعون بلا رقيب أو حسيب وأثقل كاهل المواطنين بالجباية. ويريد التونسيون اليوم حربا حقيقية على الفساد ولذلك ولأسباب أخرى انتخبوا قيس سعيد قاطعين مع الماضي الذي لم يلب رغباتهم، وبالتالي فإنه يتمتع بتفويض شعبي يفوق كل الأحزاب السياسية وفي إمكانه أن يدفع قدما في اتجاه محاربة الفساد.

تشكيل الحكومة

ويبقى أي نجاح لعهد قيس سعيد مرتبطا بشكل كبير بنجاح الحكومة التي ستدير شؤون البلاد وبمدى اتفاقه مع رئيسها الذي في يده صلاحيات تنفيذية كبيرة منحه إياها الدستور التونسي الجديد وهي الآن محل جدل للحد منها. إذ يرى البعض أن من غير الجائز أن ينتخب الرئيس بالاقتراع العام والمباشر من الشعب وينال تفويضا شعبيا يفوق ما تناله الأحزاب لكنه في النهاية لا يحكم أو يكاد مقارنة برئيس الحكومة.

وللإشارة فإن وزيري الدفاع والخارجية يقترحهما رئيس الجمهورية باعتبار صلاحياته في هذين الميدانين في حين يختار رئيس الحكومة بقية التشكيلة الحكومية. وتدفع بعض الأحزاب باتجاه أن يقترح رئيس الجمهورية رئيسا للحكومة من خارج الأحزاب في ما يعرف بـ«حكومة الرئيس» باعتبار صعوبة تشكيل الحكومة وصعوبة سير عملها وتشكيلها للقوانين نظرا إلى أن أيا من الأحزاب لم يتحصل على نسبة مريحة من الأصوات تجعله قادرا على الحكم بنجاعة.

أزمة كتالونيا تعيد الحلول المطروحة بين الاستقلال والحكم الذاتي

نجحت الأحزاب القومية من تعزيز الشعور القومي الكتالاني وأصبحت اللغة الإسبانية تقريبا ممنوعة في التعليم وإدارات الإقليم، وأرست ثقافة سياسية تعتبر الوجود الإسباني استعمارا.

د. حسين مجدوبي

تعيش إسبانيا على إيقاع الملف القومي لكتالونيا الذي اتخذ أبعادا جديدة بعد الحكم على زعماء الحركة القومية بالسجن في أحكام وصلت إلى 13 سنة، لكن الأحكام ما هي إلا مقدمة لغياب الاستقرار في كتالونيا بل ومجموع إسبانيا نظرا لتشعبات هذا الملف وتأثيره.

وكانت المحكمة العليا قد أصدرت أحكاماً قاسية وصلت إلى 13 سنة سجناً في حق نائب رئيس حكومة الحكم الذاتي في كتالونيا أوريول جونكراس، بتهمة التحريض وتبذير أموال عامة في إجراء استفتاء تقرير المصير في تشرين الأول/اكتوبر عام 2017 بينما صدرت أحكام في حق آخرين تراوحت بين 9 سنوات و12 سنة.

وعمليا، يعتبر المراقبون أن هذه أحكام سياسية بامتياز بحكم أن الملف يتعلق بنزاع حول بقاء إقليم من عدمه ضمن الخريطة الوطنية الإسبانية. ويبدو أن القضاء الإسباني تفادى توجيه تهمة العصيان إلى المتابعين بهدف إلغاء الطابع السياسي عن المحاكمة. كما ألغت تهمة العصيان تحسبا لاستئناف القوميين أمام القضاء الأوروبي، وهو قضاء بدون شك سيلغي الكثير من الأسس التي اعتمدها القضاء الإسباني في الحكم.

وعاشت مختلف مدن كتالونيا وخاصة برشلونة منذ الأسبوع الماضي، تاريخ صدور الأحكام من طرف المحكمة العليا احتجاجات سياسية عنيفة لم تشدها منذ مدة طويلة، وهي مرشحة لمزيد من الاحتقان بسبب إصرار القوميين الكتالان على استغلال الأحكام للتعريف بقضيتهم أمام المنتظم الدولي.

وقضية كتالونيا ليست وليدة اليوم بل تعود إلى قرون مضت، وتحضر بين الحين والآخر وبشكل مأساوي في المشهد السياسي الإسباني، وتتعدد المواقف والحلول بشأنها بين التطرف والاعتدال، لكن أسباب الفراق عن إسبانيا تبقى ثابتة من جيل إلى آخر. ويعود الفصل الأخير من هذه الأزمة الحالية إلى سنة 2015 عندما قرر برلمان كتالونيا الذي يتمتع بحكم ذاتي التصويت على الاستقلال عن إسبانيا وعدم الاعتراف بالملكية، وطالب حكومة الحكم الذاتي بتنفيذ القرار خلال السنوات اللاحقة. وعمليا، هذا ما حدث عندما نظمت هذه الحكومة استفتاء تقرير المصير يوم أول تشرين الأول/أكتوبر من سنة 2017 وأعلنت قيام الجمهورية، وكان تدخل الحكومة المركزية في مدريد وتعليق الحكم الذاتي مؤقتا وقيام القضاء باعتقال أعضاء حكومة الحكم الذاتي بينما هرب رئيس هذه الحكومة كارلس بغيدمونت إلى بروكسيل لاجئا. ولم يعد الأمر يتعلق بموجهة بين الأحزاب القومية الكتالانية والأحزاب الوطنية أو بين حكومة الحكم الذاتي التي يسيطر عليها القوميون منذ سنوات طويلة والحكومة المركزية بل يتعلق الأمر أساسا بموقف ساكنة الإقليم التي لا تعتبر نفسها إسبانية نهائيا. إذ يؤيد قرابة 60 في المئة من الكتالان الاستقلال عن إسبانيا بينما قرابة 27 في المئة يرغبون في الحكم الفيدرالي، في حين أن نسبة المؤمنين بالوحدة مع إسبانيا ضعيفة للغاية. وقد نجحت الأحزاب القومية من تعزيز الشعور القومي الكتالاني خلال العشرين سنة الأخيرة، حيث أصبحت اللغة الإسبانية تقريبا ممنوعة في التعليم وإدارات الإقليم، وأرست الأحزاب ثقافة سياسية وهي اعتبار الوجود الإسباني استعمارا شبيها باستعمار إسبانيا لأمريكا الجنوبية والمكسيك ومنطقة الصحراء الغربية. ويستدل قادة الحركة القومية بهذه الأمثل بين الحين والآخر، ويعتبرون أن كتالونيا ستكون آخر مستعمرة إسبانية.

وهنا جذور لهذا النزاع يعود لقرون مضت وليس وليد اليوم. فقد ضمت إسبانيا منطقة كتالونيا بالقوة آخر مرة يوم 11 أيلول/سبتمبر من سنة 1714 ومنذ تلك الفترة حتى اليوم أقدمت كتالونيا على عصيان وتمرد ضد السلطة المركزية. ومن أبرز المحاولات الكبرى للانفصال عن إسبانيا خلال 150 سنة الأخيرة، نجد:

إعلان كتالونيا انفصالها عن إسبانيا خلال اذار/مارس من سنة 1873 في تلك الفترة سيتم الإعلان عن إلغاء الملكية مؤقتا وإعلان الجمهورية الإسبانية بعد أزمة عميقة عاشتها البلاد. ولكن الحكومة المركزية راهنت على الحوار السياسي والقوة لإقناع الكتالان بالبقاء ضمن إسبانيا لاسيما وأن البلاد أصبحت جمهورية. ومن ضمن ما قدمته حكومة مدريد للكتالان نظاما فيدراليا متطورا. وكان ذلك النظام الفيدرالي قد جعل كتالونيا مؤقتا دولة داخل دولة.

وبعد مرور قرابة سبعة عقود، وبالضبط يوم 14 نيسان/أبريل من سنة 1931 أعلنت كتالونيا الجمهورية الخاصة بها. ومن الصدف أنه في تلك الفترة جرى إلغاء النظام الملكي، وكان ألفونسو الثالث عشر هو الملك وقتها. وعادت الحكومة المركزية إلى منح الكتالان امتيازات سياسية كبيرة ليتخلوا عن حلم الجمهورية، وهو ما حدث. لكن الكتالانيين لم يتخلوا عن الحلم، وقاموا في شهر تشرين الأول/أكتوبر من سنة 1934 بإعلان الجمهورية الثالثة متهمين الحكومة المركزية بالتخلي عن ثوريتها والعمل من أجل إعادة النظام الملكي. وتدخلت الحكومة المركزية التابعة للجمهورية هذه المرة بالقوة معتقلة جميع زعماء كتالونيا وعلى رأسهم لويس كامباني، رئيس حكومة الحكم الذاتي. وكان الملف الكتالاني من أسباب اندلاع الحرب الأهلية سنة 1936 والتي دامت حتى 1939 وأتت بالدكتاتور الجنرال فرانسيسكو فرانكو إلى الحكم.

أما المرة الأخيرة فهو ما يحدث منذ 2015 تاريخ تصويت البرلمان على الجمهورية وإجراء استفتاء تقرير المصير يوم فاتح تشرين الأول/أكتوبر 2017 وإعلان الجمهورية، ثم تدخل الدولة المركزية لاعتقال زعماء الحركة القومية. وبدون شك لن تكون المحاولة الأخيرة بل هناك رهان جديد وهو أن يصدر إعلان الاستقلال عن عصيان مدني للكتالانيين بدلا عن المؤسسات. وكان تقرير للحرس المدني (الشرطة العسكرية) قد نبه إلى خطورة الشارع في كتالونيا بتزعم الاحتجاجات بدل القيادة السياسية. وبدورها كتبت جريدة «لفنغورويا» يوم السبت من الأسبوع الجاري عن الدور الكبير للشارع في الوقت الراهن في الدفاع عن هذه القضية.

وتوجد ثلاثة حلول لتجاوز الأزمة الكتالانية وهي حلول تلقى التأييد والرفض، مرتبطة بشكل كبير بنوعية الحكومة المركزية، هل هي يمينية ترفض الحوار وتراهن على تطبيق الدستور أم منفتحة.

في المقام الأول، حل يدافع عن استفتاء تقرير المصير وهو شعار ترفعه الحركة القومية الكتالانية. وتطلب من الحكومة المركزية أن تكون في مستوى باقي الحكومات الغربية مثل الكندية التي سمحت بإجراء تقرير المصير في كيبك إبان التسعينات وحكومة لندن التي سمحت بإجراء استفتاء مماثل في اسكتلندا منذ سنوات.

في المقام الثاني، موقف الأحزاب القومية الإسبانية مثل الحزب الشعبي وحزب فوكس الجديد المطالبة بتعليق الحكم الذاتي وإعلان حالة الاستثناء في كتالونيا والقضاء نهائيا على رموز الحركة القومية. في المقام الثالث، وهو حل الوسط وتنادي به بعض الأحزاب اليسارية ومنها الحزب الاشتراكي الحاكم وهو الانتقال إلى النظام الفدرالي من أجل إيجاد حل للنزاع الكتالاني بل وذلك لنزاع بلد الباسك المرشح للانفجار في أي وقت. ويؤمن أصحاب هذا الحل بأنه الأنسب لنزاع استمر لقرون ويجب في يوم ما أن ينتهي.

ومن مؤشرات استمرار النزاع، قيام مجموعة من الأحزاب القومية من مختلف أقاليم إسبانيا الباسك وكتالونيا وجور البالير وغاليسيا وفالينسيا يوم الجمعة من الأسبوع الجاري بالتوقيع على بيان مشترك يدعو إلى حق كتالونيا وباقي القوميات الإقليمية في تقرير المصير ويحمل عنوان «بيان ليوتخا» وتتوجه الأحزاب إلى الرأي العام الأوروبي والعالمي مشيرة إلى أنه 40 سنة بعد الانتقال الديمقراطي في إسبانيا ما زالت قضية القوميات معلقة.

مسيرات مؤيدة ومعارضة للانفصال في برشلونة

تشهد برشلونة السبت والأحد تظاهرات كبرى مؤيدة ومعارضة لانفصال كتالونيا بعد أسبوع من المواجهات العنيفة التي أعقبت صدور أحكام قضائية بحق قادة انفصاليين.

وتظاهر الانفصاليون السبت قرب برلمان كتالونيا تلبية لدعوة منظمتين انفصاليتين كبيرتين تنظمان تظاهرات ضخمة بانتظام.

والأحد دعت منظمة المجتمع المدني الكتالونية إلى تظاهرة رفضا للانفصال، وكانت هذه المنظمة نفسها نظمت عام 2017 تظاهرات ضخمة في برشلونة ضد الانفصال، وهي المسألة التي تقسم سكان الإقليم الواقع في شمال شرق إسبانيا.

وهذه أولى التظاهرات الكبرى في برشلونة منذ الاضطرابات التي أوقعت 600 جريح في كتالونيا في الأيام التي أعقبت صدور أحكام بالسجن تصل إلى 13 عاما على تسعة قادة انفصاليين.

الأردن و«التيه الاقتصادي»: مبادرات بالجملة لمغادرة «زجاجة الملقي» وحكومة «دفنت» خططها

المبادرات تتزاحم في مساحة محدودة جدا بالمضمون السياسي وسط تدشين مرحلة جديدة لمساعدة الأردن ماليا مقابل دور إقليمي جديد لا يزال غامضا.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

يتحدث رئيس الوزراء الأردني الدكتور عمر الرزاز عن «خطة اقتصادية جديدة» فكرتها «إعادة الهيكلة الإدارية».

قبل ذلك كانت حكومة الرئيس الدكتور معروف البخيت قررت خطة لإعادة الهيكلة على أساس تخفيض النفقات وتطوير مستوى خدمات القطاع العام. خطة البخيت قبل أكثر من 10 سنوات كلفت الخزينة نحو 400 مليون دينار لكنها لم تنفذ ولم تؤد الغرض المنشود رغم احتفاء الجميع بها، والأهم أنها لم تعالج مشكلة تكلس خدمات القطاع العام وضعف الموارد البشرية وان أدت لتقليص بعض المؤسسات وتنشيط العمل ورقيا على الأقل في بعض القطاعات.

لم يحدد الرزاز مقاصده في خطة اقتصادية جديدة لإعادة الهيكلة على صعيد البنية والخدمات وعلى أساس العمل على وضع ملامح عامة لتحفيز النمو الاقتصادي وتوفير فرص استثمارية كمقدمة للتنويع في الخيارات الاقتصادية وجذب الاستثمار تمهيدا لتوفير المزيد من فرص العمل.

يفترض أن يعلن الرزاز عن مشروعه التنفيذي الجديد اليوم الأحد وبعد أيام فقط من عقد «ورش عمل بحثية معمقة» برعاية القصر الملكي وبعد أيام قليلة على تسريب الأنباء عن «مبادرة «ملكية للتنشيط الاقتصادي ومغادرة الاستعصاء لم تظهر ملامحها بعد هي الأخرى.

لم يعرف بعد ولو على مستوى الخبراء ما إذا كانت خطة الرزاز المنوي عرضها الأحد هي نفسها المبادرة التي تحظى بغطاء ملكي. لكن يعرف الجميع أن المبادرات تتزاحم حاليا مثل الأجندات الإقليمية السياسية في مساحة محدودة جدا بالمضمون السياسي الأردني وخلال أيام فقط وسط انكشاف في مستوى تقديم المساعدات للأردن وتدشين مرحلة جديدة لمساعدته ماليا مقابل «دور إقليمي جديد» لا يزال غامضا.

الأهم ان الرزاز توقف عن الإشارة لمشروعه الأساسي المعلن منذ بدايات تشكيل حكومته بعنوان «النهضة».

وتوقف أيضا عن ذكر مشروع حكومته الذي يحمل اسم التمهيد للثورة الصناعية الرابعة، وقبل ذلك توقف عن الإشارة لخطة تحفيز الاقتصاد ولوثيقة 2025 التي وقعها رئيس الوزراء الأسبق الدكتور عبد الله النسور الغائب بدوره عن الأضواء.

لافت جدا في السياق أن فوضى المبادرات وزحمة محاولات مغادرة «عنق الزجاجة» توحي بأن الطاقم الاقتصادي الحالي وبعدما أعلن إخفاق وفشل سياسات التصعيد الضريبي في تعزيز واردات الخزينة يعيش حالة من الاضطراب في التخطيط والتفكير وأغلب التقدير انه لن يكون في حال من الأحوال الطاقم الذي سيتولى التغيير والإصلاح أو الخطة الموازية.

عندما أعلنت حكومة الرزاز خطة التصعيد الضريبي وأصدرت قانون الضريبة الذي تسبب في سقوط حكومة السلف الدكتور هاني الملقي حفلت الساحة بأصوات عاقلة وخبيرة تحذر من «كمين التصعيد الضريبي».

وفي هذه المساحة استمعت «القدس العربي» لخبراء من وزن ثقيل يسترسلون في التحذير من بينهم الرئيس الأسبق لمنظمة السياحة الدولية الأردني الدكتور طالب الرفاعي وبينهم نائب رئيس الوزراء الأسبق الدكتور محمد حلايقة.

وبينهم كذلك برلماني ثقيل الوزن هو خليل عطية وعشرات الخبراء الذين قدروا مسبقا وقبل الطاقم الحالي لحكومة الرزاز بأن التصعيد الضريبي سيؤدي إلى انكماش السوق وتحفظ الأردنيين على الانفاق وكانت النتيجة لصالح هذا الرأي. حيث أعلن وزير المالية عز الدين كنكاريه أن الواردات للخزينة انخفضت بسبب انكماش الانفاق. ومعه أعلن نائب رئيس الوزراء الدكتور رجائي المعشر أن الدول تخطط أحيانا والنتائج قد لا تكون دقيقة في بعض الأحيان.

لا يجيب عمليا تزاحم المبادرات الاستدراكية على صعيد الملف الاقتصادي الأردني الذي يحظى الآن بالصدارة على تلك الأسئلة التي تتعلق بفهم أسباب تراجع الحكومة عن خططها السابقة أو المكان الذي طويت فيه ملفات تلك الخطط أو حتى تفاصيل وشروحات «المبادرات» الجديدة التي تتخذ اليوم شكل «تجارب» جديدة عكس الاتجاه الأسبق في الوقت الذي يتوسع فيه الفقر وتخف فرص العمل وتنكمش الأسواق ويزداد الضغط على خزينة ومالية الدولة.

السيناريو الاسوأ في تقدير سياسيين لديهم فكرة عن التخطيط الاقتصادي هو ما يؤشر على أن الحكومة «تدفن» مشاريع تحدثت هي عنها ووعدت الشارع بها ثم تعود للتحدث عن مشاريع جديدة وفي الاتجاه المعاكس وبكل بساطة وبدون تفاصيل.

مثل تلك الفوضى الدليل الأخطر على وجود حالة اضطراب في تفكير خلايا الحكومة وتوهان البوصلة ووجود اجتهادات متزاحمة حقا ورغبة في البقاء مقابل ضغط ملكي متعدد الأوجه بدأ يمارس على جميع المسؤولين تحت عنوان خيار لا يريد التورط بتغيير وزاري وتشكيل حكومة جديدة في كل الاحوال وخصوصا في الظرف الحالي.

حدث الأسبوع

«ثورة لبنان» مشهدية فرح و«سيناريوهات» غامضة

بيروت – «القدس العربي»: رلى موفّق

كل المقدمات في لبنان كانت تُهيئ لثورة شعبية، لكن أحداً لم يظن أن اللبنانيين قد ينزلون إلى الساحات يوماً خارج عباءات الطوائف والمناطق والانقسامات العامودية والاصطفافات تعبيراً عن الغضب الذي يعتريهم نتيجة سياسة الاستهتار بحياتهم ومستقبلهم، واستشراء الفساد في سلطتهم الحاكمة لبلد على شفير الإفلاس.

ما كان ضرباً من ضروب الخيال، تحقّق في السابع عشر من تشرين الأول/أكتوبر. ضربية الـ6 دولارات المقترحة شهرياً على تطبيق الـ«واتس أب» المجاني هي عود الثقاب، لكن الناس كانت حُبلى بالضائقة المعيشية والاقتصادية، وتشعر بكثير من الذل الذي لم تعشه حتى في خضم الحروب الأهلية والعبثية، فكانت مشهدية غير مألوفة: ساحة غضب تنفجر فرحاً في وسط بيروت على مقربة من السراي الكبير – مقر رئاسة الحكومة – وامتداداً إلى ساحة الشهداء – رمز انتفاضة الاستقلال 2005 التي أخرجت جيش النظام السوري من لبنان – تردفها ساحات لها رمزيتها في مختلف المناطق، تُقدّم مشهداً مختلفاً للصورة النمطية التي طبعتها.

عروس الثورة

هذه هي حال طرابلس عاصمة الشمال التي وُصفت ظلماً بـ«قندهار» فإذا بها تتحوّل إلى «عروس الثورة» لوحة طغى عليها حب الحياة والفرح تُعبّر عن مكنونات هذه المدينة، الأشد فقراً بين المدن على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وهذه هي حال النبطية وصور والجنوبيتان اللتان خرج أهلهما عن طوع قوى الأمر الواقع المتجسد بـ«الثنائي الشيعي» (حركة أمل وحزب الله) رغم العصي والرصاص لتنضما إلى ساحات التظاهر، وكذلك بعلبك ودورس في البقاع الشمالي، ما اعتُبر جرأة فعلية من هؤلاء نظراً إلى الإطباق الكلّي لـ«الثنائي الشيعي» على مناطق نفوذه.

والمشهد لا يقل أهمية في ساحل المتن وساحل كسروان، حيث الثقل المسيحي، ويُعتبران في الحسابات السياسية بأنهما معقلا «التيار العوني» الذي يُنهي زعيمه رئيس الجمهورية ميشال عون بعد أيام، وتحديداً في 31 تشرين الأول/أكتوبر 2019 نصف ولايته الرئاسية.

وعلى اختلاف التسميات لما يعيشه لبنان منذ عشرة أيام متواصلة، بين «ثورة» و«انتفاضة» أو بين «حراك شعبي» و«حركة احتجاجية» فإن الأكيد أن ما قبل 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019 ليس كما بعده، لجهة الحالة الوطنية الجامعة والعابرة للطوائف والمناطق، ولجهة الشعار الأكثر توحّداً وشعبية بين المتظاهرين في الساحات «كلّن يعني كلّن» في إشارة إلى رفض الطبقة السياسية التي أعادتها الانتخابات النيابية في العام 2018 إلى البرلمان ممثلة من جديد للشعب اللبناني.

المتظاهرون طرحوا مطالبهم. «السيناريوهات» هنا تراوحت بين حد أدنى تمثّل بإسقاط حكومة سعد الحريري وتأليف حكومة اختصاصيين قادرة على أن تُعيد الثقة بين المواطنين والسلطة، وتعمل على محاربة الفساد واستعادة الأموال المنهوبة وتنتشل لبنان من القعر اقتصادياً واجتماعياً، وبين حد أقصى تمثل بإسقاط العهد وحتى إسقاط النظام، وما بينهما من دعوة لحكومة انتقالية تُعدّ قانون انتخاب جديداً وتُنظم انتخابات مبكرة لإعادة إنتاج سلطة جديدة.

غير أن الاستجابة لمطالب الحدَّين الأدنى والأقصى وما بينهما اصطدمت بـ«فيتو» وضعه الأمين العام لـ«حزب الله» حسن نصر الله، في أول أيام الحركة الاحتجاجية، بحجة منع الفراغ في البلاد، وإنْ كان وصف ما أسماه بـ«الحراك الشعبي» بالعفوي وغير الموجَّه من الخارج. وعليه، جاءت اقتراحات الحلول من الحريري تحت سقف التغيير الحكومي لتمنح شركاءه في مجلس الوزراء 72 ساعة للموافقة على ورقته الإصلاحية الاقتصادية، في وقت كان الشارع ينتظر الاستقالة.

ظنّ نصر الله أن الشارع الثائر يتناغم معه، ولا سيما أنه بعد إيصاله عهداً محسوباً عليه، وبعد حصوله وحلفائه على أكثرية نيابية وحكومية، سعى إلى رفع شعار مكافحة الفساد، فإذا به يُفاجأ بردّ الساحات بعد خطابه الأول بشعار «كُلّن يعني كُلّن ونصر الله واحد منّن».

الشعور بالمأزق

بدأ الشعور بالمأزق حين جرى التيقّن بأن ساحات التظاهر ليست «فورة ساعة» وأن إمكانية تفريغها من الداخل وتشتيتها أمر ليس سهلاً نتيجة لا مركزيتها والتي تشكل عامل قوة لها، ونتيجة تهيُّب الجيش والقوى الأمنية من الاصطدام بالمتظاهرين الذين يقطعون الطرق الرئيسية في غير منطقة، ويشلّون حركة التنقل والعمل في البلاد، فيما المدارس والجامعات مُغلقة، والمصارف مقفلة وسط مخاوف من التداعيات السلبية على الليرة مقابل الدولار.

وحل الإرباك على خطاب نصر الله الثاني في اليوم التاسع من التظاهرات. عمل على شيطنة «الحراك الشعبي» الذي «بدأ عفوياً وصادقاً وغير مسيَّس، ولكن دخلت على خطه أحزاب وسفارات واستخبارات خارجية وجهات مموّلة». وهو وإن سعى إلى الحديث بهدوء، لكنه أظهر الكثير من التوجُّس. يريد من قيادة الحراك أن تكشف عن وجهها ولا تبقى في الكواليس، وأن تُطمئن المقاومة.

مأزق «حزب الله» لا يأتي راهناً من الضغوط الخارجية عليه وعلى البلاد، بقدر ما يأتي من فشل تجربة العهد الحليف له، والذي باتت مهمة مدّه بعناصر القوة وتشكيل رافعة له مسألة صعبة، نظراً إلى حالة الوهن التي تُصيب هذا الحليف ووضع «الوريث» المتهاوي داخلياً، إذ لم يسبق أن تلاقى اللبنانيون – على مختلف مشاربهم – على نبذ شخصية سياسية مثلما ينبذون صهر الرئيس الطامح إلى خلافه عمّه في الرئاسة. باتت ورقة جبران باسيل «محروقة» بفعل لغته الطائفية الفجّة والمتعالية تحت شعار «الدفاع عن حقوق المسيحيين»، فيما الهدف هو تهميش الآخرين، والاستئثار من باب المحاصصة مع شركائه في التسوية السياسية، في وقت تسود غالبية دوائر القرار اللبنانية والغربية شكوك حول قدرة رئيس الجمهورية على مواكبة المرحلة الدقيقة والصعبة التي يمر بها لبنان.

«السيناريوهات» التي تنتظر لبنان لا يمكن الجزم بها. السلطة تطرح سيناريو التعديل الوزاري، وهو مرفوض من قبل الشارع. المتظاهرون كانوا حتى الأمس يعتبرون أن سيناريو إسقاط الحكومة وتأليف حكومة «نظيفة الكفّ» يلبي أدنى المطالب، ولكن كلما تأخر الوقت ارتفعت المطالب أكثر. فما كان مقبولاً بالأمس لن يعود مقبولاً غداً.

الشارع ثائر وهو في واد، والسلطة في وادٍ آخر وتخسر مع كل شروق شمس. فيوم نزل مليون ونصف لبناني إلى الشارع، وأخذت قوى التسوية الثلاث (عون – باسيل والحريري ونصر الله) تغازله وتعتبره صوتها وحاملاً لشعاراتها، بدأ المسار التنازلي، وما عاد ممكناً وقفه. هذا منطق الثورات، إلا إذا كانت الوصفة هي القمع.

إراقة الدماء في الشارع هي سيناريو مطروح عبر وضع «شارع مقابل شارع» أو اختراق التظاهرات وافتعال تصادم معها على غرار ما حصل في ساحة رياض الصلح والنبطية من قبل مجموعات مؤيدة لـ«حزب الله» وفي صور من قبل جماعات مؤيدة لـ«حركة أمل» الأمر الذي سيستدعي قراراً أمنياً مختلفاً. فئة من يظن أنه يمكن أن «يُفرمل» السقوط أو أن يخلق نوعاً من التوازن بين ما هو مطلوب وما هو معروض.

ما هو أكيد أن «ربيع لبنان» أطلّ في الخريف، وليست كل الثورات متشابهة. ثورة لبنان لا تزال في بداية الطريق، وعُود أبنائها لا يزال طرياً ويافعاً!

7 مصابين أحدهم بالرصاص الحي لدى فتح الجيش طريق شمالي لبنان

أصيب 7 متظاهرين، السبت، أحدهم بالرصاص الحي، لدى محاولة الجيش اللبناني فتح طريق بمنطقة البداوي شمالي مدينة طرابلس (شمال) حسب إعلام محلي.

وأظهر مقطعان مصوران نشرتهما قناة «أل بي سي» شخصين أصيبا على مستوى الرأس خلال اشتباك بالأيدي مع عناصر الجيش، فيما أصيب آخر بعيار ناري في البطن تجرى معالجته من قبل الصليب الأحمر اللبناني.

وتداول إعلام محلي تقارير تفيد باستمرار الجيش في محاولة فتح الطريق الدولي، الذي يربط طرابلس بالمنية وعكار وصولا إلى الحدود السورية، عند نقطة البداوي، والذي سبق وأغلقه محتجون وسط هتافات بإسقاط النظام.

وحسب المصدر ذاته، حصل تدافع بين الجيش والمحتجين، وسُمع إطلاق نار كثيف في المنطقة وسط أنباء عن سقوط جرحى.

لبنان: فصل جديد في «المعجزة المفتوحة»؟

صبحي حديدي

منذ عقود طويلة، قد يبدأ بعضها من برهة تأسيس البلد وتركيب توازناته الطائفية، لا يكفّ الشعب اللبناني عن سداد فواتير سياسية واقتصادية واجتماعية لقاء تلك «المعجزة المفتوحة» التي ظلت تخرجه من تناقض تكويني لتدخله في آخر، وتضع أوزار حرب أهلية معلنة لتدشن أخرى مضمرة أو مستترة.

أليس من باب «الإعجاز»، وعلامات الاقتباس هنا لا تتوخى الانتقاص ولا التهويل، أن تنتفض اليوم قطاعات شعبية واسعة ضدّ مجموعة الـ«كلّن يعني كلّن» ذاتها التي انتخبها الشارع إياه قبل سنة فقط؛ بعد أن مدّدت المجموعة لنفسها خمس سنوات، ثم انتهت إلى «معجزة» أخرى هي التوافق على انتخاب ميشيل عون رئيساً للجمهورية؟ وكيف لا يكون مفهوم «الإعجاز» في قلب الشعار القائل، اليوم، بأن حسن نصر الله في عداد الـ«كلّن»؛ هو الأمين العام للحزب الذي سبق أن أبقى، ويمكن له أن يُبقي، الحياة السياسية معطلة وأسيرة اشتراطاته؟

ثمة، بالطبع، سؤال بسيط بقدر ما هو حاسم ومركزي وجوهري: حسناً، وما العمل إذن؟ استقالة الحكومة (ومن أين يأتي لبنان بفريق «تكنوقراط» مستقل، في الحدود الدنيا، عن «القرطة» الحاكمة التقليدية؟)؛ واستعادة الأموال المنهوبة (مَنْ يستعيد أموال مَنْ، وبموجب أيّ تشريع، وكيف يُضبط الفارق بين الذهب والكسب، وأية سلطة تجبر إمبراطور المصرف المركزي رياض سلامة على الامتثال؟)؛ وقانون انتخابات جديد (مَنْ يسنّه غير الرهط ذاته في مجلس النوّاب، وهل سيكون القانون الجديد نسبياً أم أكثرياً أم طوائفياً أم... أرثوذكسياً؟).

هذه ليست أسئلة معلّقة في فراغ رهيب، مخيف مقيم متوالد ذاتياً، على أرض الواقع وفي حيّز التطبيق الفعلي، فحسب؛ بل هي معضلة أية انتفاضة شعبية لبنانية تنهض على مطالب مشروعة تخصّ العيش الكريم والعمل والخدمات الدنيا والاقتصاد والاجتماع والحقوق المدنية. والمعادل الموضوعي هنا هو أنّ نَيْل بعض تلك المطالب، فما بالك بمعظمها، لا يقتضي طيّ صفحة «العهد» وحده، بل يتطلب على نحو أو آخر كسر المنظومة ذاتها، القديمة المتقرنة المستدامة، المتوالدة ذاتياً بدورها.

ولكن كيف للمنظومة أن تنكسر، أياً كان مستوى الكسر هنا، دون إسقاط بهذه الدرجة أو تلك للنظام الأعلى الذي يديمها ويستولدها؟ ومَنْ سيكسر، أو يضع هذا الهدف على جدول الزخم الشعبي، دون أن يلقى ردود الكسر المضادة التي قد تكون أقوى وأشدّ بطشاً وعتواً؛ على غرار ما أوحت به تحركات أنصار «حزب الله» و«أمل» في النبطية وصور، وما قد يكون القادم فيه أعظم وأدهى إذا تآلفت القوى المناهضة للانتفاضة الشعبية فالتحق بها التيار العوني أو آل فرنجية أو آل أرسلان؟

الجلي، حتى تتضح صورة أخرى، أنّ «حزب الله» في ورطة كبرى داخلية لبنانية ـ لبنانية هذه المرّة، قد تكون أشدّ حرجاً وأكثر تطلباً من أزمة 7 أيار (مايو) 2008 حين كشف «سلاح المقاومة» عن هويته الأولى المكرّسة لتطويع الداخل اللبناني. ولعلّ أوّل معطيات الورطة قد توضحت في خطابَيْ نصر الله تعليقاً على الانتفاضة الشعبية، إذْ بين التأييد والتهديد تارة، والوعد والوعيد تارة أخرى، ليس من دون الغمز من التمويل والسفارات والأجندات الخفية؛ شدّد نصر الله على حفظ المنظومة كما هي اليوم، ليس لأيّ سبب آخر يسبق حقيقة كونها المنظومة ذاتها الذي صنعها الحزب وكرّسها وباتت علامته المسجّلة، حتى يشاء تبديل مظهرها الخارجي وبعض وجوهها، وليس مضامينها أو مكوّناتها.

والجلي، كذلك، أنّ رباعي نصر الله وعون ونبيه برّي وسعد الحريري لا يملك مخزوناً عملياً، أو عملياتياً على وجه الدقة، لاستيعاب الزخم الشعبي المتصاعد؛ وثمة، أغلب الظنّ، مراهنة مزدوجة على الإلهاء (عن طريق ورقة الإصلاحات الاقتصادية)، وعلى التنفيس التدريجي (تحت ضغط الزمن وحاجات الحياة اليومية، خاصة في ضوء إغلاق الطرقات والمصارف والمدارس). وفي هذا أيضاً، إنْ نجح كلياً أو حتى جزئياً، بعض تجليات «المعجزة اللبنانية»؛ دون سواها!

السنة الحادية والثلاثون العدد 9707 الأحد 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 28 صفر 1441 هـ

أقوى انتفاضة شعبية عابرة للطوائف يشهدها لبنان منذ آذار 2005

بيروت – «القدس العربي»:
سعد الياس

لعبة عض الأصابع بين السلطة والانتفاضة الشعبية العابرة للطوائف مستمرة، وفي وقت تراهن السلطة على تعب المتظاهرين وخروجهم من الساحات والطرقات وتراجع حضورهم إلا أن وقائع الأيام العشر الماضية أظهرت أن الانتفاضة صامدة وأن المتظاهرين تحدّوا عوامل الطبيعة والأمطار والتحذيرات وحافظوا على وتيرة تحركاتهم التي تتسّع يوماً بعد يوم وتنتقل من منطقة إلى أخرى لتعمّ كل الأراضي اللبنانية بما فيها أماكن تشكّل مناطق مقفلة للثنائي الشيعي في صور والنبطية وكفررمان وبعلبك التي انضمت إلى مدن كبرى مثل بيروت وصيدا وطرابلس وجونية وزحلة مروراً بمناطق عاليه والشوف والمتن والبترون.

وإذا كانت السلطة حاولت احتواء الحركة الشعبية من خلال وعود مؤجلة التنفيذ على غرار الورقة الإصلاحية التي أعلن عنها رئيس الحكومة سعد الحريري أو من خلال رسالة رئيس الجمهورية ميشال عون وما تضمّنته من دعوة إلى حوار مع المعتصمين، إلاّ أن الرد الفوري من الانتفاضة كان الرفض وعدم الاقتناع بأي خطة وأي وعود إصلاحية والتأكيد على رحيل الطبقة السياسية وإحداث تغيير كبير بسبب إنعدام الثقة بالوجوه الحالية انطلاقاً من القول المأثور «من جرّب المجرّب كان عقله مخرّب».

لكن السلطة اكتفت لغاية الآن بالكلام المعسول وبتوجيه التحية للشعب الحي من دون تقديم مبادرة واضحة بإستثناء تلميح رئيس الجمهورية إلى «ضرورة إعادة النظر بالواقع الحكومي» وترحيب الرئيس الحريري بهذا التوجّه من دون خطوات ملموسة.

وبدا جلياً أن هناك تمايزاً في النظرة إلى التعديل أو التغيير الحكومي بين الرئيس الحريري وطرفين أساسيين هما التيار الوطني الحر وحزب الله. فالحريري الذي كان يميل إلى الاستقالة منذ بداية الانتفاضة قبل تلقّي نصيحة من الثنائي الشيعي بالعدول عنها والوعد بعدم تحميله وحيداً مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع الاقتصادية والمالية، يسعى بعد رسالة الرئيس عون إلى مقاربة الأمر بمسؤولية تنطلق من التوافق المسبق على المخارج قبل الإقدام على أي خطوة تجنّباً للدخول في مناكفات وأزمة مفتوحة والوقوع كالعادة في دوّامة الأخذ والرد التي كانت تتسّم بها عملية تأليف الحكومة في أوقات سابقة نتيجة الشروط والشروط المضادة والتي كانت تؤخّر ولادة الحكومة أشهراً طويلة. فكيف بالواقع الحالي حيث هناك دعوات متتالية من أقطاب سياسية كرئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط إلى التخلي عن الوزير جبران باسيل «رمز الاستبداد الحكومي» ورفض رئيس الجمهورية مثل هذا التوجّه بعدما عدل عن التخلي عنه بناء لنصيحة إبنتيه ميراي وكلودين.

في وقت يدعو البعض إلى تغيير وجوه وزارية مستفزّة ومسؤولة عن اندلاع شرارة الانتفاضة وعلى رأسهم وزير الاتصالات محمد شقير، فيما يقترح آخرون أن يطال التغيير ليس فقط تسمية وزراء مكان وزراء القوات اللبنانية الأربعة بل إستبدال وزير أو أكثر من الكتل الممثلة في الحكومة كوزير الأشغال يوسف فنيانوس ووزير التربية أكرم شهيّب ووزير المهجرين غسان عطاله في حال عدم التوجّه إلى تأليف حكومة اختصاصيين أو حكومة مستقلة كلياً.

أما حزب الله والتيار البرتقالي فلديهما حسابات أخرى تختلف عن حسابات الحريري وباقي القوى السياسية، فهما يتمسّكان ببقاء الحكومة وعدم حصول تغيير وفق ما أكد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في إطلالته الأولى بعد الاحتجاجات إنطلاقاً من فائض القوة الذي يشعران به ولعدم تسجيل أي نقطة عليهما بأنهما رضخا تحت الضغط الشعبي وقدّما التنازلات خشية عدم الاقتناع من قبل المتظاهرين ومطالبتهما بمزيد من التنازلات.

وبالنسبة إلى حزب الله أولاً، فإنه على عكس الحريري إلى البيت الأبيض للقاء الرئيس الأمريكي بارك أوباما، فهو متمسّك حالياً بالحريري وبأمسّ الحاجة للبقاء في الحكومة لتحديد الاتجاهات الاستراتيجية للدولة، لأن حضوره داخل الحكومة يعزّز أوراقه في إطار مواجهته العقوبات المفروضة عليه سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أو من دول عربية وغربية. كما يعتبر الحزب أن بقاء الحريري على رأس حكومة وحدة وطنية وذي وجه سياسي هو ضرورة له لأن الحريري بعلاقاته العربية والدولية يشكّل أفضل مظلّة للحزب وللبلد تماماً كما وجود الوزير جبران باسيل في حقيبة الخارجية الذي يعبّر عن توجّهات الحزب في الجامعة العربية والمنابر الدولية. أما عودة الحريري على رأس حكومة تكنوقراط غير سياسية سيدفع إلى خروج حزب الله من هذه الحكومة ويفقده مشروعية حكومية، وقد يحضّر الأرضية لتعزيز الحالة الشيعية الخارجة عن نفوذ الثنائي الشيعي ولاسيما بعدما شهدته المناطق الجنوبية من تمّرد شيعة مستقلين ويساريين على الوضع القائم.

سياق تنازلي

كما يعتبر حزب الله أن خروج باسيل من الحكومة سيفقده ورقة أساسية في وزارة الخارجية، ويعتبر أن أولى ضحايا أي حكومة مستقلة قد تكون المعادلة الثلاثية «جيش وشعب ومقاومة» على الرغم من تمويهها في البيانات الوزارية للحكومتين السابقتين، وستُعتبر خطوة في سياق تنازلي قد يصيب العهد الذي إن رحل سيكون ضربة قوية للمحور السوري الإيراني القابض على زمام الأمور في لبنان والذي يعتبر بيروت إحدى العواصم العربية الأربع الخاضعة للنفوذ الإيراني وسيشجّع العراقيين على العودة إلى ساحة التحرير للمطالبة باستقالة الحكومة.

من هنا يُفهَم تمسّك الحزب بالعهد والحكومة وما زال يعتبر أن الوضع ما زال تحت السيطرة طالما ابتعدت الانتفاضة عن التسييس وعن المطالبة بنزع سلاحه الذي يتفادى حزب الله استخدامه مرة جديدة في الداخل لفرض أمر واقع كما حصل في اجتياح بيروت في 7 أيار وهو يتكّل لغاية الآن على تحرّك مناصري التيار الوطني الحر لإضعاف الحركة الشعبية أو لإسقاطها تحديداً في المناطق المسيحية.

وهذا ما برز في الأيام القلية الماضية من خلال اتهام التيار البرتقالي حزب القوات اللبنانية بالوقوف وراء المتظاهرين ودفعهم إلى قطع الطرق وبالتالي العمل على تحضير تحركات عونية في جونية وبعبدا تدعو إلى تأييد العهد وفتح الطرقات بالقوة ووقف الأعمال الميليشياوية. وضمن هذا الإطار يندرج الهجوم على المعتصمين في محلة مزرعة يشوع والتلويح بالتحرك ضد المتظاهرين في كسروان والمتن واتهام معراب وأبناء بشري بأنهم يقطعون الطرقات في غزير وزوق مصبح وجل الديب لتحريض الناس عليهم.

أما بالنسبة إلى التيار الوطني الحر فهو لا يريد عشية الذكرى الثالثة لانتخاب الرئيس عون أن يسجّل أي تراجع أمام الضغط الشعبي أو أمام القوات اللبنانية التي استقال وزراؤها كخطوة ضاغطة لتنحية كامل الحكومة. ولا يريد التيار تكرار تجربة الرئيس بشارة الخوري عام 1952 الذي وإن كان رئيس الاستقلال أقدم تلقائياً بعد احتجاجات شعبية انطلقت في السنة الثالثة لتمديد ولايته الدستورية على كتابة استقالته والتدوين إلى جانب توقيعه «كل نقطة دم تسقط من أي مواطن تساوي كل رؤساء العالم».

وإذا كان التيار لم ينغمس في منظومة الفساد قبل العام 2005 فهو يعتبر خروجه من الحكومة إدانة لأدائه وليس مستعداً للتخلي عن الأغلبية الوزارية التي يمتلكها في الحكومة وإمساكه بمفاصل الدولة من خلال التعيينات الإدارية والأمنية.

وبناء على موقف كل من حزب الله والتيار البرتقالي وبعد سقوط ورقة الترغيب التي تمثّلت بالورقة الإصلاحية للحريري وبرسالة رئيس الجمهورية، وبعد فشل قمع الجيش اللبناني في قمع التظاهرات وفتح الطرقات بالقوة الناعمة، هل يلجأ الفريقان إلى الترهيب وأسلوب الدراجات النارية أو القمصان السود ووضع شارع مقابل شارع والتي بدأت طلائعها بإذكاء التفرقة وتحييد السيد نصر الله عن شعار «كلّن يعني كلّن» ومهاجمة رئيس القوات سمير جعجع وقد بدأت «البلطجة» منذ يوم الخميس وتصاعدت الجمعة في ظل حديث نصر الله عن مؤامرة الدول من قمع هذه التظاهرات السلمية المعبّرة بطرق حضارية وديمقراطية؟ ولمن سيلعب الوقت هل لصالح السلطة أم لصالح الشارع؟

يبقى أنه إذا كانت ثورة 14 آذار 2005 التي نجحت منذ يومها الأول بإخراج الجيش السوري من لبنان فهل تنجح ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019 في تحقيق أهدافها ومتى أم نكون أمام سيناريو 7 أيار جديد بعد رفع أمين عام حزب الله إصبعه؟

Volume 31 - Issue 9707 Sunday 27 October 2019

جمهورية الطرقات المقطوعة الحرة: قبسات الصراع الطبقي

وسام سعادة

لبنان آخر تماما هو الذي اكتشفته، ليلة أمس الأول، من بيروت إلى طرابلس، مرورا بالعاميات الشعبية في البلدات الرئيسية على طول الاوتوستراد الساحلي. السلطة على طول هذا الشريط بدت للأحرار من «قطاع الطرق»، للساهرين، غير الساهدين، المتيقظين المتوثبين، التعبين الفرحين، العاطلين عن العمل، والعاملين بالأجر الذين لا يعرفون كيف ينالون معاش هذا الشهر إذا بقي أقفال المصارف على حاله، ولا يعرفون ماذا يبقى منه إذا فتحت المصارف من دون مراقبة منهجية نافعة من شأنها الحد من التسابق عليها لسحب الودائع وتزايد الطلب على الدولار وعبث كبار المضاربين بأموال العامة من الناس.

كان زعيم «حزب الله» قد تحدث قبل ساعات قليلة من هذا التنقل الصعب والمسحور في لبنان الثورة، ليلا. فبعد أسبوع بالتمام على كلامه الأول في أعقاب انطلاقة الاحتجاجات المتخذة سريعا شكل انتفاضة شعبية وعصيان مدني، والذي حرّم فيه إسقاط رئيس الجمهورية في الشارع وحذّر فيه رئيس الحكومة من سوء العاقبة ان هو استقال، أخذ نصر الله يشيد بالقصيدة النيوليبرالية المشتتة التي حملت عنوان «الورقة الإصلاحية»، وهي ما تقدم به سعد الحريري أمام الناس بعد ان استمهلهم ثلاثة أيام أول ما انفجرت الأوضاع.

كان سعد الحريري خجولا في دفاعه عن ورقته، وصريحا في انهالن تقنع المنتفضين، وميشال عون نفسه كان هو الآخر أثنى عليها في حدود أقرب لرفع العتب. أما حسن نصر الله فاستخدم ما صنفته كتب المنطق نمطا من المغالطة السفسطائية. بدلا من القياسين البرهاني والبياني، لجأ نصر الله إلى القياس السفسطائي. اعتبر ان الورقة فيها تقدم عما سبقها، وان عدم اعتراف المنتفضين بهذا التقدم يقيم عليهم الشبهة، ثم أخذ يمغط في الشبهة إلى ان زج فيها بكل مستحضرات «نظرية المؤامرة».

تولي دروس الحوزة العلمية أهمية كبرى للشروح حول الأقيسة المنطقية واختلافاتها. لكن السيد فضّل اللجوء إلى أبعدها عن وزن الحجة بالحجة، وبالبرهان والدليل. من البديهي ان يفصح عن مخاوفه، أو أن ينطلق من معطيات، لكن لا هذه ولا تلك تسوغان أخذ الأمور بالشبهة، ثم تعمير بناء خطابي فوق كوم من شبهات، من دون ترابط غير ترابط المتغلب.

عبثا حاولت أن أطرد مسألة الأقيسة المنطقية من البال، ونحن «نبحر» باتجاه طرابلس، ونتوقف عند كل محطة ثورية، ونلتقط تميزات المشهد الليلي الانتفاضي من بلدة إلى أخرى.

السواتر الترابية في منطقة العقيبة، التي كنا نصطدم بها نظرا للإنارة المفقودة، بدت في عز الليل شبها للصور المحفوظة من كومونة باريس. انها الكومونة، أخذنا بين الجد والمزح، نتبادل التشبيه. كان معظمنا في السيارة إلى طرابلس جزءا من تنظيم يساروي نهاية التسعينيات. كنا بين المزح والجد أيضا، نضرب لها موعدا في مئوية اكتوبر 1917 أي قبل عامين من الآن. تأخرت عامين، لكنها جاءت اكتوبرية، على توقيتها وبطريقتها.

لم قول فريدريك انجلس «انظروا إلى كومونة باريس انها ديكتاتورية البروليتاريا». قالها رفيق فكر وكفاح كارل ماركس، عن مدينة ثائرة لم تقم فيها لا الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج ولم يصادر فيها الثوار بنك فرنسا الذي استمر يرسل المال إلى حكومة أعداء الكومونة في فرساي. شيء من هذا، طيفيا، جاز ان يقال عن هذا الشريط الساحلي «انظروا إلى الطرقات المقطوعة على امتداد الشريط الساحلي، انها طيف الكومونة»!

ندخل إلى بيت القصيد هنا. لا يمكن ان يشاهد المرء الاحتجاج الاجتماعي، والعصيان الأهلي، بالصورة نفسها، إذا كان تاريخ الحركة العمالية والاشتراكية جزءا أساسيا من تراثه، الفكري والقيمي، ومشكلا لخيلته، أو جاءت الإحالات التراثية والمتخيلة مختلفة.

فإذا كان هناك أثر جدي في نظرتك وحسابك لمقولة «ان تاريخ كل مجتمع كان تاريخ صراع بين الطبقات» (المانيفستو)، سيكون من الهزل ان لا تلجأ إلى هذه المقولة ساعة تخرج مئات الآلاف ليس إلى الساحات فقط، بل إلى العصيان الشعبي العام، ضد من تعتبرهم متسببين في سياسات رهن حرية الناس الخاصة وحرية الدولة العامة لدى المصارف، وافقار وابتزاز، وضد من تعتبر ان تكدس الثروات الهائلة بين أيديهم، واتجاههم إلى سحب رساميلهم من البلد أكثر فأكثر، يهدد الشروط الأساسية لوجودها الاجتماعي.

ينبغي التمييز مع ذلك. هذا النظام باشر بالانهيار ليس بنتيجة صراع طبقي مستعر. انما في اللحظة نفسها التي بدأت تتهيط أساساته، قفز الصراع الطبقي إلى الميدان، لا ليرسي لا نقابيا ولا حزبيا، لكن الجماهيرية والعاصية، وغير القابلة للتعايش بعد مع أبرز أركان الأولیغارشية ومع استمرار حرب رأس المال المالي الطفيلي من جانب واحد فقط على الطبقات الشعبية، ستجد دائما من هو غارق بالاختزالية «الاقتصادوية». يضاعته أن الصراع ما لم يكن مطلبيا ونقابيا سيخسر طابعه الطبقي، دون ان ينتبه لبرهة إلى حيثيات انفلات هذه الموجة من الصراع الطبقي من دون تأطير مطلبي نقابي تراكمي سابق له. ما لم يلد نقابيا لم يمكن إعادة «تنقيبه» هكذا.

بعض هذه الاختزالية «الاقتصادوية» للصراع الطبقي غير ضار في الوقت الحالي. يصير كذلك باختلاطه بنظرية المؤامرة على الشكل التالي: بما ان رقعة الاحتجاج الاجتماعي توسعت باقترانها سريعا بشعار إسقاط النظام، بدءا من إسقاط الحكومة، فان «الاقتصادوية الاختزالية» أخذت تتشكى من «قطاف» رأس المال المالي للانتفاضة نفسها، ما دامت التلفزيونات تغطيها، وهي تغطية لعبت في آن واحد دورا في توسعة مدى المشاركة الشعبية، وفي «تنقيه» المشهد العام، بإظهاره «عرسا وطنيا»، أو بتحويله إلى صراع «زعران واوادم» ليس غير، قبل ان يسهل انتقال قسم من الإعلام إلى الجانب الآخر من المعادلة لضغط أو لآخر.

> الواضح حتى الآن، ان الانتفاضة قوي ببساطة شعارها المركز، رحيل حكومة الاوليغارشيين المتواطئين، وان هدف منظومة حزب الله وباسيل والحريري أيضا واضح: إسقاط كومونة الطرقات المقطوعة الحرة

الاستدلال بالتغطية الإعلامية للاشتباه بانتفاضة شعب، بانتفاضة ذات عمق طبقي حاد هو تعام مطلق عن دروس أولية في الماركسية. من جهة هو يرتبط بمن ليس بمستطاعه ان يفهم الصراع الطبقي إلا في جانبه المطلبي، أي حيث هو ليس بعد صراعا بين طبقتين بالمعنى الشامل، أي السياسي. ومن جهة، ثمة من يقرأ الأمور بثنائية ان كل شيء أما عفوي وأما تآمري. وعليه، إذا استمر احتجاج وتوسع، سيفقد تبعا لهذه النظرة المختلة، براءته ويتحول إلى تآمر أو ضحية تآمر. هذه إلى حد كبير، مقاربة نصر الله. الصراع الطبقي مقولة مستحيلة من وجهة نظره. وهذا بديهي ايديولوجيا. غير بديهي لدى قسم من اليسار مؤمن غيبيا بأن حزب الله يمكن ان يكون يسارا لا واعيا، وديالكتيكيا بشكل لا واعي. في علم المنطق، شبهات نصر الله على الانتفاضة بدت أقرب بكثير إلى السفسطائية من الديالكتيك.

فحتى لو سلمنا جدلا، مثلا، بأن الورقة الإصلاحية الحريرية التي يبشر حزب الله بها اليوم تعد تقدما عما سبق، فان عدم مراس زعيم حزب الله بالعمل النقابي جعله يعتقد ان النقابات حين تنال حقا أو وعدا بحق فانه ينبغي ان تحتفل بذلك مباشرة وان تحتفل بذلك بشكر الجهة التي تطالبها بالإصلاح أو بالتقديم. لكن، منطق «خذ وطالب» لا يستقيم هكذا، بل «ينبني على طالب بأكثر كلما أخذت أكثر». هذا مع ان القياس معطوب كله هنا، لأن الحركة ليست حركة «مطالب» يرفعها محكوم إلى حاكم في عريضة تظلمية، بل هي حركة كفر المحكوم بشرعية الحاكم، واسترداد هذه الشرعية من القليل الذي كان يسري منها في المؤسسات، إلى الكثير الذي ينبض في الساحات المنتفضة.

عدنا أدراجنا من الرحلة الليلية في جمهورية الطرقات الساحلية المقطوعة الاجتماعية الحرة. حين كتبت هذه السطور كان لا يزال الكر والفر جاريا، مرة تفتح، ثم تعاد فتقطع الطرقات. اما الحريري فأكثر من أي وقت مضى في حراسة نصر الله، وحزب الله قد يجد سهولة في اقناع محازبيه بنظرية المؤامرة، كونه حزب لاغي من الأساس لمفهوم صراع الطبقات، لكنه يجد صعوبة بالغة في تسويغ استماتته في الدفاع عن الحريري حتى في داخله. إسقاط هذه الحكومة غير سهل، وحزب الله يدافع عنها بما اوتي من وسائل، والحريري يدافع عن وجوده السياسي، لان استقالته تعني أيضا انتهاء حياته السياسية. الواضح حتى الآن، ان الانتفاضة قوي ببساطة شعارها المركز، رحيل حكومة الاوليغارشيين المتواطئين، وان هدف منظومة حزب الله وباسيل والحريري أيضا واضح: إسقاط كومونة الطرقات المقطوعة الحرة. لكن، ما هي أهلية سلطة يكون كل مناطها، لإنقاذ شرها ونهبها وفشلها وقمعها، هو فتح الطرقات؟ لا شيء، قطعا!

خوف من إقبال كبير على المصارف عند فتح أبوابها ومن تحويلات مالية إلى الخارج

لبنان: الخسائر الاقتصادية لشلل البلاد بين 25 و50 مليون دولار يومياً

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

على الرغم من عدم اقتناع المتظاهرين في الساحات والطرقات بالورقة الإصلاحية التي أقرّها مجلس الوزراء وأعلن عنها رئيس الحكومة سعد الحريري، إلا أن هذه الورقة ما كان لها أن تبصر النور لولا الضغط الشعبي الذي أدخل البلاد في حالة شلل وإقفال شبه تام. وتُقدّر خسائر التعطيل اليومي على اقتصاد البلد بما بين 25 إلى 50 مليون دولار حسب الخبراء الاقتصاديين.

وإعلان رئيس الحكومة أنه سيتم خفض قيمة الدين العام 6 مليار دولار في مشروع موازنة 2020 ليصبح العجز 0.6 في المئة هو إشارة إيجابية للأسواق العالمية. من المعلوم أن خفض هذا العجز لم يكن وارداً لولا مساهمة المصارف ومعها مصرف لبنان بمبلغ 5100 مليار ليرة.

غير أن هذه المساهمة من المصارف ترافقت مع تحذير وكالة التصنيف الدولية «موديز» من «أن الثقة في قدرة الحكومة اللبنانية على خدمة ديونها قد تتقوّض بدرجة أكبر بسبب خطتها لإجبار المصارف على القبول بسعر فائدة أقل على دينها». وقالت إنّ «زيادة ضرائب القطاع المالي ستكون ذات أثر ائتماني سلبي على المصارف، حيث ستضغط على عوائدها الضعيفة أصلاً وقدرتها على امتصاص الصدمات».

والواقع أن القطاع المصرفي هو القطاع الوحيد الذي ما زال محافظاً على تماسكه وقوته إلا أن هذا القطاع الذي يشكّل العمود الأساسي لما تبقّى من اقتصاد مزدهر تعرّض لتهجّمات من قسم من المتظاهرين ولمطالبة بإقالة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة بعد اتهامه بالتغطية على الفساد وإعطاء قروض سكنية مدعومة لكبار الرأسماليين كالرئيس نجيب ميقاتي وابنه وشقيقه وكبار القضاة. وقد يكون سبب هذا التهجّم على سلامة هو التزامه بتطبيق العقوبات الأمريكية على حزب الله وترجمة لما سبق وتردّد عن تحضير الحزب لاستهداف القطاع المصرفي.

وتزامناً مع حركة الاحتجاج أقفل القطاع المصرفي في لبنان أبوابه تخفيفاً من الطلب الكبير على الدولار وتفادياً لانخفاض قيمة العملة اللبنانية وخوفاً من قيام زبائن بتحويلات خارجية للدولار خصوصاً من قبل الأثرياء والفاسدين مع العلم أن تأزم الوضع الاقتصادي والمالي أدى ويؤدّي إلى استنزاف احتياطي مصرف لبنان بالعملة الصعبة.

وبرّر مجلس إدارة جمعية مصارف لبنان هذا الاقفال «باستمرار الأوضاع الأمنية المضطربة وإقفال معظم الطرق وحرصاً على سلامة العملاء وموظفي القطاع وممتلكاته» علماً أن ثاني أيام التظاهرات شهد دخول مندسين قاموا بتحطيم واجهات 3 مصارف في وسط بيروت. وعليه سيقتصر عمل المصارف على تأمين رواتب الأجَراء والمستخدمين والموظفين في نهاية الشهر الجاري من خلال أجهزة الصرّاف الآلي المنتشرة في مختلف الأراضي اللبنانية.

وعلى الرغم من النقطة الإيجابية المتمثّلة بتخفيض العجز نتيجة مساهمة المصارف، إلا أن البعض وبينهم رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط نظر إلى الإصلاحات المقترحة على أنها «مخدّرات واهية» وتمنى هذا البعض لو اكتفت الحكومة ببضعة بنود بدلاً من لائحة تخديرية طويلة وصلت إلى 24 بنداً معظمها مؤجّل التنفيذ ويحتاج إلى اقرارها بقوانين.

ولعلّ أبرز بند يطالب به المتظاهرون هو استعادة الأموال المنهوبة التي إذا ما استُردّت من شأنها كما يرون سداد الدين العام في لبنان المقدّر بما بين 90 إلى 100 مليار دولار وستغني لبنان عن مليارات «سيدر» في وقت يتحدث البعض عن أن الأموال المحوّلة إلى حسابات في الخارج تتجاوز هذه الأرقام بأضعاف.

وكان لبنان بسبب السلطة الفاسدة احتلّ المرتبة 138 بين 180 دولة ضمن مؤشّر الفساد عالمياً لعام 2018 وفي المرتبة الـ13 عربياً وذلك في غياب المحاسبة والمساءلة. ومنذ عام 1990 فإن المرة الوحيدة التي رفعت فيها الحصانة عن نائب كانت في منتصف التسعينيات عندما تمّ رفع الحصانة عن النائب يحيى شمس بضغط سوري إضافة إلى الوزير شاهي برصوميان في عهد الرئيس اميل لحود انتقاماً من عهد الرئيس الياس الهراوي فيما محاولة فتح ملف الرئيس فؤاد السنيورة كوزير سابق للمال لم تصل إلى نهاية.

يبقى أن الورقة الإصلاحية التي شكّلت نقلة نوعية لم تلقَ التجاوب التام من المنتفضين انطلاقاً من اعتبارهم أن المتسببين بالفساد وبالأزمة المالية والاقتصادية لا يمكن أن يكونوا هم أنفسهم أبطال الحل في ظل انعدام الثقة بهم وخيبة الأمل من وعودهم المتكررة.

لقطات

● استخدم اللبنانيون عددا من الوسوم للتعبير عن تأييدهم للتظاهرات في جميع الأنحاء اللبنانية، وكان أبرزها #لبنان_ينتفض و #اجا_وقت_نحاسب و #كلن_يعني_كلن. وكان وسم #لبنان_ينتفض الأكثر تداولا في بعض الدول العربية الأخرى حيث أعلن المغردون من خلاله تضامنهم مع المتظاهرين.

● من المشاهد التي أثارت إعجاب مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي هو مشهد ركل إحدى المتظاهرات لرجل أمن قرب بنك عودة. وتحولت الصورة إلى أيقونة للتظاهرات.

● انتشرت صورة على وسائل التواصل الاجتماعي، تظهر عشرات المتظاهرين، في ليلة انطلاق التظاهرات، على بطونهم في حين تعتقلهم قوات الأمن.

● شهدت مدينتا صور والنبطية الجنوبيتين، وذات الغالبية الشيعية، تظاهرات واسعة تطالب بإسقاط الحكومة، وإعادة الأموال المنهوبة، وركّزت على رئيس مجلس النواب، وزعيم «حركة أمل» وزوجته، متهمينهما بالسرقة والفساد. وقام متظاهرون بحرق أجزاء من فندق تملكه رندة بري، زوجة الرئيس، كما قاموا بإسقاط عواميد عليها رايات حركة أمل، وتمزيق صورة بري. ولاقى ذلك ردّة فعل عنيفة من أنصار حركة أمل فقاموا بضرب المتظاهرين في مدينة صور، وبعدها بأيام، قامت قوات البلدية بالهجوم على المتظاهرين في سوق النبطية، بحجة أنهم يغلقون الشوارع والسوق، وانهالوا على الناس ضرباً مخلفين عدد من الجرحى.

● في مشهد كشف عبور هذا التحرك للطوائف، قام متظاهرو مدينة طرابلس السنية، بالتعبير عن تضامنهم مع صور والنبطية بعد كلا الحادثتين، عبر شعارات مهتوفة ومكتوبة.

● قام مجموعة من الشبان يقودون دراجات آلية، وحاملين أعلاما تعود لحزب الله وحركة أمل، بمحاولة الدخول إلى منطقة ساحة الشهداء ورياض الصلح، وسط بيروت حيث التظاهرات الحاشدة، بهدف الاعتداء على المتظاهرين، ولكن في هذه المرة، تصدّى لهم الجيش ومنعهم من المرور.

● قام المتظاهرون بإغلاق الطرقات والاعتصام ليلاً للضغط على الحكومة لتحقيق المطالب، وبدا واضحاً الدور النسائي في هذه الاعتصامات، إذ انتشرت صور لعدد كبير من النساء اللواتي لعبن دوراً محورياً في إغلاق الطرقات. ومن الطرائف، انتشار صورة لأحد الطرقات المغلقة، وقد تم صدّها بشتلات أشجار.

● أجرى المتظاهرون بعفوية تامة تعديلا على أغنية الفنان فضل شاكر «فاكر لما تقولي» لتصبح أقرب إلى «نشيد الثورة» التي تعبر عن رفض المتظاهرين لبقاء السلطة.

● ردد مئات آلاف من المحتجين في وسط بيروت مع الفنان محمد إسكندر أغنية «من أين لك هذا؟ عم تلعب بالملايين، ملايين المغرومين ناصب على مين ومين، من أين لك هذا؟ دخلك قلي يا كبير، سرك هيضل ببير (بئر) دمرت قلوب كتير».

● انعقدت حلقات الدبكة في الكثير من المدن التي شهدت تجمعات مناهضة للحكومة وردد المتظاهرون أغنيات حماسية لكل من فيروز وجوليا وماجدة الرومي وزكي ناصيف ومرسيل خليفة وغيرهم.

● شارك مرسيل خليفة المتظاهرين الذين تجمعوا بالآلاف في مدينة طرابلس بشمال لبنان، وقدم أغنيات (اني اخترتك يا وطني) و(يا بحرية) وسط حماسة الجمهور الذي لم يحمل سوى الإعلام اللبنانية دون سائر الأحزاب والتيارات.

● في وسط بيروت امتشق الفنان جاد خليفة شاحنة صغيرة عليها مكبرات للصوت وبدأ بتأدية الأغاني الوطنية ومنها لوديع الصافي وعاصي الحلاني وفيروز. وكذلك فعل الفنان سعد رمضان في نقطة أخرى من الاحتجاجات.

● تحلق الممثل بديع أبو شقرا حول مجموعة من الفنانين في وسط بيروت وانشدوا معا أغنية قديمة للفنان المصري الراحل الشيخ إمام وتقول كلماتها (شيّد قصورك ع المزارع... من كدنا وعمل ادينا /والخمارات جنب المصانع / والسجن مطرح الجنينة).

● علقت الممثلة كارمن لبس على المهلة بالتساؤل «قبل 72 ساعة شو كان في؟ ما كان ممكن يتزبط الوضع اقتصاديا؟ ثلاثة أرباع الزعماء مهربين مصرياتهن (أموالهم) على سويسرا، يجيبوا جزء منها».

● قالت الممثلة انجو ريحان إنها جاءت إلى التظاهر للمطالبة بحقوق بديهية وعادية ومن أبسط مقومات العيش. وأضافت «جئت للمطالبة بمياه نضيفة، هواء نضيف، بدي ما موت بالكانسر (السرطان) بدي مستشفيات مثل الخلق، مدارس وطرقات، والأهم بدي كل الحكومة الفاسدة ترجع المصريات المنهوبة للدولة».

● أصطحب الفنان رامي عياش زوجته داليدا إلى ساحة رياض الصلح وسط بيروت وهي ترتدي زيا هو عبارة عن العلم اللبناني وقال عياش «زوجتي خايفة على مستقبل ولادنا، نحن اليوم وراء الناس وليس قدامهم».

● كان الفنان راغب علامة من أوائل المشاركين في التظاهر معلنا خلال مسيرة في وسط بيروت أن مطالب الناس تشكل همه الدائم ويعكسها في أغنياته وقال «أنا كنت من أول الذين خافوا على الوطن عندما غنيت طار البلد».

ناشطة حقوقية: النساء أثبتن قدرتهن على قيادة الثورات

المرأة اللبنانية كسرت القيود وانتفضت ونزلت إلى الساحات

بيروت ـ «القدس العربي»: ناديا الياس

لأن الثورة تولد من رحم الأحزان، انتفض لبنان الشعبي بكلّ أطيافه احتجاجاً على الفساد المستشري واستفحال الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي وصلت إليها البلاد على خلفيّة «الضريبة على الواتساب» التي كانت الشرارة التي فجرّت الاحتقان الشعبي الذي نزل إلى الشارع وملأ الساحات والشوارع بالاحتجاجات والتظاهرات التي عمّت لبنان من اقصاه إلى أقصاه وصولاً إلى عواصم ومدن العالم.

وخطفت الأنظار أحجام المتظاهرين التي فاقت التوقعات محلياً وخارجياً بعد نزول الشعب عفوياً متغلّباً على الانتماءات السياسية والحزبية والطائفية والمذهبية التي تحكّمت بيد من حديد بمفاصل حياته، فانتفض على هذا الواقع عبر التسلّح بهويته الوطنية ونزل إلى الشارع للتعبير عن وجعه وحاجاته ومطالبته بإسقاط النظام الطبقة السياسية الحاكمة من دون استثناء «كلن يعني كلن». كما أخذ تحرّكه حيّزاً متقدماً لم يكن يتوقعه أحد ولاسيما بعد الرهانات السابقة للطبقة السياسية على أنّ الشعب لن يتحرك ولن ينتفض على الواقع.

وكان لافتاً للغاية مشاركة المرأة في هذه الاحتجاجات والتظاهرات حيث كانت هي الحدث الأبرز ولفتت أنظار العالم إليها عبر مطالبتها بحقوقها وحقوق أولادها ووقوفها جنباً إلى جنب مع مطالب المعتصمين والمحتجين بإسقاط النظام السياسي وإعادة الأموال المسلوبة إلى الشعب الذي كفر بالجوع والعوز وبغرض الضرائب التي لم تعد مقبولة. وعلا صوت المرأة اللبنانية ضد البطالة والطائفية وضدّ انقسام الشعب والطبقة السياسية الحاكمة وضدّ الاستهتار بحقوق ومطالب الناس، ويمكن القول إنّ مشاركة المرأة كانت شاملة، فرأينا المرأة الفنانة والعاملة والأم والطالبة وسيدّة المجتمع ومربية الأجيال والقانونية وربّة الأسرة في الاعتصامات والتحركات ودعوتهّن للآخرين للنزول إلى الشارع رفضاً للقمع والظلم والفقر والجوع ومحاربة الفساد وتغيير الطبقة الحاكمة وتأمين أفضل فرص العيش الكريم لأبناء الوطن. وبدت المرأة واثقة من أهمية دورها الذي لم يعد يقتص كما كان يراهن السياسيون الذكوريون، على البيت والتربية حسب ما أكدّت إحدى المشاركات في الاعتصامات والتي أثنت على الحركات النسائية التي تحمل على عاتقها حماية كلّ مواطن مقهور ومظلوم.

وتلاقى موقف محتجّة أخرى مع زميلتها السابقة، واعتبرت أنّ مشاركة المرأة هي أساسيّة وفعالّة، ورأت انه لا فرق بين الرجل والمرأة في التحرّكات والاحتجاجات. وقالت نحن كلّنا واحد ونريد حلاً جذرياً للمواطن اللبناني ولا نريد ان يذّلنا أحد، ومشاركتنا هي للتأكيد أننا نريد أن نعيش بكرامة مع أولادنا.

ورأت إحدى المشاركات في الاعتصامات أنّ من حقّها القانوني أن تتظاهر وتعبّر عن رأيها بكلّ حريّة وأن تثور لنيل المطالب والحقوق، مشدّدة في الوقت عينه على أهمية دور المرأة في صنع القرار السياسي.

وحرصت المرأة اللبنانية على المشاركة بشكل واسع في الاعتصامات لأنّها تعدّ بطبيعتها داعية أساسية للأمان والسلام وترجمت هذا الأمر عبر وقوفها مرّات ومرّات درعاً بين المعتصمين والقوى الأمنية لعدم التصادم معهم، كما رأيناها توزّع الورود على الجيش اللبناني الذي وضع في مواجهة المعتصمين لفتح الطرقات.كما حرصت المرأة عبر مشاركتها في التظاهرات على حضارية الثورة من خلال إطلاق دعوات لتنظيف الساحات التي حصلت فيها أعمال الشغب مع بداية التحركات فدعت الشباب إلى حمل الأكياس وتجميع المخلّفات التي نتجت من أعمال تكسير وشغب.

وردّاً على ما تمّ تداوله من صور ومقاطع الفيديو لعدد من المتظاهرات اعتبرهن البعض رموزاً للحب في زمن الثورة وطالبهنّ بمزيد من الاحتشام، أكدّت متظاهرة أنّ «تاريخ النساء اللبنانيات بالنضال أكبر من الرد على هذه التعليقات الذكورية والسطحية» وأكدّت في الوقت عينه إلى أن «ما نشهده اليوم هو ولادة وطن قائم على شراكة حقيقية بين كل من النساء والرجال».

وحول مشاركة المرأة في هذه الثورة الشعبية التي يشهدها لبنان للمرة الأولى استطلعت «القدس العربي» رأي المحامية أنديرا سمير الزهيري وهي ناشطة حقوقية وباحثة في قضايا وحقوق الإنسان والمرأة والطفل، شاركت ولا تزال في التحرّكات الشعبية، فرأت أنّ مفهوم الانتفاضة ليس بجديد انما يتطور مع كلّ مرحلة، ونحن لا نخفي دور المرأة في مناصرة الرجل في القضايا الملحة وقد أثبت جدارتها وقدرتها على انجاح الثورات والقيادة وتحدّي التقاليد في مجتمعنا الذكوري الذي لطالما حدّ من طموحها ومقدرتها على التقدم.

وفي المطلق، أكدّت المحامية انديرا أنّ المرأة بدأت ثورتها على نفسها وكسرت القيود فخلعت ثوب التبعية المعدمة واتخذت منهجاً لنفسها كإنسان ومن حقها في التعبير والعمل والتعلم والترشح والقيادة والكفاح في سبيل القضايا المصيرية لعائلتها وبلادها والحدّ من العنصرية والتحقير بشأنها، وهذا طبعا لم يكن سهلا ولكن بعزيمتها واصرارها ومثابرتها كسرت هذا الجدار، ولفتت إلى أنه في الثورات نجد المرأة كيف تتحدى الاستعمار والاحتلال وتناضل وتكافح من أجل أبنائها من ظلم بعض القوانين بحقهّا وتطالب بحق منح الجنسية لأطفالها وغيرها.

واعتبرت انه على صعيد التحرّكات الشعبية اللبنانية أثبتت المرأة من بيروت والشمال والجنوب والبقاع وجبل لبنان قوتّها وجرأتها وجدارتها وحكمتها وحسن إدارتها بوقوفها إلى جانب الرجل وهي لفتت أنظار المجتمع المحلي والعربي والدولي واعتبرت «أيقونة» ولم يعد دورها يقتصر بمطالبتها في ان تتمثل في البرلمان بـ30 في المئة كوتا نسائية. وقد أثبتت أن المرأة اللبنانية هي الأم والموظفة والمعلمة والممرضة والطالبة الجامعية والتلميذة والمناضلة والسياسية والمكافحة والمثابرة والقائدة وصمام الأمان لمنع الفتن والتصادم.

> علا صوت المرأة اللبنانية ضد البطالة والطائفية وضدّ انقسام الشعب والطبقة السياسية الحاكمة وضدّ الاستهتار بحقوق ومطالب الناس، ويمكن القول إنّ مشاركة المرأة كانت شاملة.

وأضافت المحامية أنديرا كان لي شرف المشاركة في هذه الحالة التي لم يشهد لها لبنان مثيلا، حيث رفرف علم لبنان وزّين الساحات وكانت لصرخة النساء صوت جولييا وماجدة وفيروز، من قلب الثورة.

وأكدّت «انّ المرأة التي نزلت إلى الساحات وجعلت منها مكانا أفضل وأنظف واعترضت على حرق الدواليب من أجل صحّة المعتصمين ومن أجل البيئة قامت بتحضير الأطعمة ووزعتها على المعتصمين وصرخت بالثورة ونادت بجانب الرجل بالحقوق المطلبية المحقة نادت بلبنان فقط من أجل لبنان. المرأة اللبنانية اختصرت كلّ شيء وكانت بيروت ست الدنيا الجمال والحضارة والنضال ووقفة عز. إنها أيقونة الساحات».

السنة الحادية والثلاثون العدد 9707 الأحد 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 28 صفر 1441 هـ

كورس بحدود مترامية جداً وسط بيروت يغني «حرامي...حرامي»

لبنان يسكن الساحات ويطلق العنان لانتفاضته

بيروت – «القدس العربي»: زهرة مرعي

لو قدر للكلمات العربية أن تختار من بينها واحدة كانت خلال هذا العام من بين الأكثر تداولاً، أو الأكثر نطقاً من أفواه الناطقين بلغة الضاد لفاز تعبير «حرامية» بدون منافسة. حرامي وحرامية أي سارق وسارقين باللهجة اللبنانية المحكية، لم تكن في هذا العام الحامل للرقم 2019 في التقويم الميلادي حكراً على لبنان. سبق الشعب الجزائري الشعب اللبناني وإن كان تعبيرهم مختلفاً. وحاول المصريون التأسيس لثورة جديدة لكن الممثل والمقاول الذي اشعلها اختفى. أما في العراق فكانت الانتفاضة الشعبية دموية للغاية. استكان المنتفضون بعد وعود، لكن السارقين لخيرات العراق بمئات مليارات الدولارات ما زالوا أحرارا يرزقون. أما في لبنان فلم تُكسر المحرمات وحسب، بل سحقت وبالأقدام، والمتظاهرون مصرون «كلن يعني كلن». فمن شدة القهر ساوى الشعب الثائر بين الحرامي والساكت أو المتفرج عليه.

في أي مشاركة مناصرة وداعية للحشود المنتشرة على امتداد ساحتي رياض الصلح والشهداء، سيكون الحرامي بالمرصاد. الحرامي مستهدف بهاشتاغ، أو بكلمات معبرة، أو بصورة لمسؤول كان كبيراً وقد البَس ثياب السجن المقلمة وطُلب منه إرجاع ما سرقه. هذا أو ذاك من المسؤولين نواباً ووزراء أو رؤوساء أو حتى موظفين كبار ستتردد أسماءهم ملحنة وفق مقام جديد ويتبعها الحرامي... حرامي. كورس بحدود مترامية تشكل من مجموعات من المواطنين، كل منها يهتف بوجعه وبأحلامه الممكنة.

في ساحات وسط بيروت التي أقصي عنها أهل البلد الحقيقيين بعد إعادة الإعمار، وصُممت لتكون لنخبة الحرامية، لم يكن الهم المعيشي هو الهتاف الوحيد. ثمة هتافات تصحح بين الحين والآخر للحفاظ على النظافة وللتأكيد بأن الشعب الذي أعلن العصيان على سلطة الحرامية «حضاري». لم تكن الساحات تلمع من النظافة لكن أكياس النفايات موزعة بشكل ملحوظ، وتمّ تشكيل فرق لجمع النفايات كل صباح.

بين ساحة الشهداء ورياض الصلح مساحة غير محتشدة بالجمهور، على جانبيها تنتشر بسطات لبيع الأطعمة والمياه ولوازم «الثورة». تلك الكلمة ما أن يرددها طفل حتى ترتفع القبضات وتعلو الأصوات بكل زخمها «ثورة ثورة». العلم اللبناني بأشكال وأنواع استعمالاته بات جاهزاً للعرض، والشراء كثيف. ففي لحظة التجلي الوطني اللبناني بات العلم ضرورة وحوله توحد الجميع، ولم يرفع سواه.

العلم الجاهز ليكون زينة على صدور الراغبين كان ينادي عليه «ماهر» قائلا: واحد بـ500 و2 بـ1000. نسأله فيخبرنا أن بيع الأعلام في ساحة المظاهرات استجد عليه «في هذه المناسبة السعيدة». اختار بيعها لأن استعمالها متاح في السيارة وعلى صدور الراغبين. وكانت بسطة الأحمر والأبيض والأخضر الخاصة بفتحي أبو اللبن تشكل جاذباً للكبار والصغار، فصاحبها اعتمر «بيروكا» باللونين الأحمر والأبيض وتحول لرأس خاروف تشعل الحناجر، وسماع كلمة ثورة قد يحقق التأهب الفوري والصراخ «ثورة ثورة». صحيح أن بعضهم أحضر معه النرجيلة، وبعضهم افترش وسط الطريق للعب الورق، وأحدهم كان آتياً من الباطون وعلى رأسه كرسيه الأبيض، فكل حضور هو موقف.

العاملون في محطات التلفزيون اللبنانية حققوا مزيداً من النجومية مع انطلاق الثورة «ضد الحرامية» وصاروا جزءاً منها خاصة لتلفزيون «الجديد» و«أل بي سي». لكن المعتصمين أمام مصرف لبنان سجلوا عتبهم الشديد على الشاشات. حراكهم أمام هذا المكان المسؤول بشكل كبير عن مصائبهم المعيشية لم يحظ بجاذبية لدى تلك الشاشات. وهذا ما ترك الأسئلة تتدافع حول المكاسب، والتفسير لا يُطلب بالطبع من مذيع أو موظف عادي بل من رؤساء مجلس الإدارة.

هدى شديد مراسلة تلفزيون «أل بي سي» عبّرت لـ«القدس العربي» عن موقفها كمواطنة وإعلامية من الحراك: يعنيني هذا الحراك لأن الساحة تجمع كافة اللبنانيين على تنوع طوائفهم، وفئاتهم الاجتماعية، ومكونات مجتمعنا، كباراً وصغاراً، مسلمين ومسيحيين. والأهم أن الناس جميع الناس تركوا ولاءاتهم الحزبية ونزلوا إلى الساحات للتعبير عن أوجاعهم. هؤلاء الناس حملوا أوجاعهم منذ سنوات، وللمرة الأولى يشعرون بقدرة إيصال الصوت والتعبير عن الوجع. الهوة بين السلطة والشعب صارت كبيرة للغاية. ولشدة تسلط هذه السلطة لم يعد فيها ما يمت للشعب بصلة. لهذا تلك الصرخة خرجت من الأرض ومن الناس ومن الشارع وهزت عروش جميع من في هذه السلطة».

نسألها عن التعبير الأكثر ألماً بالنسبة لها؟ تقول: جميعها مؤلم، طفح كيل الناس. كل من سرد معاناته بحسرة وحرقة ترك أثره بنفسي. شعرت بالنق لدى البعض لكنني وجدت ضرورة لعزل احساسي بهدف إيصال صوتهم. كمواطنة أتمنى وجود سلطة بديلة تنتشل هذا البلد من الحضيض الذي وصله سياسياً واجتماعياً وماليا وإنسانياً. الهوة بين السياسي السكران بالسلطة والشعب مريعة. نسي السياسيون إنسانيتهم، وأن كل ما في الحياة له نهاية. ذكرتهم ثورة الناس بأنهم يحتمون بالسلطة كي لا يتذكروا مشاعرهم الإنسانية. أتمنى أن يعوا صرخة الناس، وأتمنى أن نصل لمكان نحقق فيه دولة. لقد ساهم اللبنانيون في كافة أنحاء العالم ببناء دول، في حين يزرح وطننا في الحضيض. فالسلطة تمنع أي حضور للنخب الذين يجب حضورهم في حياتنا.

وردا على سؤال تقول هدى شديد: نعم فاجأني الحراك. ففي اليوم السابق لـ17 تشرين الأول/أكتوبر أعددت ريبورتاجاً عن الرسوم والضرائب التي كان يعدها مجلس الوزراء تحت عنوان الإصلاحات وبطريقة الخداع للمواطن اللبناني. قلت في هذا التحقيق لو يدرك المواطن تفاصيل الضرائب والرسوم التي ستلحق به بنتيجة كل موازنة للعين الساعة التي ولد فيها. هي سلطة تعمل لفرض ضرائب مقنعة بعنوان الإصلاحات. وفي هذا الريبورتاج تساءلت لماذا الشعب اللبناني مخدر؟ نعم تفاجأت وكبر قلبي عندما رأيت الناس في الشارع وبهذا الحجم.

نعلم من هدى أن ساعات عملها تمتد هذه الأيام بين 13 و14 ساعة، ولكن «يوم أمس وصلت طاقة الاحتمال إلى صفر فتركت إلى المنزل لأجل التشريج، وعدت اليوم ليرتاح الزميل الدمون سامين. يجب أن نبقى واقفين وصامدين لمواكبة هذه الثورة التاريخية للشعب اللبناني ومن أجل حياة أفضل».

فرح كفوري 16 سنة واحدة من اللواتي جذبهن التعبير رفضاً للواقع المزري الذي يعيشه الشعب، لفتها الحضور النسائي الكثيف فرسمت لوحة وصارت رفيقتها في كل يوم تنزل فيه إلى الساحة منذ انطلاق الثورة حسب تعبيرها. تقول لـ«القدس العربي»: بدأت رسم تلك اللوحة مع أول خبر على الشاشات عن بدء مظاهرة على جسر الرينغ. منذ تلك اللحظة شعرت أن أمراً ما بدأ يتغير. وبعد أن تعرض المتظاهرون لإطلاق نار من قبل حراس أحد الوزراء ومن قبل حراس نائب سابق اجتاحني الغضب. قررت التعبير وفق أسلوب أجيده وهو الرسم. تظهر امرأة في الرسم فأنا فتاة تعبر عن أحاسيسها ومشاعرها. تلك المرأة تصرخ من كل قلبها، فقدرة الاحتمال لديها انعدمت. المرأة تلك تمثل جميع اللبنانيين. رسمتها لأنها تعني لي الكثير فهي تعيش بدون حقوق مواطنة وغير متساوية مع الرجل. وأنا كفتاة أتابع حقوق النساء في سائر الوطن العربي، وقد تأثرت جداً عندما سُجنت عهد التميمي من قبل الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين. هي طفلة وتمكنت من إيصال وجعها للعالم أجمع.

بدوري شعرت بقدرة لوحتي على إيصال وجعي للعالم أيضاً. لوحتي تعبر عن قدرات المرأة في إيصال صوتها والمطالبة بحقوقها وحقوق الشعب، وبدوري أطالب بحقوقي كفتاة ومواطنة معاً. والمطالبة بحقوق المرأة ليس إلغاء للرجل. في رأيي المرأة هي الرمز الذي يمثل الشعب كونها الأم، ويمكن للمرأة أن تكون رمزاً للثورة حتى تحقيق الأهداف. وكتلميذة في السنة المدرسية الأخيرة أتمنى أن أدخل إلى الدراسة الجامعية وأن تكون الحياة قد تخلت عن ظلمها وعنفها واستبدادها الحالي. وأتمنى أن تحقق الثورة المطالب التي تلبي حاجات الشعب ليكون سعيداً في وطنه.

مجموعة من الطلاب الجامعيين تعمل على مشروع خاص بدراستهم لهندسة الكهرباء حيث قال أحدهم: نشارك في الثورة وننجز وظيفتنا الجامعية معاً. من يطالب بالثورة عليه أن يحرص على وقته.

نسأل الممثل طارق تميم عن سبب وجوده في وسط بيروت فيقول: سابقى هنا حتى سقوط الحكومة وتحقيق سائر المطالب. لي حضور دائم في وسط بيروت في فترتي الصباح والمساء منذ لحظة انطلاق الحراك. لأول مرة أشعر فرحي غامراً من هؤلاء الشباب المنتفضين على الظلم. منذ خمس سنوات نشارك في المظاهرات، اليوم بدأنا جني ثمار التعب الذي بذلناه. بالغوا في محاولات تفريق الشعب لكن مبالغاتهم أدت لوحدتنا بدون قصد من سياساتهم وغبائهم. ويتحدث طارق تميم بحذر عن تفاؤله ويقول: لن نكون سويسرا الشرق بين ليلة وضحاها. وما أخشاه هو عودة البعض إلى طوائفهم مجدداً. ولو حصل سيكون لبنان أقوى. وأرى أن الناس لن تتبع الزعيم بشكل أعمى كما حصل طوال السنوات الـ30 الماضية. ولبنان وحده سيكون «بي الكل» وليس أي إنسان آخر.

يذكر أن «نادي لكل الناس» عرض فيلم «إلى أين» الساعة السادسة من عشية 23 الجاري في صالة «البيضة» الشهيرة في وسط بيروت. وقد قال في دعوته لهذا العرض ما يلي: لإيماننا بحق الشعب في استرجاع كل الأماكن المنهوبة من قبل رجال السلطة وتحت شعار لبنان ينتفض يدعوكم «نادي لكل الناس» لحضور فيلم «إلى أين» للمخرج جورج نصر في مبنى البيضة (سينما البيضة في وسط البلد). وقد شهد العرض حضوراً كثيفاً.

Volume 31 - Issue 9707 Sunday 27 October 2019

ثورة لبنان: استعادة البلاد من أمراء الحرب ورفض الوكالة للآخرين والتخلص من أشباح الحرب الأهلية

إبراهيم درويش

هناك قاسم مشترك بين الاحتجاجات التي يشهدها لبنان اليوم والعراق من ناحية كونها مطلبية وتمس قضايا تتعلق بالهم اليومي للناس. وهي تمثل حالة الإحباط لدى المواطن العادي، خاصة الشباب من الطبقة السياسية ومع ذلك فهي ليست مسيسة أو طائفية أو حزبية رغم محاولات البعض في لبنان والعراق تسييسها ومحاولة حشر الطائفية التي دمرت في العقدين الماضيين النسيج الاجتماعي، خاصة العراق الذي عاش مذابح وتدمير بعد الغزو الأمريكي عام 2003. وإن وسعنا الصورة وابتعدنا عن المشرق العربي ومضينا نحو أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا لوجدنا أن البطون الخاوية والشباب المحبط هو من يقف وراء التظاهرات. ففي التشيلي كان رفع أسعار تذاكر القطارات الشرارة التي أخرجت الناس للشوارع، وفي لبنان كان رفع ضريبة مكالمات الواتساب وفي السعودية تذمر الناس على منصات التواصل الاجتماعي من فرض ضريبة 100 في المئة على الشيشة، أما في الهند فقد كان سعر البصل محلا للسخط. وفي العراق كان عزل قائد معروف في مجال مكافحة الإرهاب الذريعة التي أخرجت الناس للشوارع احتجاجا على الفساد. وفي مصر قادت أشرطة مقاول ساخط إلى تظاهرات نادرة ضد فساد عبد الفتاح السيسي وعائلته. وبات الشارع العربي حقيقة، رغم تشكيك بعض المراقبين بوجوده، حساسا من السلطة خاصة في الأمور التي تتعلق بحياته اليومية. وهناك شعور لدى كل المحرومين في العالم أن النخبة السياسية الحاكمة فاسدة ولا أمل في إصلاحها وظالة لشعوبها. وصار بإمكاننا الحديث عن ظاهرة عالمية تمتد من بوليفيا واسبانيا وروسيا وقبل ذلك وجمهورية التشيك إلى الجزائر والسودان وكازاخستان. وكما تقول صحيفة «نيويورك تايمز» (2019/10/23) فما يميز حركة الغضب العالمية اليوم هو احتجاج بصوت أعلى من العادي ضد النخبة في بلدان أصبحت فيها الديمقراطية مصدر خيبة أمل والفساد مفضوح والطبقة السياسية تعيش في ثراء بينما يعاني الشباب من الفقر.

استثنائية

وتظل الحالة اللبنانية استثنائية من ناحية طريقة إدارة التظاهرات التي جرت بنوع من الاحتفالية والفرح: راقصات ودي جيز ومصففات شعر بالمجان وشباب يدخن الأركيلة وكأن في ساحة رياض الصلح في بيروت وساحات المدن الكبرى كرنفال من الصوت واللون والرائحة. ورغم حجم التظاهرات التي امتدت من طرابلس وعكار في الشمال والنبطية في الجنوب وصيدا وصور في الشرق ووسط بيروت إلا أن الطبقة السياسية محل غضب الشارع ومطلبه برحيلها لم تفاجأ بحنق الناس بل وتسابق المسؤولون من رئيس الوزراء سعد الحريري الذي نجا من فضيحة دفع 16 مليون دولار لعارضة جنوب افريقية إلى الرئيس ميشال عون وزعيم حزب الله حسن نصر الله والطبقة السياسية كلها بالتماهي مع حركة الشارع وتحذيره في الوقت نفسه، ثم جاءت تنازلات الحريري وتحذيرات الرئيس ميشال عون بأن التغيير والإصلاح يجب أن يتم عبر المؤسسات لا الاحتجاجات، وتهديدات نصر الله الذي أكد للمحتجين أنهم لن يستطيعوا تغيير العهد ولا إسقاط الحكومة. ثم عاد وهدد من طابور خامس وجهات خارجية باتت تتلاعب بالمحتجين بشكل سيقود إلى فوضى أهلية. لكن لم يستمع الشارع حتى الآن له ولا لأنصاره الذين حاولوا ترهيب المتظاهرين. فنصر الله وقيادة حزبه ونوابه باتوا من الجماعة المتهمة بالفساد. والتهمة جاءت من قاعدته الشعبية التي تعاني من الفقر في وقت يتمتعون فيه هم بالثراء. والمشكلة التي يواجهها اللبنانيون هي أن مطلبهم بإسقاط النظام غير عملي، فلا يوجد هناك نظام لإسقاطه، وكما تقول رولا خلف في صحيفة «فايننشال تايمز» (2019/10/23) فلبنان ليس مثل بقية الدول العربية، ففيه مساحة من الحرية ويحكم فيه المسلمون والمسيحيون بنوع من التشارك في الحكم غير المريح، وتعني الإطاحة بالنظام التخلص من الطبقة السياسية كلها، ما يعني تفكيك النظام الطائفي وبناء دولة علمانية قومية، وهذا حلم جميل، لكن لا يمكن تحقيقه في أي وقت قريب. وتضيف أن وطنها لبنان يبدو كبلد يحكمه ديكتاتوريون صغار يستخدمون نظام الرعاية للسيطرة على مناطقهم الطائفية. وهم لا يفرضون إرادتهم على الشعب بقدر ما يتجاهلون مظاهر قلقه. والتظاهرات وإن فاجأت الساسة إلا أنها لم تصدمهم. ولا يعني أنهم لم يخافوا لأن خروج الناس بهذه الطريقة من الصعب إعادتهم إلى بيوتهم بوعود معسولة. وأثبت تجربة الربيع العربي عام 2011 أن «ثورة» بهذا الحجم لم تنته بالحفاظ على الوضع القائم، فقد انتهى الربيع العربي بعدد قليل من الاستثناءات بحروب أهلية، وحتى الجزائر والسودان، اللتين عبدتا الطريق أمام مستقبل فيه أمل. ولم يشهد لبنان حشودا كهذه إلا في عام 2005 والتي أنهت الوجود السوري وجاءت احتجاجا على مقتل رفيق الحريري، رئيس الوزراء اللبناني.

> لبنان يبدو كبلد يحكمه ديكتاتوريون صغار يستخدمون نظام الرعاية للسيطرة على مناطقهم الطائفية. وهم لا يفرضون إرادتهم على الشعب بقدر ما يتجاهلون مظاهر قلقه.

قائمة مظالم

والمختلف في احتجاجات الأيام الأخيرة أنها جاءت نتيجا لعام من حرق الذات الحقيقي، فمن حرق جورج زريق نفسه وهو الأب الذي كان يكافح لتامين لقمة الحياة ورسوم التعليم لأولاده في شباط (فبراير) إلى حرائق الجبال التي عجزت الحكومة اللبنانية عن إطفائها بسبب تعطل مروحيات إطفاء الحرائق، مما أجبرها على الاستعانة بالأردن وقبرص. وما تفاقم لدى المواطن اللبناني من مظالم أكثر من أن تحصى: انقطاع التيار الكهربائي والمياه غير الصالحة للشرب والبنية التحتية المنهارة والمناخ المسمم. ويعاني الاقتصاد من ركود والفساد مستشر، وتبذير المال العام، تحدث عنه ولا حرج، فالدولة تنفق كل عام ملياري دولار على شركة الكهرباء لا توفر الطاقة الكهربائية لمدة 24 ساعة. وتعتبر شبكات الإنترنت الأغلى في العالم والأقل كفاءة. وبعد أزمة النفايات عام 2015 بدأت الشركات برميه في البحر بشكل خرب شواطئ البحر المتوسط. ونظرا لسوء الإدارة فالحكومة ليس لديها المال الكافي للإصلاح، وفي ظل الدين العام 150 في المئة فلا مجال للاستثمار. ومن أجل توفير المال فرضت الحكومة كل أنواع الضريبة على المواطنين مثل الشيشة، وقال محتج في عكار «غدا سيركبون عدادات على خلفياتنا» ويأخذون ضريبة من الناس في كل مرة يستخدمون فيها الحمام. وتظل المشاكل الاقتصادية متجذرة كما تقول مجلة «إيكونوميست» (2019/10/24) في السياسة. فقد كرس مؤتمر الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية عام 1990 نظام محاصصة طائفيا لا يزال قائما حتى اليوم، وتحول فيه أمراء الحرب إلى ساسة استخدموا مناصبهم للرعاية والتأثير، وهم الذين تعاطفوا مع المتظاهرين ولكنهم حذروا من الفوضى، إلا أن النظام أصبح متعفنا لأنهم أخذوا الكثير ولم يقدموا إلا القليل. ولهذا السبب يخاطر اللبنانيون بالتخلص منهم ومواجهة المجهول. ومن هنا كان الطابع اللاطائفي للتظاهرات، لأن هناك كما ترى مجلة «فورين بوليسي» (2019/10/24) رغبة لدى الجماهير في رمي الطائفية من النافذة، ولعل هتاف «لصوص، لصوص، لصوص» تلخيص لرفض الطائفية الممثلة بالنخبة الحاكمة. ويأمل المتظاهرون في لبنان كما في العراق لظهور جيل من الساسة غير الوجوه التي تعودوا عليها مع أن فرص النجاح تظل بعيدة في الوقت الحالي إن أخذنا بعين الاعتبار ما جرى للربيع العربي الذي سحق تحت أقدام العسكر ولم تنج منه سوى تونس التي ظهرت فيها ديمقراطية ناشئة هشة، وشهدت هي الأخرى تظاهرات عبرت عن خيبات من ثورة الياسمين. وكانت الانتخابات الأخيرة، البرلمانية والرئاسية بمثابة فحص لشعبية النخبة التي قادت البلاد بعد 2011.

احتمالات النجاح

والسؤال الحالي هو عن الطريق الذي يسير فيه لبنان؟ خاصة ما شهده العراق من احتجاجات جديدة وعنف من الدولة التي استمرت باستخدام اليد الحديدية رغم وعود رئيس وزرائها. ولو وضعنا الغضب العربي الجديد في السياق العالمي، فهو صورة عن رغبة المجتمعات حول العالم بالتغيير السياسي من خلال النزول إلى الشوارع. وأصبحت الاحتجاجات عادية في الفترة الأخيرة كما تقول صحيفة «نيويورك تايمز» لعدة عوامل منها: تباطؤ الاقتصاد العالمي والفجوة الضخمة بين الفقراء والأغنياء وأدت نسب الشباب العالية في كثير من البلدان لظهور جيل متحفز تفور في داخله الطموحات المحبطة. بالإضافة إلى توقف زحف الديمقراطية على مستوى العالم متسببة بإحباط المواطنين من حكومات لا تستجيب لمطالبهم وناشطون يعتقدون أنه لا سبيل للتغيير إلا الاحتجاج في الشارع.

ومع تنامي حركات الاحتجاج تراجعت معدلات النجاح. فقبل 20 عام فقط حصلت 70 في المئة من الاحتجاجات التي طالبت بتغيرات سياسية على ما تريد – وهي نسبة بقيت تتصاعد منذ خمسينات القرن الماضي بحسب دراسة قامت بها اريكا تشينويث، الأستاذة في جامعة هارفارد. وفي منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة انقلب هذا التوجه بحيث أصبحت نسبة النجاح 30 في المئة بحسب الدراسة، وهو تراجع وصفته البروفيسورة تشينويث بأنه صاعق. وترى أن هذين التوجهين مرتبطان بعضهما ببعض فكلما زادت الاحتجاجات أصبح احتمال فشلها أكبر، وكلما طالت تصبح أكثر خلافية وأكثر ظهورا – وأكثر عرضة للعودة إلى الشارع عندما لا يستجاب لمطالبها. والنتيجة قد تكون عالما تخسر فيه الانتفاضات الشعبية أهميتها، حيث تصبح جزءا من الصورة. إلا أن تزايد حركات الاحتجاج لفتت انتباه الأمم المتحدة التي قالت إن هناك عوامل مشتركة بينها، فالناس يشعرون أنهم يعيشون تحت ضغط مالي شديد، وقضية عدم المساواة، وقضايا بنيوية أخرى.

وفي الشرق الأوسط تبدو الاحتجاجات الجديدة مختلفة عن انتفاضات 2011. فالجديدة يحركها جيل جديد ليس لديه اهتمام بالحواجز الايديولوجية والطائفية القديمة. وبدلا من المناداة بزوال دكتاتور كما فعل المتظاهرون العرب عام 2011 فإن المتظاهرين اللبنانيين يتهمون طبقة سياسية كاملة. ورغم تحذيرات الساسة من دروس اليمن وسوريا وليبيا إلا أن الشارع بات الملاذ الأخير للمواطن العربي الذي لم يعد يخشى مواجهة السلطة. إلا أن المشكلة البنيوية التي تعاني منها الاحتجاجات الجديدة تكمن في هشاشتها وعدم تنظيمها وتفتقد قاعدة التحشيد التقليدي الذي هو من خصائص حركات القاعدة الشعبية. ويمكن للاحتجاجات التي تنظم على مواقع التواصل الاجتماعي القيام بشكل أسرع ولكنها تنهار بسرعة أيضا. وقالت تشينويث إن الحكومات الاستبدادية أيضا تعلمت توظيف الإعلام الاجتماعي لصالحها، وتستخدمه لنشر الدعاية ولحشد المتعاطفين أو ببساطة لنشر الارتباك. ويعتمد الزخم الشعبي في لبنان على مدى تسامح النخبة السياسية وبالضرورة القوى الخارجية التي تقف وراءها معه، وما يمكن أن تلعبه المصالح الجيوسياسية في حرف المسار أو إجباره على الانزلاق في حرب دموية. وفي الوقت الحالي لم يتخلص لبنان من جراح الحرب الأهلية، ولا يريد الناس تكرار تجربة مريرة تماما كما هو الحال في الجزائر الذي لا يريد تكرار سنواته السود. ولكن المتظاهرين في مأزق لغياب الرؤية الواضحة التي لا تتناسب مع طموح التغيير الكبير والواقع، فعندما تحدث الفوضى من السهل على أي طرف في اللعبة لوم المظلومين وتخديرهم كما في مصر بمقولة الاستقرار أفضل من الخراب. ويكثر الحديث هذه الأيام عن إيران وخسارتها في المنطقة من العراق إلى سوريا، لكن دول الخليج المنافسة ليست متعجلة لإنقاذ لبنان كما سارعت لإنقاذ السودان مثلا. فهي تعرف أن تخليص البلد من مشاكله يعني تخليص حزب الله، ولهذا كما تقول «بلومبيرغ» (2019/10/25) فهي تراقب وتنتظر. لكن لبنان الجديد على حد قول روجر كوهين في «نيويورك تايمز» (2019/10/25) لا يريد أن يكون وكيلا للآخرين، مع أن حزب الله لن يتخلى عن السلطة بسهولة. وهناك معركة جيلية تطمح لبناء لبنان شريف، بل ورمي ميراث الحرب الأهلية. وولد في التسعة أيام الماضية لبنان جديد استعاد فيه سكانه مصيره وأعلامه أيضا.

حوار

المستشار السياسي للرئيس الفلسطيني الدكتور نبيل شعث:

نسعى لانتخابات تقود إلى تأسيس حكومة وحدة وطنية تعمل على إنهاء الانقسام

حاوره: محمد أحمد

الدكتور نبيل شعث مستشار سياسي للرئيس محمود عباس، وأحد أعضاء القيادة التاريخية لحركة «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية ومن مؤسسي السلطة الفلسطينية.

رافق الزعيم الراحل ياسر عرفات خلال خطابه الشهير في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1974 وشارك في مؤتمر مدريد للسلام، وترأس وفد فلسطين في مفاوضات غزة أريحا مع إسرائيل.

ولد نبيل شعث في الثامن من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1938 في فلسطين وما زال بيت عائلته قائما في مدينة يافا.

حصل على درجة الماجستير في التمويل والبنوك من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1961 وعلى درجة الدكتوراه في الاقتصاد والعلوم الإدارية من نفس الجامعة عام 1965 ثم دكتوراه فخرية في القانون من الجامعة نفسها عام 1996.

شغل عدة مناصب وزارية في السلطة الفلسطينية منها وزير التخطيط والتعاون الدولي، ووزير الخارجية، ونائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام وعضو في اللجنة المركزية لحركة «فتح» وانتخب عضوا في المجلس التشريعي الفلسطيني الأول للسلطة الفلسطينية بعد تأسيسها.

عمل محاضرا في إدارة الأعمال في جامعة بنسلفانيا بين عامي 1961 و1965 ثم أستاذا في المعهد القومي للإدارة العليا في القاهرة والجامعة الأمريكية في القاهرة وجامعة الإسكندرية بين عامي 1965–1969.

وخلال الفترة 1969–1975 عمل أستاذا ثم عميدا لكلية إدارة الأعمال في الجامعة الأمريكية في بيروت.

صدر للدكتور شعث حديثا كتاب «حياتي من النكبة إلى الثورة» وهو كتاب مذكرات عرض فيه تجربته في العمل الوطني والسياسي الفلسطيني.

في حديثه لـ«القدس العربي» يقدم الدكتور نبيل شعث قراءة للواقع الذي تعيشه القضية الفلسطينية الآن، مستخلصا الحاجة الماسة إلى إجراء انتخابات عامة في فلسطين، باعتبارها طريقا لتحقيق الوحدة الوطنية. وفي ما يلي نص الحوار:

○ **أعلن الرئيس محمود عباس في خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول (سبتمبر) الماضي عن عزمه إجراء انتخابات عامة في الضفة الغربية وقطاع غزة، بما فيها القدس. لماذا اختار الرئيس منصة دولية للإعلان عن انتخابات فلسطينية؟ وهل هو جاد في إجراء هذه الانتخابات؟ أم أن الأمر لا يعدو ان يكون رسالة طمأنة للعالم؟**

● الرئيس اتخذ القرار قبل ذهابه إلى الأمم المتحدة، لكنه أراد ان يكون جزءا من خطابة أمام هذه المنصة العالمية من أجل التأكيد للعالم أننا نؤمن بالديمقراطية رغم الصعوبات.

نحن في حاجة ماسة إلى إجراء انتخابات عامة، إلى استعادة الديمقراطية الانتخابية في فلسطين، ونحن نرى في هذه الانتخابات طريقا لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، وهي طريق أكثر جدوى من الطريق السابق القائم على تأسيس وحدة تفاوضية بين القوى أولا ثم الذهاب إلى الانتخابات.

نريد أن نتوجه إلى الجمهور، والجمهور يقرر لمن يعطي ثقته، ثم نعمل على تشكيل حكومة ائتلافية استنادا إلى نتائج الانتخابات، فالحزب الذي يحصل على عشرة في المئة من الأصوات، على سبيل المثال، يحصل على مقعدين في الحكومة. نريد انتخابات تعمل على تحقيق الوحدة وفق مبدأ التمثيل النسبي، نريد بناء إطار لا يستبعد أحدا من خلال التصويت الشعبي، وهي فكرة متميزة وقادرة على تحقيق الوحدة الوطنية وتحقيق رقابة للجمهور على قرارات السلطة، وبناء علاقة أفضل بين السلطة والجمهور، واستعادة الديمقراطية الانتخابية. حكومة ائتلافية تنتج عن انتخابات عامة ستكون أكثر قدرة على إنهاء الانقسام وإعادة الوحدة.

الرئيس محمود عباس مصر على إجراء الانتخابات، ونحن في حاجة إلى موقف إيجابي من حركة «حماس» من أجل إجراء الانتخابات في قطاع غزة.

أما بالنسبة للقدس، فنحن نتوقع من العالم ممارسة ضغط على إسرائيل من أجل السماح بإجراء الانتخابات فيها كما حصل في الماضي، وسيكون من الصعب على إسرائيل منع إجراء الانتخابات في القدس في الوقت الذي تدعي فيه أنها دولة ديمقراطية.

العالم سيساهم في إنجاح الانتخابات الفلسطينية كما ساهم في ذلك عام 2006 (الانتخابات الأخيرة التي جرت في الأراضي الفلسطينية) حيث أرسل ألف مراقب دولي للرقابة على نزاهة تلك الانتخابات التي فازت فيها حركة «حماس» والتي لا يستطيع أحد ان يشكك في نزاهتها بدليل فوز حركة «حماس» فيها.

ولدينا لجنة انتخابات مستقلة ومعروفة بحيادها يقودها الدكتور حنا ناصر، وشكلت فريقا للذهاب إلى غزة والالتقاء مع مختلف الفصائل والعمل على تذليل العقبات وإجراء انتخابات حرة ونزيهة تنتج عنها حكومة ائتلافية تحقق الوحدة وتنهي الانقسام.

العقبة الرئيسية أمام الانتخابات تبقى حركة «حماس» ونحن نأمل أن تستجيب لهذا المطلب الشعبي الفلسطيني، وتقبل الاحتكام إلى صندوق الاقتراع وسيلة لإنهاء الانقسام وإعادة الوحدة.

○ **نتائج الانتخابات السابقة أدت إلى حدوث انقسام، فلماذا نتوقع نتائج مغايره هذه المرة؟**

● لأن هذه الانتخابات مختلفة، نحن نذهب إلى انتخابات بهدف واضح وهو تشكيل حكومة ائتلافية تعمل على إنهاء الانقسام واستعادة الوحدة، هذه الانتخابات مختلفة لأنها تعني الشراكة وفقا للنتائج وليس قيام الطرف الذي يفوز بأكثر من 50 في المئة من الأصوات بتشكيل الحكومة لوحده والاستفراد بالقرار. نحن نقول لا نريد ان نستبعد أحدا.

○ **كانت لدينا حكومة وفاق وطني ولم تحقق الوحدة؟**

● هذه المرة الأمر مختلف، فالهدف هو انتخابات تؤدي إلى حكومة وحدة، حكومة يختارها الشعب، بهدف تحقيق الوحدة، وهي مختلفة عن حكومة الوفاق التي جرت عبر تفاوض بين القوى. نحن نسعى هذه المرة إلى حكومة تأتي من الشارع وليس من المفاوضات بين القوى، وهذا أمر مختلف.

○ **وهل حركة «فتح» قادرة على توحيد ذاتها والذهاب إلى انتخابات في مواجهة حركة «حماس»؟ في الماضي قامت شخصيات ومراكز قوى في داخل «فتح» بخوض الانتخابات بصورة مستقلة عن الحركة ما أدى إلى تشتيت أصواتها؟**

● الخلافات تظل داخل «فتح» ولن تخرج منها ولن تنعكس على المنافسة مع «حماس». «فتح» ستكون موحدة في الانتخابات، وظاهرة دحلان (القيادي السابق محمد دحلان الذي يعيش في الخارج) لن تتكرر بعد التجربة الهزيلة التي قام بها في الانتخابات السابقة (شكل مع آخرين قائمة موازية لقائمة حركة فتح الرسمية لكنهم قاموا بحلها قبيل إجراء الانتخابات).

«فتح» جاهزة لانتخابات حقيقية ونزيهة وعادلة تهدف إلى تحقيق الوحدة.

○ **القيادة الفلسطينية قررت وقف العمل بالاتفاقات مع إسرائيل والانفكاك عنها، هل هذا هدف واقعي ممكن؟**

● هناك صعوبات كبيرة، لكن الأخ رئيس الوزراء الدكتور محمد اشتية يعمل بدأب على تحقيق هذا الهدف. فقد ذهب إلى العراق ومصر والأردن والرئيس ذهب إلى السعودية من أجل الانفكاك عن إسرائيل.

ستعمل الحكومة على استبدال السلع المستوردة من إسرائيل بسلع مستوردة من الأردن ومصر، وإسرائيل لديها علاقات مع مصر والأردن وبالتالي لا تستطيع الاعتراض على الاستيراد منهما. كما ان استيرادنا من العراق سيكون عبر الأردن التي لدى إسرائيل علاقات دبلوماسية معها.

هناك خطوات حقيقية تقوم بها الحكومة من أجل الانفكاك الاقتصادي عن إسرائيل.

كما ان لدى الحكومة خطة تنمية مثل إعادة الإعمار التي وضعت لدى تأسيس السلطة عام 1994 مطلوب حملة مقاطعة تبدأ من المدرسة والأسرة. علينا ان نستبدل البضائع الإسرائيلية ببضائع فلسطينية وعربية.

○ **إسرائيل صاحبة اليد العليا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعادة ما يجري شيء هنا الا بالتفاهم معها من خلال المفاوضات والاتصالات، فهل يمكن لنا وقف العمل بالاتفاقات التي لديها اليد العليا في تطبيقها مثل الاتفاق الاقتصادي والأمني وغيره. فهل يمكن العودة إلى المفاوضات والاتصالات من أجل قضايا من هذا النوع الحياتي وليست مفاوضات سياسية؟**

● لا تفاهمات ولا مفاوضات مع إسرائيل بوجود هذه الحكومة اليمينية المتطرفة. وحتى لو راح نتنياهو فان البديل القادم سيكون من ذات النظام اليميني المتطرف. وفي ظل وجود رئيس مثل دونالد ترامب في البيت الأبيض فانه لا يمكننا الرهان على أية عملية سياسية لأنها ستكون منحازة للطرف الإسرائيلي بلا تردد.

الهدف الاساسي لنا في هذه المرحلة هو العمل على إعادة بناء الداخل الفلسطيني، إعادة بناء الإطار السياسي، ووضع خطة اقتصادية وفتح أبواب العلاقات الاقتصادية مع العرب.

مطلوب منا انجاز الوحدة الوطنية وتعزيز العلاقات الوطنية والتوجه نحو استقلال اقتصادي أكبر عن إسرائيل.

○ **راهنت القيادة الفلسطينية على الحراك على الساحة الدولية وتجنيد ضغط دولي على إسرائيل، لكن الواضح ان إسرائيل غير معزولة، وتزداد علاقاتها تطورا مع مراكز القوى المهمة في العالم.**

● القيادة الفلسطينية لا تتوقف عن الحراك الدولي والعربي، لكن وجود نظام متعجرف في أمريكا التي ما زالت تحكم العالم يؤثر سلبا. لكن العالم متغير، وتوقعاتي انه خلال السنوات المقبلة فإن العالم سيكون متعدد الأطراف وليس محكوما من قبل طرف واحد هو أمريكا، عالم متعدد الأقطاب فيه الصين العظمى التي تتطور إلى عملاق اقتصادي وعسكري وسياسي، عالم فيه روسيا التي تنمو قوتها وتأثيرها وغيرهما وهذا يؤثر. الرئيس الروسي بوتين يزور السعودية، هذا جديد. التغيرات الجارية في المنطقة هزت ثقة الزعماء بالرئيس الأمريكي ترامب. العالم يتغير.

لكن ما زال العالم محكوما من قبل أمريكا الحليف لعدونا وهذا له تأثيره. قدرة الاتحاد الأوروبي على التأثير على أمريكا ضعيفة. الاتحاد الأوروبي يضغط ويحاول لكنه يواجه الصد. أمريكا تضغط على بريطانيا من أجل الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، وتضغط بوقاحة من أجل تحقيق هذا الهدف، والاتحاد الأوروبي يراقب وهو غير راض عن هذا السلوك.

علينا ان نستمر في الحراك على الساحة الدولية، علينا أن نقوم بواجبنا في تحقيق الديمقراطية، والإصلاح وتحقيق الوحدة من أجل مواصلة نضالنا بقدرة وكفاءة أكبر.

هدم منازل فلسطينيين

رغم العجز الذي يتسم به العالم العربي إلا ان دعمه مهم لنا

○ **كتبت مذكراتك «حياتي من النكبة إلى الثورة». ما هي الدروس التي أردت تقديمها للأجيال الجديدة من السياسيين الفلسطينيين في هذه المذكرات؟**

● علينا دائما أن نحقق الوحدة، ان نسعى بكل ما يمكن إلى ذلك. التمزق والانشقاق يؤديان إلى إضعاف قدرتنا على الاستمرار في النضال وتحقيق النجاح.

في عام 1948 واجهنا أكبر مصيبة في تاريخنا وهي النكبة، ولم تكن لدينا قيادة موحدة لمواجهتها، لهذا فإن وجود قيادة موحدة، يجري اختيارها بطريقة ديمقراطية مسألة مهمة. هذا درس تعلمناه جيدا.

ثانيا، هناك أهمية كبيرة للعرب رغم العجز الذي يتسم به العالم العربي، إلا ان الدعم العربي مهم لنا. وحدة العرب أيضا مهمة. لولا أن العرب توحدوا عام 73 لما تحقق النصر لهم. وحدة شعبنا ووحدة العرب أمر مهم جدا في نضالنا.

كما أننا في حاجة إلى اقتصاد قوي. لم يعد كافيا الاعتماد على قناعة الناس، يجب أن يكون لدينا اقتصاد قوي يعتمد عليه الناس في بقائهم وصمودهم، ويجب ان تكون لدينا حركة مقاومة شعبية تتبنى المقاومة الشعبية بكل أشكالها إلى جانب تحرك دولي فاعل.

○ **كيف ترى مصير خطة صفقة القرن الأمريكي التي يعدها الرئيس الأمريكي، هل هناك فرصة لهذه الخطة؟ هل ترى ان الإدارة الأمريكية قادرة على تجنيد ضغط عربي على القيادة الفلسطينية من أجل الانخراط في عملية سياسية من هذا النوع؟**

● لا توجد أي فرصة لنجاح هذه الخطة، ولا قلق على شعبنا من هكذا خطة، فهو قادر على مواجهة هذه الخطة بصموده.

في العام 1948 كان عدد شعبنا 1.5 مليون نسمة، وجرى طرد وتهجير مليون وبقي في الوطن نصف مليون وهؤلاء صمدوا وبات عددهم اليوم 6.5 مليون وفي الشتات أيضا عدد مماثل.

هذا شعب صامد لا يتنازل عن أرضه ووطنه.

أما العرب فقد اكتشفوا مشروع ترامب للمنطقة، وعرفوا انه سيتخلى عنهم في أول موقف، لذلك لن يثقوا به ولن يسيروا وراءه.

كل مشروع ترامب قام على إيهام العرب ان عدوهم الحقيقي هو إيران وليس إسرائيل، وان مواجهة إيران تمر من خلال التحالف مع إسرائيل، لكن شاهد العرب كيف ان ترامب لم يتدخل عندما تعرض نصف احتياطي النفط السعودي للضرب، وشاهدوا أيضا كيف انسحبت القوات الأمريكية من سوريا وتركت الأكراد لوحدهم وسمحت للقوات التركية بالدخول. هذا وجه ضربة قاصمة لمصداقية ترامب وباتت كل وعوده هباء. الاقطار العربية تعلمت درسا قاسيا مفاده ان ترامب لن ينفعنا ولن ينفعنا سوى وحدتنا وتمكسنا بحقوقنا.

○ **الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية بما فيها القدس لم يبقي أرضا لإقامة دولة فلسطينية متواصلة عليها، فهل يعني هذا انتهاء حل الدولتين؟ وما هو البديل عن حل الدولتين؟**

● حل الدولة الواحدة أكثر صعوبة من حل الدولتين، وحل الدولة الواحدة يعني نهاية الكيان الصهيوني وتحول البلاد إلى دولة ذات أغلبية عربية، دولة تكون جزءا من العالم العربي، والمؤكد أن إسرائيل لن تقبل بدولة فيها حقوق متساوية للفلسطينيين وهي تعرف ان ذلك سيكون نهاية لها.

كنت صاحب فكرة الدولة الديمقراطية على كامل تراب فلسطين، وقد تبنى المجلس الوطني هذه الرؤية في العام 69 وأدخلها في الميثاق الوطني الفلسطيني.

لكن هناك توافقا عالميا على حل الدولتين، على إقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود العام 67 وعاصمتها القدس، وعلى حقوق اللاجئين، وهذا ما زال مقبولا من قبل العالم لذلك لن نتخلى عنه من أجل هدف أكثر صعوبة.

مشروع الدولة الواحدة مشروع للمواجهة طويلة الأمد لأنها تعني نهاية الكيان الصهيوني واستبداله بدولة ديمقراطية تكون جزءا من العالم العربي.

○ **راهن الفلسطينيون كثيرا على محكمة الجنايات الدولية وعلى غيرها من المنظمات الدولية التي انضموا إليها في السنوات الماضية، لكن تبين ان إجراءات هذه المحكمة وغيرها من المنظمات الدولية بطيئة جدا.**

● المنظمات الدولية تسير ببطء شديد مثل كل الإجراءات القضائية، لكن هذا فضاء عالمي نتابعه باهتمام. هذا أحد الأسلحة وليس السلاح الوحيد. علينا ان نواصل ملاحقة إسرائيل في المحاكم وفي المنظمات الدولية مهما أخذ ذلك من وقت وجهد.

حريات

انتهاك الحريات في ليبيا يرقى إلى جرائم حرب

رشيد خشانة

كلما طالت الحرب في ليبيا، زاد منسوب الانتهاكات وتراجعت الحريات واشتدت وطأة الطوق العسكري الخانق، الذي جعل حياة المدنيين في طرابلس جحيما. حاليا، ينحشر السكان في مربع وسط المدينة هربا من القصف، وكأنهم معتصمون بقفص هربا من المعارك وعمليات القصف الجوي والبري، التي لم تتوقف منذ أطلق الجنرال المتقاعد خليفة حفتر حملته العسكرية، في بداية نيسان/أبريل الماضي، للاستحواذ على طرابلس، مقر حكومة الوفاق المعترف بها دوليا. تعددت وتنوعت الانتهاكات في الفترة الأخيرة، ما جعل المنظمات الحقوقية الدولية تُصدر تقارير رفعت النقاب عن بعض تلك الانتهاكات، مُطالبة بالتحقيق في ظروف ارتكابها، والكشف عن هوية منفذيها، لكن من دون جدوى، لأن مؤسسات الدولة مشلولة، والجماعات المسلحة هي المسيطرة على الميدان.

اغتيال ناشطة

ويشير الخط البياني للانتهاكات إلى أن وتيرتها زادت منذ اندلاع الصراع بين جماعة «فجر ليبيا» (طرابلس ومصراتة) وأنصار «عملية الكرامة» بقيادة حفتر (الشرق) في العام 2014. فغالبية الاغتيالات التي طالت شخصيات عامة أو نشطاء حقوقيين أو إعلاميين، تمت في تلك الفترة. وامتدت الاغتيالات في المنطقة الشرقية لتشمل قيادات عليا في الجيش والمؤسسات الأمنية، على مدى السنوات الماضية، لإفراغ هاتين المؤسستين من قياداتهما. ومن أبرز ضحايا الاغتيالات المحامية والناشطة الحقوقية سلوى بوقعيقيس، التي قُتلت في بيتها، وسُجل الاعتداء على أنه من تنفيذ عناصر مجهولة الهوية. وقبل أشهر قليلة، تم اختطاف عضو مجلس النواب سهام سرقيوة من بيتها في بنغازي وأمام أنظار زوجها وأفراد أسرتها، الذين تعرضوا بدورهم للضرب العنيف. وأصدر مجلس الأمن الدولي، بعد جلسة طارئة في 11 آب/اغسطس الماضي بيانا حمل فيه على منفذي اعتداء بواسطة سيارة مفخخة على ثمانية عناصر من البعثة الأممية، وكان من ضمن بنوده الاشارة إلى خطف عضو مجلس النواب سهام سرقيوة، التي اعتبرها «جريمة خطرة ويجب محاسبة الجناة عنها».

إجمالا، اتخذ ضرب الحريات أبعادا غير مسبوقة بعد انتفاضة 17 شباط/فبراير 2011 وشمل جميع الفئات والمناطق تقريبا، فضحايا الاغتيالات كانوا من القضاة والإعلاميين والضباط العسكريين والأمنيين والنشطاء والأكاديميين، والنساء والرجال والشباب والشيوخ. وعليه يتوجب إعداد العُدة للملاحقة منفذي الاغتيالات والقبض عليهم. وهذا يقتضي معاودة تشكيل الجيش الليبي، الذي سبق أن حله معمر القذافي، وإعادة بناء المؤسسة الأمنية لكي تستوعبا الشباب الذي انضوى تحت رايات الجماعات المسلحة، بدافع الإغراءات المالية. وفي هذا السياق أوصى تقرير صادر عن مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في شباط/فبراير الماضي بإصلاح الشرطة القضائية وإنشاء برنامج قوي لحماية الضحايا والشهود، بالإضافة لإنشاء هيئة قضائية متخصصة داخل المحاكم الليبية للتركيز على الجرائم التي نص عليها القانون الدولي لحقوق الإنسان.

استهداف فئات هشة

تُظهر تقارير المنظمات الدولية المعنية بالدفاع عن الحريات أن الانتهاكات استهدفت أساسا فئات هشة، ولاسيما الفاقدة لوسائل الدفاع عنها، مثل المهاجرين غير النظاميين والنساء، وكذلك الإعلاميين. وكان أول ضحايا الاغتيال السياسي المحامي والإعلامي عبد السلام المسماري، الذي قُتل لدى خروجه من المسجد في بنغازي العام 2013.

لا بل زادت دائرة الضحايا اتساعا لتشمل أيضا المدافعين عن حقوق الإنسان أنفسهم، الذين باتوا عُرضة للتهديد والابتزاز، والتصفية الجسدية، مثلما حصل للناشطتين البارزتين فريحة البركاوي وانتصار الحصائري. واعتُبر اغتيالهما، إضافة إلى مقتل المحامية بوقعيقيس، رسالة أوسع نطاقا مفادها أن «المرأة لا ينبغي أن تكون ناشطة في المجال العام».

وفي أحدث تقرير صادر عن منظمة العفو الدولية عن انتهاكات حقوق الإنسان في ليبيا، اعتبرت المنظمة أن الأطراف المتحاربة من أجل السيطرة على طرابلس مسؤولة عن قتل وإصابة عشرات المدنيين، من خلال شن هجمات دون تمييز، واستخدام عدد كبير من الأسلحة المتفجرة غير الدقيقة في المناطق الحضرية الآهلة بالسكان.

أول تحقيق ميداني

وفي أول تحقيق ميداني مفصّل على جانبي الجبهة منذ اندلاع القتال، زار مندوبو المنظمة، حسب التقرير، 33 موقعاً لضربات برّية وجوّية في طرابلس والمناطق المحيطة بها، واكتشفوا أدلة على ما يُحتمل أن تكون جرائم حرب ارتكبتها كل من قوات «حكومة الوفاق الوطني» التي تدعمها الأمم المتحدة، وقوات «الجيش الوطني الليبي» بقيادة حفتر. وتعليقاً على ذلك، قالت دوناتيلا روفيرا، كبيرة مستشاري برنامج الاستجابة للأزمات لدى منظمة العفو الدولية «كشف التحقيق، الذي أجرته المنظمة، على جانبي جبهة القتال، عن استخفاف مستمر بالقانون الدولي، وهو يتزايد جراء الاستمرار في إمداد طرفي القتال بالأسلحة، في انتهاك للحظر الذي فرضته الأمم المتحدة» على ما جاء في التقرير.

وتفيد إحصاءات الأمم المتحدة بأن القتال على مدار الشهور الستة الماضية أسفر عن مقتل وإصابة ما يزيد عن 100 مدني، بينهم عشرات المهاجرين واللاجئين الذين كانوا معتقلين، بالإضافة إلى تشريد أكثر من 100 ألف شخص. وأصابت الضربات الجوية، ونيران القصف المدفعي، عدداً من منازل المدنيين ومرافق البنية الأساسية، ومن بينها عدة مستشفيات ميدانية ومدرسة، بالإضافة لمركز مخصص لاحتجاز المهاجرين، كما أدت إلى إغلاق مطار معيتيقة، وهو المنفذ الجوي الوحيد لسكان طرابلس.

جرائم حرب؟

وكانت بعض الهجمات التي وثّقتها منظمة العفو الدولية إما عشوائية أو غير متناسبة، مما يعني أنها تمثل انتهاكاً للمبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني، ويمكن أن تُعد بمثابة جرائم حرب. وفي حالات أخرى كان وجود مقاتلين داخل منازل مدنيين ومنشآت طبية، أو بالقرب منها، سببا لتعريض حياة المدنيين هناك للخطر.

كما أسفرت هجمات «الجيش الوطني الليبي» عن تدمير بعض سيارات الإسعاف والمستشفيات الميدانية التي تُستخدم لعلاج الجرحى من المقاتلين، أو عن إلحاق أضرار بها، بالرغم من أن طواقم العاملين في المجال الطبي والمنشآت الطبية، بما في ذلك تلك التي تتولى علاج المرضى أو الجرحى من المقاتلين، تتمتع بحماية خاصة بموجب القانون الدولي الإنساني، ويجب ألا تكون هدفاً للهجمات. وهكذا توصلت منظمة العفو الدولية إلى أن مقاتلي «حكومة الوفاق الوطني» استخدموا بعض المستشفيات الميدانية والمنشآت الطبية لأغراض عسكرية، مما جعلها عرضةً للهجمات.

وكانت أشد تلك الضربات هجوم صاروخي على مستشفى ميداني بالقرب من مطار طرابلس الدولي (المغلق منذ 2014) يوم 27 تموز/تموز 2019 ما أسفر عن مصرع خمسة من الأطباء والممرضين والمسعفين وإصابة ثمانية آخرين. وعُثر في موقع الهجوم على شظايا صاروخ من طراز «بلو أرو 7» وأدلة أخرى، وبناءً عليها توصلت منظمة العفو الدولية إلى أن الهجوم شُنَّ من طائرة مسيَّرة صينية الصنع من طراز «وينغ لونغ» التي تقوم الإمارات بتشغيلها لحساب «الجيش الوطني الليبي». وتوصلت المنظمة أيضاً إلى أن مبنى المستشفى لم يكن مميزاً بعلامات تدل على أنه منشأة طبية، كما كان المقاتلون يستخدمونه لتناول الطعام ولأغراض أخرى. وكان من بين الذين قُتلوا أو أصيبوا بشكل غير مشروع، أطفال لا تزيد أعمارهم عن عامين، كانوا يلهون خارج منازلهم، ومعزّون كانوا يشاركون في تشييع جنازة، وأشخاص عاديون كانوا يباشرون أشغالهم اليومية.

تهديدات وتحقيقات

وفي ظل تصاعد انتهاك الحريات، أصدر المفوض السامي لحقوق الإنسان بيانا عبر فيه عن قلقه البالغ إزاء التقارير التي أفادت بتوجيه تهديدات إلى أعضاء «المجلس الوطني للحريات المدنية وحقوق الإنسان» (مؤسسة شبه رسمية). وأتى هذا التحذير بعدما اقتحمت عناصر مسلحة مكاتب المجلس في طرابلس، وطلبت تسليمها المفاتيح والطوابع الرسمية، وحققت مع كبار الموظفين في المجلس. ومع أن المفوض السامي لحقوق الإنسان طالب السلطات الليبية بتقديم من تثبت مسؤوليتهم عن انتهاك الحريات وحقوق الإنسان إلى المساءلة القانونية، فإن تلك الدعوة ظلت حبرا على ورق.

في السياق أكد تقرير صادر عن مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في شباط/الماضي الماضي أن «كثيرا من الجهات الفاعلة (في ليبيا) إن كانت حكومية أم غير حكومية، متهمة بارتكاب انتهاكات وتجاوزات خطرة للغاية، ترقى في كثير من الحالات إلى مستوى جرائم حرب». وتشمل تلك الانتهاكات الموثقة عمليات قتل غير قانونية، إذ تم الإبلاغ عن حالات في مختلف مناطق النزاعات حيث تقوم الجماعات المسلحة بإعدام أشخاص بعدما تعتقلهم أو تختطفهم، لأنها تعتبرهم أعداء لها. وتُدير بعض الجماعات المسلحة مراكز اعتقال في معزل عن سلطة الدولة. وبناء على تفاقم تلك الظاهرة، أوصى مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان باتخاذ تدابير عاجلة لمكافحة الافلات من العقاب وتعزيز إصلاح القضاء. وأظهر تقرير الأمم المتحدة أن من بين الانتهاكات التي تم رصدها والمستمرة منذ 2014 الهجمات على مناطق مكتظة بالسكان، مثل بنغازي وطرابلس والجنوب الليبي، إضافة إلى انتشار التعذيب والمعاملات السيئة، ومن بينها استخدام الأنابيب البلاستيكية والكوابل الكهربائية والتعليق لفترات طويلة في أوضاع مؤلمة، والحبس الانفرادي والصعق بالكهرباء، والحرمان من الطعام والماء. ونتج عن التعذيب وفاة معتقلين في مراكز الاحتجاز وأيضا في مخافر الشرطة والاستخبارات العسكرية. واعتبر خبراء أن الرد على الانتقادات المتزايدة لأجهزة الأمن في المنطقة الشرقية، باعتقال النشطاء أو تعنيفهم، يعكس الوصول إلى طريق مسدودة سياسيا، قد تؤول إلى فقدان السيطرة على الوضع في بنغازي، خصوصا إذا ما أقدم السكان على التحرك في الشارع، اقتداء بالسودانيين والجزائريين واللبنانيين.

> تفيد إحصاءات الأمم المتحدة بأن القتال على مدار الشهور الستة الماضية أسفر عن مقتل وإصابة ما يزيد عن 100 مدني

انتهاكات بلا عقاب

لكن أخطر ما في هذا الأمر أن غالبية الذين تلقوا تهديدات وأصبحت حياتهم في خطر، من نشطاء وحقوقيين وإعلاميين وغيرهم، اضطروا للهجرة إلى الخارج ضمانا لسلامتهم من الاغتيال، خاصة بعدما بقي منفذو تلك الانتهاكات بلا عقاب، ما يدل على أنهم سيعاودون ارتكابها ضد كل من يُشتبه بكونه معارضا لسلطات الجنرال حفتر في بنغازي. وتحدث ناشط فضل عدم الكشف عن هويته، إلى «القدس العربي» عن فرق الاغتيالات والاختطافات، فأكد أنها تتحرك في وضح النهار لتعتدي وتُعاقب الخارجين عن الصف، بالاعتماد على المدخلين (متشددون سلفيون من أنصار السعودي ربيع المدخلي) الذين باتوا يشكلون، مع جهاز «الأمن الداخلي» قبضة السلطة في بنغازي. وللتخلص من هذا الكابوس فضل كثير من المثقفين والنشطاء الهجرة إلى طرابلس أو مدن أخرى لديهم فيها أقرباء، أو إلى الخارج، إذ بات هؤلاء يهاجرون إلى تونس ومصر والمغرب ومالطا وباريس ولندن، مُعتبرين تلك الهجرة مؤقتة، إلى أن تنفرج الأوضاع في الداخل، وتصبح العودة للاستقرار في البلد مأمونة.

كتب

من كافكا إلى ميلينا:
الرسائل القديمة لها طعم الحب والحياة

هاشم شفيق

كان ذاك زمنا حين كان يتم فيه تبادل الرسائل بين شخصين، المُرسل والمُرسَل إليه، كانت ثمة حياة مرسلة في ورقة مطوية، حياة كاملة وفاعلة، ذات وقائع وأزمنة وتواريخ، ذات بوح ولوعة وصبوات عابرة للحدود تحملها كلمات مُحبّرة، لها صيغ جمالية في طريقة الخط وتشكيلة الحروف تعكس الطبيعة السايكولوجية الغنية لمرسلها.

كان ذلك يحدث قبل أكثر من عقدين، أما اليوم، فالرسائل إلكترونية سريعة، وغير بواحة، كتيمة وخرساء، لا رائحة لها، لا الحبر ولا رائحة الورق، بل نحن أمام آلة صماء ترسل بسرعة البرق كلماتنا المختزلة، دلالة للعصر الذي نحن فيه، عصر التقنيات الحديثة، والأجهزة الذكية التي ترسل لك قلباً، وباقة ورد، وبسمة، ودمعاً إلكترونياً بدون لمسه، وتحسسه، وشم رائحته لحظة وصول الرسالة المرسلة، عبر جهاز الهاتف الذكي والمتطور تقنياً، حسب تطوّرات العقل الحديث، المغرق بتفاصيل الميديا الحديثة.

مناسبة هذا الكلام هو صدور رسائل الروائي التشيكي الشهير فرانز كافكا، المولود في براغ عاصمة الجيك، الذي كتب رواياته بالألمانية، وعُرف بولعه بعالم التحوّلات الغامضة والكابوسية، وأشهر كتبه عربياً «المسخ» و «القصر» و«المحاكمة»، حيث أثر في غالبية الكتاب العالميين، وأصبح رمزاً للكتابة الكابوسية، ولا سيما بعد خوض العالم حربين عالميتين، وبعد نشوء المحارق النازية، وتحوّل الإنسان إلى آلة تعمل ليل نهار، وما «المسخ» أو «التحوُّل» أو «الصرصار» إلا نتاج تلك العوامل الصعبة، والتحوّلات الدراماتيكية، والوقائع التراجيدية، والمظالم الكبرى التي حصلت في العالم.

لعل كتاب «رسائل إلى ميلينا» الذي ضمّ رسائل كافكا في تلك الأعوام التي حملت أجواء نهايات الحرب العالمية الأولى، هي خير كاشف لمأسوية ذلك الزمن وصعابه، وخير هادٍ للتحوّلات النفسية والسايكوباثية التي مرّ بها كافكا، وهو يعاني من أزمته الصحية، تلك التي تمثلت بمرض السل الذي كان شائعاً حينها، وليس له من علاج شاف، غير الأمكنة النقية، والجبال، والطبيعة التي ربما قد تساعد في تخفيف عبء المرض، أو التقليل من المعاناة اليومية، والشائكة لهذا الداء الذي حصد الملايين في تلك الأزمنة العابرة.

من هنا يتبدى لنا عالم كافكا الحقيقي، عالم الألم والأرق والسهر المتواصل، حيث انعدام الراحة، وغياب النوم وفقدان الشهية للطعام، حيث نزيف دائم للدم من الصدر، مصحوباً بنوبات سعال شبه قاتلة.

وهنا سنرى ذلك الانعكاس الجلي لتلك العوالم، والأوقات، وللحظات المرة التي مرّ بها كافكا، وهو يعاني قلق الكتابة، وقلق الحياة، كونه يهودياً شبه منبوذ، في عالم لم يكن ليتقبّلهم بسهولة، حسب أوضاع تلك الأزمنة، بالرغم من هيمنتهم بالتدريج على عالم المال والدعاية والاقتصاد العالمي، كل ذلك سنراه في رسائله إلى ميلينا المسيحية، التي كانت قد سألته أكثر من مرة «هل أنت يهودي؟ وهي ثيمة لا تزال سائدة في عالمنا العربي الآن، بعد مضي مئة عام عليها، إن كان بطريقة إثنية أو مذهبية، من أجل أن تتعمق الهوة أكثر بين سكان بلد عربي معين.

تكشف الرسائل بين ميلينا وكافكا عمق العلاقة بينهما، فهي فتاة ألمانية متمرّدة، ومترجمة بعض كتبه إلى التشيكية، أحبّها كافكا حباً جمّاً، رغم تمرّدها العارم، ونزواتها الكثيرة، ومليها إلى تعدّد صداقاتها الرجالية، وبذخها في صرف المال على السهرات، والشراب، وشراء الملابس غالية الثمن، حيث كان والدها يغدق عليها الكثير من المال، ولكنها كانت تبعثره هنا وهناك، حتى مالت إلى أقربائها في طلب المال ثم من صديقاتها ومن ثَمّ من كافكا الذي كان يرسل لها المال دائماً، في رسائله العديدة التي لم تكن لتتوقف يوماً، بل كانت هناك أحياناً أكثر من رسالتين في اليوم الواحد، وهذه الرسائل تكشف مدى تعلق كافكا بها، رغم أنها كانت متزوجة حينذاك، ولكنها كانت تتحدى ذلك الزواج، فتخرج عن مراسم العائلة، بكتابة رسائل غرامية حارقة إلى كافكا، جلها أحرق أثناء حياته وربما بطلب منها، واختفى بعضها أثناء حياته القصيرة المنتهية وهو شاب في سن الأربعين، ولكنه أعطى إبداعياً أكثر من هذه السن القصيرة، إذ خلق من خلال كتاباته أسلوباً مختلفاً، وجديداً، واجترح تياراً تعبيرياً لا يضاهى، سار عليه كتاب عالميون معروفون، متمثلين ثيماته في قصصه

أو رواياته، في استيحائهم لعوالمه النادرة والمتسمة بخيال مثير، تلك العوالم الغارقة في تيار الغموض الوجودي، مما خلقت منه أيقونة إبداعية عالمية، قلّ نظيرها في عالم الكتابة الجادة والحقيقية.

توضح الرسائل أيضاً شغف كافكا بميلينا، متغزلاً بأنوثتها وحتى باسمها، ناعتاً إياه بأنه اسم يوناني - أسطوري، وكذلك تسلط الضوء العميق إلى دواخله، المغلقة عادة تجاه الآخر، فنراه خفيف الروح، مرحاً، رغم سوداويته وتجهّمه وعدم اختلاطه مع الآخرين، في عالم العمل أو في الحياة العامة إلا فيما ندر، كعلاقته مع عمه وأخته وزوجها، ومع صديقه الأزلي ماكس برود، هذا الشخص الذي أوصل كافكا إلى العالم، حين عمد إلى نشر كتبه، مخالفاً بذلك وصيته بإحراقها بعد موته وعدم نشر حرف من أعماله الروائية، وكتاباته الإبداعية، وقصصه البارعة، والاستثنائية من ناحية الصنيع الفني، والإجادة في العمل الكتابي.

في ظل هذه الحيثيات، نرى بين سطور رسائل كافكا ذلك الدفق الكلامي من الحب، والوله، والشغف بميلينا، كان يهمسها دائماً بالخلوة، والوحدة فيما بينهما، ويهمسها بالتدلّه والمناغاة كأنها طفلته البعيدة، رسائل كانت حسب قوله هو الذي عاف الطعام، هي الغذاء الحقيقي له، وكان اليوم الذي لا يحمل رسالة منها، يراه كئيباً وعابساً وخالياً من البهجة والحب والجمال الروحي.

كانت الرسائل تحمل طابع الحشمة والعذرية والاحترام إلى حد ما، عكس ما كانت تكتب ميلينا من كلمات موحية تحمل طابعاً مغايراً لما كان يكتبه، لكن تلك الرسائل الدامية شوقاً وحرقة وغزلاً أحرقت، ولم يستطع أحد سوى ماكس برود العلم بها، كونها كانت تحمل ما تحمل في طياتها من تعابير، ودله، ومناجاة للعشيق الغائب، والبعيد فرانز كافكا.

كان ماكس برود صديق الاثنين، وهو أخلص شخص حتى من ميلينا لكافكا، فهي كانت ذات نزوات وأهواء ومقابسات غرامية مع هذا وذاك من الرجال، كانت مترجمة، وتعمل في عالم الصحافة، وفي عالم الدعاية والأزياء أيضاً، هذا فضلاً عن جاذبيتها التي مثلها كافكا في أحد تعابيره المرسلة بـ «شعلة النار العارمة».

تزوجتْ ميلينا مرّتين، والدها كانت له علاقات نسائية متعدّدة، ربما هي ورثت هذه الخصلة عنه، أما كافكا فلقد خطب مرّتين، ولكن لم يتم الزواج من إحداهما بسبب مرضه، وقلقه وتقلب مزاجه، وسوداويته العميقة والمزمنة.

كان بدء العلاقة التي وضّح مدى عمقها بينهما، يوم ترجمتها لكتابه «الفحّام» إلى التشيكية، تلك الترجمة كانت فاتحة للعلاقة بين الاثنين.

درستْ ميلينا في أرقى الجامعات الأجنبية، والدها كان جرّاح أسنان معروفاً، وبروفيسوراً، وخطيباً معادياً للسامية، قاسياً نوعاً ما، وغير صبور، عكس أمها الحنون التي ماتت بفقر الدم، يوم كانت ميلينا في الثالثة عشرة من عمرها.

في الطبعة الأولى لكتاب «رسائل إلى ميلينا» وصفها الناشر ويلي هاس في شبابها بالتالي: «كان يخيل لمرافقيها، وكأنها امرأة نبيلة من القرن السادس عشر، أو السابع عشر، تضفي على اللحظة طابعاً إيطالياً قديماً، وكأنها تعيش في رواية قديمة مع دوق جسور مقدام، ذكي، لكن طبيعتها المتهورة، كانت تطفو عندما يسوقها قلبها ... ولطالما هذا ما حدث في شبابها، كانت غامضة وطيبة إلى حد الخيال، تأسر القلوب بغموض عجيب».

كانت ميلينا أيضاً مصابة بمرض رئوي، وتعاني من مشاكل صحية في صدرها، ومن تعب وكلال وتشوه في قدميها بعد ولادة ابنتها الثانية، وذلك ظل مثل عاهة لازمتها حتى أواخر حياتها، وربما كان حتى المرض جامعاً لكليهما، من حيث مواساة بعضهما من خلال الرسائل الكثيرة، والمتواترة يوماً بعد آخر.

في إحدى الرسائل يقول:

«أرغب في إرسال الرسالة لك الآن، سأرسل التعديلات غداً، فهي تغييرات قليلة، فما زالت ترجمتك تحوز على إعجابي مرة تلو الأخرى، والذي يعني لي الكثير، فلا أجد أي التباس يذكر، وحتى لو وجد فإن ذلك سيكون بموضع القوّة، ولن يكون مهماً، لا أعلم أن كان التشيكيون يلومونك على إخلاصك، فهو أجمل ما في ترجمتك، وليس لذلك علاقة بترجمة القصة، وإنما إخلاصك لي أنا».

فرانز كافكا: «رسائل إلى ميلينا»
ترجمة: هبة حمدان
الدار الأهلية، عمّان الأردن 2017
291 صفحة.

ادوارد سنودون في «سجل دائم الصلاحية»:

هل من الحكمة تسليم أسرار استخبارات الدول الكبرى إلى شباب مثاليين ثم معاقبتهم؟

سمير ناصيف

هل من الصواب ان تستمر أجهزة الاستخبارات الأمنية في الدول العظمى والحليفة لها، في تسليم أخطر وأهم أسرارها إلى موظفين شباب مثاليين في معتقداتهم الأخلاقية والسياسية ولا يتجاوزون العشرين أو الثلاثين من أعمارهم فقط لمهاراتهم العالية في حقول الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات، وقدرتهم على المراقبة الحثيثة لسكان بلدانهم وبلدان أخرى بحجة مكافحة الإرهاب؟

هذه إحدى الطروحات الممكن تناولها ومعالجتها لدى قراءة كتاب مذكرات كاشف الحقائق والأسرار الأمريكي ادوارد سنودون بعنوان «سجّل دائم الصلاحية» وبخطوة إدارية متسرعة رُفعت عنه الرقابة، وكُشفت أمامه الأسرار الخطيرة وهو في سن يانعة ومن دون امتلاكه الخبرة الوافية في علم السياسة والتاريخ والعلاقات الدولية (حسب اعترافه) فهو لم يمتلك حتى شهادة جامعية في هذه الحقول، ومهارته الكبرى كانت في تكنولوجيا المعلومات. وهذه ظاهرة لها سلبياتها وتتفشى في كثير من وكالات الاستخبارات في العالم حالياً، مما يعتبره البعض أحد أسباب فشلها في كشف أسرار أعدائها أو في منع اختراقها من قبل شبان يعملون فيها ويتميزون بالطموح والمثالية والإيمان بأفضلية القيم والأخلاق في العمل الأمني التجسسي.

في سن الـ26 وفرت لسنودون تغطية كموظف في شركة «ديل» الأمريكية لأجهزة الكومبيوتر وأُرسل إلى اليابان، حيث ساهم في إنشاء أجهزة تجسس متطورة يصعب تدميرها.

يقول في الصفحات الأولى إن «سبب كتابتي هذا الكتاب يعود إلى أنني أردت كشف الحقيقة وجمعت وثائق أمنية سرية دقيقة وسلمتها إلى صحافيين نزهاء بالإمكان الوثوق فيهم، وقد ساهموا في نشرها في صحفهم ومؤسساتهم وأعرضوا عن نشر ما كان يجب عدم نشره». ويضيف: «وسيلة الإنترنت جعلت البشر يتشاركون في المعلومات من دون ان يدركوا أنهم عبر هذه المشاركة، أصبحت معلوماتهم وأفكارهم ومواقفهم ليست ملكاً لهم ولمن أرادوا مشاركتهم فيها فقط بل لأجهزة أخرى أكبر منهما». ويؤكد أنه يحبُّ بلده ويعشقُ خدمة شعبه ودستور بلاده، ولكنه ليس خادماً عند السياسيين الأمريكيين الذين يتجاوزون الدستور الذي يحمي الحقوق المدنية للشعب وليس مصالح القادة على حساب الشعب، ويعاقب القادة الذين يخرقون المبادئ الواردة فيه وفي نصوصه ويعتدون على حقوق الشعب. وعندما تخترق أي دولة، بإيعاز من قادتها، خصوصيات شعبها من دون أي مبرر فهي تخترق دستورها وتتجاوز الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ويوضح أنه كشف الأسرار التي يعرفها لكبار الصحافيين في أمريكا وبريطانيا والعالم داعياً إياهم لاختيار ما يجب نشره أو عدم نشره منها.

التقى سنودون الصحافيين المختارين للمرة الأولى بعد قراره كشف الأسرار في هونغ كونغ في أيار (مايو) 2013. وقد ساعده مؤمنون بقضايا الحريات وحقوق الإنسان في اختيار هذا المكان، وفي حمايته. و«الغارديان» البريطانية منهم ايوين مكا سكيل، الذي كان يعمل تحت إدارة رئيس تحرير الصحيفة الجريء آلان روسبريدجر الذي استقال من منصبه لاحقاً بسبب قضية سنودون. وانتشرت أخباره بعد «الغارديان» في صحف أخرى في بريطانيا وأمريكا والعالم.

ويؤكد أن «أي دولة يعتبر قادتها أنفسهم منتخبين ديمقراطياً ثم يمارسون التجسس على مواطنيهم والتعرض لحرياتهم تكون قد تخلت عن ديمقراطيتها». (ص 330).

ويطالب بتغيير القوانين التي تسمح بالتعدي على حريات وخصوصيات المواطنين في أي دولة بحجة مكافحة الإرهاب. وعن طريق استخدام قوانين تعسفية جديدة لمكافحة الإرهاب سُنتَ بعد هجمات 11 أيلول (سبتمبر) 2001 على نيويورك وواشنطن. ويقول إن أمريكا ارتكبت مخالفات كبيرة للشرائع الدولية في غزوها للعراق عام 2003 وقامت بممارسات قمعية ضد الشعب العراقي ولكن لا أحد يجرؤ على اختراق أجهزتها الأمنية والكشف عن هذه الحقائق. وهذا ما حاولت كاشفة الحقائق تشلسي مانغ فعله، وهي تقضي حاليا عقوبة في السجن في أمريكا بسبب ذلك. أما سنودون، فلا يستطيع العودة إلى بلده لأنه من المرجح لن يحظى بمحاكمة عادلة (حسب رأيه) كما يتم تهديد مؤسس منظمة «ويكيليكس» جوليان آسانج بالترحيل من سجن بريطاني إلى محكمة في أمريكا بعد أن قضى عدة سنوات لاجئاً في السفارة الاكوادورية في لندن. وفي أمريكا قد يُعاقب بشدة وبتعسف.

ويرى سنودون ان الدولة الأمريكية تحاسب من يكشف أسرارها «القذرة» فيما لا تُحاسب هي على تجاوزاتها لحقوق الإنسان ودعمها لدول تتجاوزها.

وقد ازداد عدد كاشفي الحقائق في الفترة الأخيرة بعد تزايد تجاوزات القادة. ففي أمريكا، يتحدى هؤلاء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بحيث اخترقوا اتصالاته برئيس جمهورية أوكرانيا متهمين إياه بمحاولة التحريض على خصمه جو بايدن في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة. وقد يأتي مَنْ يخترق اتصالاته بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين أو بقادة إسرائيل أو الدول العربية والخليجية.

هذه ظاهرة إيجابية، من جهة، كونها قد تساهم في ضبط ممارسة الازدواجية السياسية في المواقف لدى قادة العالم، ولكنها، في الوقت عينه، قد تؤدي إلى تردد قادة وزعماء العالم في التفاوض السري في حالات من المفيد تبادل الآراء حولها في قنوات خلفية قبل الخروج إلى العلن. مثل هذا التردد قد يحدث خشية وخوفاً من تسرب المعلومات السرية والخاصة للإعلام عبر كاشفي الأسرار، قبل وقتها.

كما أن تحويل أجهزة الاستخبارات العالمية إلى أجهزة غير محترفة يكثر فيها شباب تنقصهم الخبرة والمعرفة التاريخية قد يساهم في ارتكاب الأخطاء التي من الممكن أن تفيد المنظمات الإرهابية في العالم ويؤدي إلى الصعوبة في كشف عملياتها وخططها. وبالتالي، فإن ظاهرة سنودون مطلوبة ومفيدة، ولكن ماذا لو تحولت معظم أجهزة الاستخبارات في دول العالم إلى أجهزة مليئة بكاشفي الأسرار الذين تنقصهم الخبرة السياسية والمعرفة التاريخية؟ ربما سيكون في ذلك خطورة أيضاً على أمن العالم.

كما ان كاشفي حقائق قد يقعون ضحايا ضباط استخبارات مخضرمين من خصوم دولهم، فالضابط الروسي الذي استجوبه في موسكو وهو في طريقه من هونغ كونغ إلى الاكوادور حاول استقطابه للعمل في المعسكر الآخر مع ان هذا لم يكن هدف سنودون. وعندما أبلغه هذا الضابط ان وزير الخارجية الأمريكي (آنذاك) جون كيري سحب جوازه الأمريكي منه، وجد سنودون نفسه في فخ لم يعد باستطاعته الخروج منه وأصبح مضطراً للبقاء في روسيا إلى الآن (ص 308).

ويشبه وضعه الآن وضع كيم فيلبي عميل الاستخبارات البريطاني المزدوج الانتماء الذي اضطر للجوء إلى الاتحاد السوفييتي في ستينيات القرن الماضي، وبقي هناك حتى وفاته. وفي الحالتين، رغب كل منهما بالعودة إلى وطنه مع ان زوجة سنودون التحقت به في موسكو وفيلبي تزوج من امرأة روسية ظلت معه حتى وفاته بموافقة السلطات الروسية على عودة ليندسي وزواج فيلبي وعيشهما في روسيا. ومع ان جريمة فيلبي كانت أكبر من جريمة سنودون، فالبدأ العام هو ذاته وهو أن أشخاصاً يرتكبون مثل هذه الأفعال ربما لأسباب فكرية وعقائدية وينتهون كمجرمين مرفوضين في بلادهم وكلاجئين في بلدان لا يرغبون البقاء فيها رغم انهم يُعاملون معاملة طبيعية في بلد اللجوء.

وفي المقابل، فان جورج بوش الابن وأعوانه، من الذين غزوا العراق وقتلوا مئات الآلاف من أبنائه، يعيشون حياة هادئة ومريحة في أمريكا، كما يعيش حلفاؤهم من الذين ارتكبوا جرائم مماثلة في أماكن أخرى من العالم، في وقت يستمر فيه «إرهاب الدول القوية» ضد الشعوب والدول والمجموعات المسلوبة حقوقها.

Edward Snowdon: «Permanent Record» Metropolitan Books: New York 2019 339 Pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

عن أي دستور سوري يتحدثون؟

مشروع الدستور: رفض شعبي وفشل معلن

«الغموض الخلّاق» عبارة نسمعها كثيراً أثناء مناقشة الوثائق والبيانات الدولية الخاصة بالحلول المطروحة لمعالجة المشكلات الإقليمية أو الوطنية، وحتى الدولية، المعقدة. فعادة ما تستخدم تعابير ملتبسة، يكون لها أكثر من تأويل أو تفسير، وذلك استناداً إلى موقع الطرف الذي يقوم بعملية التأويل ضمن معادلة المصالح والحسابات والقدرات.

فالطرف الضعيف عادة ما يتمسك بما يوحي به ظاهر النص، ليضفي عليه مسحة تفاؤلية، بهدف الوصول إلى تفسير ينسجم مع الرغبات والتطلعات؛ بينما يلجأ الطرف القوي منذ اللحظة الأولى إلى مصادرة كل الاحتمالات التي قد تخرج بالنص عن الإطار الذي تم التوافق عليه. وغالباً ما تكون التفصيلات والدلالات اللغوية، واختلافات الترجمة، من الأدوات التي تعتمد لتفنيد حجج أصحاب القرارات المغايرة، هؤلاء الذين يعتمدون في غالب الأحيان الأسس الأخلاقية والبدهيات التي تنص عليها اللوائح الأممية في ميادين الحقوق الإنسانية للأفراد والجماعات والشعوب؛ وهي أسس ومرجعيات تظل حبيسة النصوص، وأسيرة التمنيات التي لا تتحوّل، بكل أسف، إلى وقائع ملموسة في عالم المصالح الذي يشكل الأرضية التي تتحرك عليها السياسة عادة، خاصة في عالمنا الراهن، حيث فقدت الفلسفات الإنسانية والمبادئ القيمية ألقها ودورها التوجيهي المؤثر.

مناسبة هذا الحديث، الجدل الذي كان، وما زال، بشأن الإعلان عن تشكيل اللجنة الدستورية التي تسوق على أنها ستكون بوابة الخروج من المتاهة السورية، نحو حل ما زالت ملامحه العامة مبهمة، متداخلة، الأمر الذي لا يعطي انطباعاً يمكن الثقة به.

فبغض النظر عما قيل، ويقال، حول عملية الإخلال بترتيب أولويات خطة الحل المنتظر، وبصرف النظر عما نسمعه هنا وهناك حول خلفية أعضاء اللجنة ومؤهلاتهم، ودرجة تمثيلهم للمكونات المجتمعية والاتجاهات والقوى السياسية السورية؛ نرى أن الآليات التي ستعمل بموجبها هذه اللجنة، وذلك استناداً إلى ما تم الإفصاح عنه حتى الآن، لا تسمح على الصعيد الواقعي الفعلي باتخاذ أي قرار من شأنه دفع الأمور نحو الأمام باتجاه الحل. فنسبة الـ 75 في المئة المطلوبة لتمرير أي قرار في حال عدم الوصول إلى توافق، هي نسبة تعجيزية، لن يتم الوصول إليها إلا إذا تمكّن النظام من اختراق واستمالة أعضاء من المحسوبين على المعارضة والمجتمع المدني، وإضافتهم إلى الأعضاء التابعين له أصلاً.

هذه النسبة تذكرنا بتلك القاعدة التي نصّ عليها بيان جنيف 1 بخصوص كيفية تشكيل هيئة الحكم الانتقالي. إذ كان المبدأ المفترض هو التوافق بين كل من النظام والمعارضة على أعضاء الهيئة المعنية. وهو الأمر الذي قلنا عنه في حينه بأنه لن يكون.

ومما يستخلص من هذا هو أن القوى التي توافقت على بيان جنيف كانت تدرك سلفاً بأن بيانهم هو مجرد رفع عتب، بوحي بوجود جهد دولي للوصول إلى حل ما، في حين أن الوقائع كانت تقول في ذلك الحين عكس ذلك.

وكلنا يتذكر التباين، بل التناقض بين التفسيرين الروسي والأمريكي حول موضوع مصير بشار الأسد في حال تشكيل هيئة الحكم الانتقالي. فبينما كان الأمريكان يرون أنه لا دور له، وسيكون خارج معادلة الحكم، كان الروس يؤكدون أن بيان جنيف لا ينص على ذلك.

وحينما تيقّن كوفي أنان من غياب المقدمات الضرورية للخروج من الحلقة المفرغة، وبعد أن تبيّن له استحالة تشكيل الهيئة المعنية؛ ولكن الأهم من هذا وذاك، بعد أن تأكد تماماً من أن الاستحالة المعنية كانت تعكس عدم وجود رغبة دولية للوصول إلى حل للموضوع السوري؛ وإنما كل ما كان هنالك تمثل في مجرد تحركات وبيانات وتصريحات، كانت توحي بوجود رغبة دولية في الوصول إلى حل، ولكنها لم تخرج في إطارها العام عن حدود دائرة إدارة الأزمة لا معالجتها... بعد أن تأكد أنان من كل ذلك، قدّم استقالته، وفي وقت قياسي مقارنة بمن تسلموا الملف من بعده.

ونحن إذا أمعنا النظر في الظروف والشروط التي سبقت، ورافقت، فكرة اللجنة الدستورية التي اعتمدها دي ميستورا عنواناً لواحدة من سلاله الشهيرة، سنلاحظ أنها كانت أصلاً بهدف الإيحاء بأنه قد حقق انجازاً ما. وسرعان ما تلقّف الروس الفكرة، ليتخذوها أداة من أجل تجاوز فكرة هيئة الحكم الانتقالي.

وكانت فعالية سوتشي، ومشاركة دي ميستورا فيها، مقابل الحصول على امتياز الإعلان عن تشكيل اللجنة الدستورية من قبل الأمم المتحدة، وبموافقة، بل بتدخل واضح من الأمريكان. كما أنها تسعى في الوقت ذاته إلى بناء علاقة مصلحية مع السعودية، الحليفة التقليدية للولايات المتحدة، وذلك في أجواء هيمنة اضطراب الثقة بين واشنطن من جهة، وحلفائها التقليديين من جهة ثانية، في ظل إدارة ترامب.

أما تركيا، فهي الأخرى تعاني من مشكلاتها الداخلية على المستويين الاقتصادي والسياسي. كما تتحسب لمآلات الصراع الإقليمي والدولي، وانعكاسات ذلك على الواقع التركي الداخلي، والدور التركي المستقبلي في يتجاوز حدود عملية جمع النقاط، لصرفها عند الجانب الأمريكي في إطار الصفقات المنتظرة حول جملة من القضايا الإقليمية والدولية التي قد تكون بين تلك الأطراف والولايات المتحدة.

ولكن هناك معطيات وتطورات دولية وإقليمية لافتة، لابد من أخذها بعين الاعتبار في أية مقاربة لمشروع حل ما في سوريا.

فالإدارة الأمريكية منصرفة اليوم إلى مشكلاتها الخاصة، واستعداداتها للانتخابات الرئاسية القادمة. كما أن الحرب التجارية الأمريكية–الصينية التي تكشف النقاب عن واقع وجود تنافس، بل صراع قوي مستمر حول امتلاك أحدث التكنولوجيا بين القوى الاقتصادية الأكبر في عالمنا المعاصر؛ هذه الحرب وتطوراتها تأخذ القسط الأكبر من الاهتمام الأمريكي الاستراتيجي، وستؤثر كثيراً في توجهات أمريكا وطبيعة تحالفاتها في الإقليم والعالم، وتساهم في تحديد طريقة مقاربتها لمختلف المشكلات.

وروسيا في المقابل، تعاني من مشكلات داخلية، ولكنها تسعى بشتى السبل من أجل ترسيخ العلاقة مع تركيا، والاستفادة من أهمية دورها الإقليمي، وقدرتها على إرباك خطط الناتو في المنطقة في حال حدوث طلاق نهائي بائن بينها وبين المعسكر الغربي.

وبموازاة ذلك، تعزز روسيا العلاقة مع الصين، وتتطلع نحو الوصول إلى مستوى من التكامل الاقتصادي والعسكري معها، مما سيحسن من شروط التفاوض مع الأمريكان. كما أنها تسعى في الوقت ذاته إلى بناء علاقات تقليدية مع الحليفة التقليدية للولايات المتحدة، وذلك في أجواء الانسحاب الكامل أو شبه الكامل من سوريا، فهو يراقب الأوضاع عن كثب بالتعاون مع حلفائه الأوروبيين، سيما بريطانيا.

فالولايات المتحدة الأمريكية متيقنة أن الكلمة النهائية في سوريا ستكون لها، وذلك بالتفاهم مع حليفتها الاستراتيجية إسرائيل. أما كل ما يسعى إليه الروس والإيرانيون والأتراك فهو لا يتجاوز حدود عملية جمع النقاط، لصرفها عند الجانب الأمريكي في إطار الصفقات المنتظرة حول جملة من القضايا الإقليمية والدولية التي قد تكون بين تلك الأطراف والولايات المتحدة.

ولكن هناك معطيات وتطورات دولية وإقليمية لافتة، لابد من أخذها بعين الاعتبار في أية مقاربة لمشروع حل ما في سوريا.

فالإدارة الأمريكية منصرفة اليوم إلى مشكلاتها الخاصة، واستعداداتها للانتخابات الرئاسية القادمة. كما أن الحرب التجارية الأمريكية–الصينية التي تكشف النقاب عن واقع وجود تنافس، بل صراع قوي مستمر حول امتلاك أحدث التكنولوجيا بين القوى الاقتصادية الأكبر في عالمنا المعاصر؛ هذه الحرب وتطوراتها تأخذ القسط الأكبر من الاهتمام الأمريكي الاستراتيجي، وستؤثر كثيراً في توجهات أمريكا وطبيعة تحالفاتها في الإقليم والعالم، وتساهم في تحديد طريقة مقاربتها لمختلف المشكلات.

وروسيا في المقابل، تعاني من مشكلات داخلية، ولكنها تسعى بشتى السبل من أجل ترسيخ العلاقة مع تركيا، والاستفادة من أهمية دورها الإقليمي، وقدرتها على إرباك خطط الناتو في المنطقة في حال حدوث طلاق نهائي بائن بينها وبين المعسكر الغربي.

وبموازاة ذلك، تعزز روسيا العلاقة مع الصين، وتتطلع نحو الوصول إلى مستوى من التكامل الاقتصادي والعسكري معها، مما سيحسن من شروط التفاوض مع الأمريكان. كما أنها تسعى في الوقت ذاته إلى بناء علاقة مصلحية مع السعودية، الحليفة التقليدية للولايات المتحدة، وذلك في أجواء هيمنة اضطراب الثقة بين واشنطن من جهة، وحلفائها التقليديين من جهة ثانية، في ظل إدارة ترامب.

أما تركيا، فهي الأخرى تعاني من مشكلاتها الداخلية على المستويين الاقتصادي والسياسي. كما تتحسب لمآلات الصراع الإقليمي والدولي، وانعكاسات ذلك على الواقع التركي الداخلي، والدور التركي المستقبلي في الإقليم. وقد جاء تدخلها الأخير في منطقة شرقي الفرات بضوء أخضر أمريكي، وموافقة روسية، ليجسد حساباتها الآنية والمستقبلية، وهي حسابات تأخذ أوضاعها الداخلية وتطلعاتها الإقليمية بعين الاعتبار.

هذا في حين أن إيران تعاني من جانبها من مشكلات داخلية وصراعات بين أجنحة الحكم. كما تشكو في الوقت ذاته من الضغوط الأمريكية الشديدة عليها في مختلف الميادين.

أما على المستوى العربي، فهناك تشتت وانقسام، وخلافات بينية عميقة بين مختلف الدول العربية. مصر مشغولة بأوضاعها الداخلية، والدول الخليجية منهمكة بالموضوع اليمني والمنافسات والخصومات البينية. هذا في حين أن الأوضاع في الجزائر ما زالت مفتوحة على مختلف الاحتمالات، بينما الحرب الداخلية تستنزف طاقات الليبيين. ورغم الإنجازات التي حققها السودان بعد التوافق الذي تم على الوثيقة الدستورية والمرحلة الانتقالية وتشكيل المجلسين السيادي والحكومي، فما زالت هناك قضايا كثيرة معقدة تحتاج إلى الحل.

وربما الأهم في اللوحة العربية، والأكثر تأثيرا في الوضع السوري، هو ما يجري في كل من العراق ولبنان. فالاحتجاجات الشعبية الأخيرة أكدت أن النفوذ الإيراني في البلدين لن يكون إلى الأبد رغم كل الاستثمار الذي كان. فالسفاد الأسطوري الذي يثقل كاهل العراقيين واللبنانيين بكل انتماءاتهم، خاصة في المناطق الجنوبية من العراق هو فساد محمي إيرانياً عبر الميليشيات المرتبطة مباشرة بالحرس الثوري، وهو في لبنان فساد متوافق عليه بين مختلف أطراف النظام السياسي الخاضع لهيمنة حزب الله، الذي يعلن زعيمه باستمرار تبعيته لنظام ولي الفقيه الإيراني.

ويبدو أن حملات التجييش المذهبية، وشد العصب الطائفي التي اعتمدها النظام الإيراني وسيلة للتغلغل داخل المجتمع والدولة في كل من لبنان والعراق، لم تعد تخدع الناس الذين يطالبون بالماء النظيف للشرب، والكهرباء، ونظام رعاية صحية مقبول، وتعليم لائق، إلى ما هنالك من أبسط موجبات العيش الكريم.

وإذا أخذنا التداخل المجتمعي بين سوريا والعراق من ناحية وبين سوريا ولبنان من ناحية ثانية، إلى جانب التغلغل الإيراني القومي السياسي في قالب مذهبي في الدول الثلاث، ندرك أن الأوضاع في سوريا لم تحسم بعد لصالح النظام كما يروج الآخير وحلفاؤه. فالشعب السوري المطالب هو الآخر بعيش حر كريم في ظل نظام حكم وطني عادل، ينهي حقبة الفساد والاستبداد، لم يهزم بعد رغم كل المصائب والشدائد التي كانت. والنظام من جانبه لم ينتصر، وإنما كل ما هنالك هو أنه وافق على منح الآخرين فرصة تدمير سوريا مجتمعاً وعمراناً مقابل البقاء.

إننا إذا وضعنا المؤشرات والقرائن هذه في حسابنا، إلى جانب التدخل التركي الأخير، والصفقة التي تمت بين قسد والنظام السوري بوساطة وإشراف روسيين، إلى جانب الصفقة التي عقدتها تركيا مع الولايات المتحدة من طرف وتلك التي عقدتها مع روسيا من طرف آخر، ندرك أن الموضوع السوري ما زال في مرحلة التسويف والإدارة، انتظاراً لمجهول قابل لكل الاحتمالات.

بناء على ما تقدم، نرى أن اللجنة الدستورية رغم كل ما صاحبها، ويصاحبها، من صخب، وكل التجاذبات التي كانت حولها سلباً أم إيجاباً، هي الأخرى مجرد وسيلة من وسائل كسب الوقت، وإدارة اللعبة انتظاراً لتوافقات لن تكون خاصة بسوريا وحدها، بل ربما تشمل الإقليم وما بعده. فما شهده إقليمنا، وبشهده، وتشهده مناطق أخرى عديدة من العالم، يتقاطع مع أجواء حرب كونية تختلف بمعاييرها ونتائجها مع تلك الحروب التي كانت، إنها حرب متعددة الجبهات والمستويات. وستؤدي إلى تغييرات كبرى في الجغرافيا والبنية المجتمعية والمواقف والتحالفات الدولية.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

لا رايات تعلو على راية الوطن!

سعيد يقطين

هبت مع الألفية الثالثة رياح المطالبة بالتغيير في الوطن العربي. ليس معنى ذلك أن القرن العشرين لم يمر من دون محاولات تأكيد تلك المطالبة بين الفينة والأخرى. كانت الإضرابات، والاحتجاجات، والحروب الأهلية. لكن القمع كان يتصدى لها، فيخمدها بالعسف والاعتقال والنفي، وبترجيح كفة النظام على المطالب الشعبية. فتسكن تلك الرياح على دخَن. لكنها سرعان ما تعاود الكرة لتدل على أن للزمن دروات، وأن على الجاني تدور الدوائر، ومتى أراد الشعب الحياة فإن على القيد أن ينكسر.

سقطت بغداد بدعوى أسلحة الدمار الشامل، وإيهامها بتمتيع الشعب العراقي بالديمقراطية على الطريقة الأمريكية. فلم تنجح عنهما غير إيقاظ الفتنة التي كانت نائمة بقبضة حديدية. كان المؤمل أن يجتمع الشعب العراقي الليبني مجتمعا جديدا تتآلف فيه الأطياف التي يتشكل منها. لكن المتربصين بالتحول جعلوه بؤرة للصراع الطائفي. وكل من كان يدعي التهميش رأى الفرصة سانحة للإقدام على ممارسة أشد حديدية مما كان باسم الأخذ بالثأر والانتقام وفرض الهيمنة، وصار التناحر بين مكونات الشعب العراقي، وكل يريد الاستفادة على حساب الآخرين. فكان التقتيل والتهجير، وسلب الأراضي. وعمت الفوضى التي تريدها أمريكا وإيران التي لم تنس أحقادها الدفينة إبان حرب الثمانينيات، فكان تدخلها سافرا في صنع العراق الذي تريده تابعا وخاضعا لمشيئتها. لم تقنع أمريكا بتدمير العراق ذي الحضارة والشعب المثقف، فكانت الحرب على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ذريعة لحمل الدول العربية على الاصطفاف إلى جانبها وإلا عدت منخرطة في الإرهاب. وكما اختزل البعث العراقي في السنة، اعتبر الإسلام سنيا أيضا، فكانت مذبحة حماه في الثمانينيات، والعشرية السوداء في التسعينيات في الجزائر، ومواجهة الإخوان في مصر منذ سيطرة الناصرية. ولما صار الإسلام السياسي هو الذي يملأ الساحة بعد انكسار اليسار وتراجعه، صارت الأنظمة باسم التصدي للإرهاب تحارب التيارات الدينية بصفتها تمثيلا له وتعبيرا عنه، وتجعل كل التيارات المعارضة لها تصطف إلى جانبها في هذا التجاذب.

اختلطت الأوراق، وباسم الإرهاب مورس الإرهاب بمختلف صوره وأشكاله، ولم يتم التمييز من بين يمارس التفجير، ومن يسعى إلى الانخراط في اللعبة الديمقراطية، فكان التضييق على الحريات السياسية العامة، وتفشى الفساد في كل المرافق والقطاعات، وتشكلت فئات خاصة تستفيد من الوضع القائم بأسماء ونعوت متعددة. جاء الربيع العربي ليقول: كفى. لقد وصل السيل الزبى. لم يكن أحد، حتى من خبراء السياسة الدولية في أمريكا وفي العالم الذي يمسك بتلابيب الوطن العربي يتوقع هذا الحدث. استغلت بعض الأطياف التي شاركت في الاحتجاجات الحدث، فكثرت الرايات التي صار يدعي كل منها أنه صانعها، ولا يمكنه إلا أن يستفيد من آثارها. برز من خلال الربيع العربي أن الكلمة كانت للشعب ولشبيبته بدون قيادات ولا زعماء. خلع من خلع، وهرب من هرب، وقتل من قتل من المسؤولين عن التدهور والتسلط. أوصلت الانتخابات التي أعقبت الاحتجاجات في بعض الأقطار العربية بعض التيارات الإسلامية، حتى وإن لم تشارك في تلك الأحداث بحثا عن أفق جديد للتغيير. وكانت الثورة المضادة من الداخل والخارج. وبات التشكيك في المطالب الشعبية اللغة السائدة، وأبانت التنظيمات الإسلامية التي شاركت في السلطة، سواء كانت شيعية أو سنية، أنها لا تختلف في الجوهر عن الحكومات السابقة، سواء تلك التي كانت تنعت بأنها تقدمية أو رجعية، وأن شعاراتها لا علاقة لها بالتدبير والتسيير. فبقي الفساد على حاله، واستمر التذمر من الواقع الذي يكتوي بناره الشعب.

انهارت مقولة الإرهاب التي مورس من خلالها المزيد من الضغط على الشعوب، وتجلت أفظع صوره في رد الفعل الذي قام به النظام السوري ضد المحتجين، فأدخل البلاد في دوامة من الحروب التي ما تزال رحاها دائرة، مدمرة كل شيء. وبإزاء الإرهاب تكشف وجه الفساد الذي جعل الأمل في الحياة مستحيلا. فالفقر، والهجرة، والموت تحت نيران الأسلحة، أو غرقا في البحر، وتفشي البطالة وغياب الإحساس بالأمان، أو التفكير في المستقبل... كل ذلك جعل الإنسان العربي يعيش أقسى شروط الحياة. لقد دمرت أحلام كل الأجيال التي واكبت الاستقلالات، والتي جاءت بعدها، وانعدمت الثقة في السياسة والسياسيين، وكل الخطابات التي كانت تستعمل للتدجين أو التهريب، سواء كانت ذات طبيعة إيديولوجية، أو عرقية، أو طائفية، أو دينية. وكل الذين توهموا أن الثورة المضادة على ما عرفه الربيع العربي استيقظوا نهاية السنة الجارية على أن الدورة الزمنية لم تتوقف، وأن من صنع الفتنة هو من أيقظها، ولم يكن الشارع العربي سوى تعبير عن رفضها.

من كان يتصور أن النظام السوداني سينتهي بالكيفية التي انتهى بها نظام بن علي، وسيتكشف الفساد المالي، والثراء الفاحش على حساب الشعب؟ من كان يرى أن الشعب الجزائري سيخرج إلى الشارع، وهو الذي تأخر في التعبير عن آلامه وأحلامه، تحت تأثير شبح العشرية السوداء المرعب، وكابوسها الذي ما يزال مهيمنا على واقعه ومتخيله؟ وها لبنان يلتحق بقافلة المطالبة بالتغيير، ويملأ الساحات، معبرا عن رفضه لتاريخ طويل من الطائفية والمحاصصة التي جعلته مقيدا بقيود فرضتها عليه السياسات اللاوطنية التي ينتجهها الزعماء والرؤساء بالأسماء والنعوت المختلفة البراقة. وها العراق بيعيد. لقد سقطت بغداد، بسقوط البعث، لكن العراق بكامله سقط في مستنقع الطائفية والتبعية للنظام الإيراني، وإذا كل الحكومات المتعاقبة سواء في بغداد أو أربيل لا تشترك إلا في شيء واحد: الفساد، وأن كل الشعارات والرايات التي ترفع ليست إلا للتدجين والتخوين والترهيب. وليس خروج الشارع العراقي ليقول لا للفساد، وفي الوقت نفسه ضد الطائفية، سوى تعبير على أن هناك شعبا بمختلف أطيافه وأعراقه وطوائفه يريد شيئا واحدا هو الوطن الذي يتسع للجميع.

إنها دورة الزمن التي توقظ المتوهمين لتؤكد لهم أن الأيام دول، والدهر قلّب، والليالي حبالى يلدن كل عجيب. لقد ابتدأ الربيع العربي بسيطا وسلميا، يطالب بالحد الأدنى. لكن التعنت قاد إلى الفوضى والاضطراب الذي كانت نتائجه كارثية على البلاد والعباد. وما تزال تقدم لنا ليبيا وسوريا واليمن نماذج على ذلك. حاولت عدة أطراف تحريف مسار الربيع العربي ومطالبه العادلة باختراقات تتقدم بمطالب لا علاقة له بها. ولم تكن هذه الاختراقات مختلفة عن الثورات المضادة التي كانت ترمي إلى استنكاره واستهجانه. كثيرون سخروا من هذه المطالب البسيطة، واعتبروا ما نجم عنه خريفا من باب التشفي، وكأنهم يملكون زمام الزمن ويوجهونه حسب إرادتهم.

مع الموجة الثانية من الربيع نفسه، والتي لم يكن أحد ينتظرها، بدأنا نجد لغة أخرى نسبيا، تقدم مقترحات للإصلاح. أكان من الضروري أن يتحرك الشارع العربي مرة أخرى لتقدم حزمة من الإصلاحات التي كان ينبغي أن تكون منذ أزمان؟ وإذا كانت التدخلات العنيفة ضد الحراك الجديد أقل مما عرف في البداية، لماذا يتعرض الشعب العراقي من قبل الميليشيات، ويتوعد حزب الله اللبنانيين ويهددهم؟ أما زال للطائفية موقع والدرس العراقي واللبناني شاهد على ما يمكن أن تؤول إليه الأمور غدا.

تقول روح الشارع العربي: لا رايات ينبغي أن تعلو على راية الوطن!

كاتب مغربي

تشيلي: أكثر من مليون متظاهر يعززون الضغط على الحكومة

انفجر الغضب الاجتماعي في كل المدن التشيلية وتجسد بتظاهرات عنيفة بعد إعلان زيادة نسبتها 3.75 في المئة في رسوم مترو سانتياغو، لكنه لم يهدأ بعد تعليق هذا الإجراء.

واتسعت الحركة التي يتسم المشاركون فيها بالتنوع ولا قادة واضحين لها، يغذيها الاستياء من الوضع الاجتماعي والتفاوت في هذا البلد الذي يضم 18 مليون نسمة.

وأمس تظاهر أكثر من مليون شخص في تعبئة تاريخية للاحتجاج على التفاوت الاجتماعي، معززين الضغط على حكومة الرئيس سيباستيان بينييرا.

ولم يؤد إعلان الرئيس عن سلسلة من الإجراءات الاجتماعية الثلاثاء واعترافه بأنه لم يتوقع الأزمة وطلبه «الصفح» من مواطنيه، إلى النتيجة التي كان يأملها، ولا يبدو أن الاحتجاج سيتراجع.

أداب وفنون

بين «تقول ما لا يُفهم» و«تفهم ما يُقال»: عن الغموض في الشِعر

عبد الواحد لؤلؤة

والاس ستيفنز

في تراث الشعر العربي، ما نزال نعود إلى قُدامة بن جعفر (889 ـ 948) وآراء أدباء القرن الرابع الهجري في قولهم إن الشعر «قولٌ موزون مقفّى يفيد معنى، فإن لم يُفد معنى فهو ليس بشعر ولو اشتمل على الوزن والقافية». وفي عصر قريب يقول أحمد شوقي: والشعرُ إن لم يكن ذكرى وعاطفةً / أو حكمةً فهو تقطيعٌ وأوزانُ». ولكننا نجد في أجمل الشعر، بما فيه من معنى وذكرى وعاطفة وحكمة، شيئا من الغموض، يكثر أو يقل حسب موهبة الشاعر وثقافته، وتكون الاستجابة لذلك الغموض معتمدة على ثقافة المتلقّي، وعلى «موهبته» في التلقي كذلك.

وقد تكون أول الأمثلة على هذا في تراثنا الشعري ما جرى بين شاعر المتوكل العباسي، أبو تمام الطائي، الذي أنشد في مدح الخليفة قصيدة تحفل بضروب البديع والمحسنات اللغوية والتضمينات والإشارات مما استثار أبرز الحاضرين، وهو الفيلسوف الكندي، الذي لا يمكن أن يوصَم بضعف الإحاطة بفنون القول والثقافة الشعرية. اعترض الكندي فسأل الشاعر: «لماذا تقول ما لا يُفهم؟» فردّ الشاعر على الفور بسؤال للسائل: «ولماذا لا تفهم ما يُقال؟».

وفي مثالين أعرضهما هنا ما يشبه هذا التساؤل عن الغموض في قصيدتين من الشعر الأمريكي/الإنكليزي: قصيدة الشاعر الأمريكي والاس ستيفنز (1879 ـ 1955) بعنوان «صباح الأحد»، وقصيدة الشاعر الإنكليزي/الأمريكي ت.س.إليوت (1888 ـ 1965) بعنوان «الأرض اليباب».

كان ستيفنز حقوقياً، درس القانون في هارفرد ونيويورك، واشتغل طوال حياته في شركة تأمين، ولم يُعرف عنه شاعراً حتى عام 1915 يوم نشرت له هاربيت مونرو مؤسسة مجلة «شعر» الصورة الأولى لقصيدة «صباح الأحد» وتواصلت قصائده المنشورة في جذب اهتمام النقاد والشعراء منذ عشرينات القرن الماضي، على ما فيها من غموض غير مألوف في شعر القرن التاسع عشر وامتداداته الرومانسية في القرن العشرين، حتى صار يطلق على ستيفنز لقب «شاعر الشعراء وشاعر النقاد». ولا يخفى ما في هذا الوصف من إشارة إلى أنه ليس شاعراً لعامة القراء ومحبي الشعر. لكنه استمر في طريقه وفاز بعدد من الجوائز الأدبية وصنوف التكريم. فما الذي «تقوله» قصيدة «صباح الأحد» وما هي مواطن الغموض فيها؟ أهي اللغة، أم الصور، أم الإشارات، أم هذه جميعاً؟

هذه قصيدة طويلة قوامها 118 سطراً / بيتاً، تنقسم إلى ثمانية مقاطع، في كل مقطع فكرة أو صورة، في لغة تقوم على كثير من الإيحاء والرمز.

يدور «موضوع» القصيدة حول امرأة تجاوزت سن الشباب، ربما، حكماً على نمط الحياة التي تحياها في دارها التي لا يصاحبها فيها سوى ببغاء، وهي تتمتع بهدوء بعد حمّام في صباح يوم أحد، في غرفة مشمسة، بدل أن تذهب إلى الكنيسة لتمارس طقوس الدين. و«فكرة» القصيدة: تأملات حول الدين والألوهية والموت والسعادة: أهي في هذا العالم الملموس المنظور، أم في عالم آخر يصوّره الدين للبشر بعد الموت! مظاهر الدَعَة والراحة التي يصوّرها المقطع الأول من القصيدة «تجتمع لتُبعثر» الصمت المقدس الذي يلازم فكرة القربان المقدس، أي صلب المسيح. الحاضر الواقع المنظور الملموس يتنافر مع الماضي الخيالي الروحي. تأملات هذه المرأة عن الحياة المادية المحسوسة تحملها إلى «مملكة الدم والضريح»، إلى فلسطين، حيث تسمع «صوتاً» يقول، ولا تجرؤ هي أن تقول إن ضريح المسيح في فلسطين ليس رواقاً تنتظر فيه الأرواح دورها لتدخل الجنة، عن طريق الإيمان بصاحب الضريح. إنه قبر رجل مات منذ القدم. وبهذا لا يكون الجواب عن تساؤلاتها وافياً، مما يتناسب مع الموقف غير المحدد في القصيدة عموماً.

الغموض في لغة هذه القصيدة يأتي من اختيار الشاعر مفردات تعبّر عن العالم والدين كما يراه هو، لا كما شاع في الاستعمال. كلمة «العالم» اختار لها المقابل اللاتيني mundo بدل الاسم بالإنكليزية. كلمة خيال المألوفة بالإنكليزية اختار لها مرادفها fiction وجعله «خيالاً أسمى». كل هذا يخدم فكرة التساؤل التي دفعت بعض النقاد إلى القول إن الشاعر يؤمن بمبدأ اللذة الدنيوية المحسوسة، المنظورة في «فطور متأخر من قهوة وبرتقال حريف المذاق» وياله من فطور! ومن منظر ببغاء ذي عُرف متحرّك، يسرح على بساط أخضر في غرفة مشمسة تدفعها التأملات عن صور السعادة الدنيوية ومقارنتها بصور السعادة المتخيّلة في الأديان إلى تساؤلات أكثر جرأة: لماذا تُعطي من حياتها وشبابها للموتى؟ هل يُخفق دمُنا وتنتصر جنّةُ الأرض التي هي كل الفردوس الذي نعرف؟ إن الغموض في الأفكار والصور التي يعرضها ستيفنز قد أتعبَت النقاد في أمريكا. ففي رسالة إلى هاربيت مونرو يقول الشاعر «إن هذه القصائد الطويلة تجعلني أرغب في الاستمرار في معالجتها والإغراق في الغموض حتى أتوصّل إلى لغة كاملة الأصالة والإنطلاق خاصة بي».

إذا كانت القصيدة من الغموض بحيث يصبح التفسير ضرورياً للفهم فكيف يكون تعريف الشعر إزاء مثل هذه القصيدة. يجيب أ.ي.هاوسمن على مثل هذا السؤال في محاضرة في كمبرج عام 1933: «أنا لا أستطيع تعريف الشعر أكثر مما يستطيع كلب الصيد تعريف الجرذ. كلانا يعرف الشيء حين يراه».

أبو تمام الطائي

وفي قصيدة إليوت الكبرى «الأرض اليباب» يكون الغموض في استعمال ست لغات غير إنكليزية، وهي لغة القصيدة، لا يشرحها الشاعر ولا يفسّر معانيها للقارئ، كما يكون في الإحالات والمقتطفات في مراجعها. وهذا لا يساعد القارئ كثيراً. هذا الإجراء من جانب إليوت يفترض في القارئ معرفة بهذه الخمسة والثلاثين كتاباً التي يقتطف، منها أو يشير إليها. كما يفترض في القارئ معرفة بالرمزية الفرنسية وشعرائها، وبقصيدة دانته الكبرى: الكوميديا الإلهية، وبأسلوب الصُوَرية الذي أشاعه عزرا باوند، وتأثر به إليوت، ومن بعده شعراء الحداثة في العربية مثل السياب والبياتي، الذي ربما يكون قد أفرط فيه كما أفرط في التضمينات والإحالات إلى كتب وشعراء قد لا يكون معظمهم في حصيلة القارئ الثقافية.

وقد أشار أهم النقاد في عقد السنين بعد ظهور قصيدة «الأرض اليباب» ومن جاء بعدهم إلى مسألة الغموض في القصيدة، بالتوكيد على المفردات اللغوية، كما على الصور والايحاءات باستعمال كتب وأعمال بلغات غير إنكليزية. وأحسب أن أول وأهم أولئك النقاد البروفسور آ.أ.ريتشاردز الذي كان أستاذا في جامعة كمبرج في عشرينات القرن الماضي، ثم كسبته جامعة هارفرد، وكان أستاذي والمُشرف على دراستي في مرحلة الماجستير. في الطبعة الثّانية من كتابه «مبادئ النقد الأدبي» عام 1926 ألحق الناقد دراستين احداهما عن القصيدة، فعَدّت تحليلاته الغذاء الروحي لمن جاء بعده من النقاد، في حديثه عن الغموض في التضمين أو عدم وضوحه.

يرى الناقد أن «أفضل الشعر غامض بالضرورة في أثره المباشر. لذا لا بد من إعادة القراءة قبل أن تأخذ القصيدة شكلا واضحاً يخلو من الغموض». وثمة الشاعر الناقد وليم إمبسن تلميذ ريتشاردز وصاحب كتاب «سبعة أنماط من الغموض» 1930، الذي يختار الأبيات 77 ـ 93 من القصيدة ويستعملها مثالاً لنمط من أنماط الغموض الذي لا يعود إلى الأساطير أو اللغات الأجنبية، بل إلى الصيغة الصرفية لبعض الكلمات التي قد تكون فعلاً أو إسم مفعول أو صفة، وهذا مما يجعل العبارة غامضة، لسبب لغوي.

هذا كله يقف إلى جانب العوز الثقافي، وعدم الإحاطة بأفضل الشعر الأوروبي، لجميع اللغات منذ هوميروس إلى المعاصرين من الشعراء، مما يجعل القصيدة التي يريدها إليوت أن تكون أمام القارئ المعاصر غير غامضة. لكنه يقول في مقالة عن دانته إن بمقدور الشعر الجيد أن يوصل المعنى قبل الفهم! ويقول أيضاً إن كثيراً من الشعر الذي أعجبه استطاع استيعابَه قبل الفهم!.

ليتني أعرف كيف؟

«مْباركة» فيلم يرصد المهمّشين ويغوص في قاع المدينة المغربية

عدنان حسين أحمد

فاطمة عاطف

يُعدّ «مْباركة» رابع فيلم روائي طويل للمخرج المغربي محمد زين الدين بعد «يقظة» و«واش عقلتي على عادل؟» و«غضب». وربما يكون القاسم المشترك لهذه الأفلام الأربعة هو الفضاء الهامشي الذي يفضّله المخرج على الفضاءات المخملية، والأحياء المترفة. وقد وجد ضالته هذه المرة في بلدة مغربية نائية تحتوي على معمل للفوسفات ينفث سمومه على المدينة ويسبب لأبنائها مشكلات صحية لا حصر لها.

تنتعش في المدن الهامشية والمجتمعات الفقيرة عمومًا مهن مثل السحر، والشعوذة، والطب الشعبي، فلاغرَابة أن نرى مْباركة «فاطمة عاطف» التي لم تحظَ بقسط وافر من التعليم أن تُصبح مُداوية بالأعشاب ومختصة بالطب الشعبي تعالج كل الأمراض، فهي تُجبّر الكسور بالحنّاء والبيض والقصب، وتداوي مرض الجدري بزيت الخروع، وتدهن الأكزيما بمستحضر العقارب المقليّة، وتنصح بتفريش الأسنان كل يوم، ونتيجة لذلك كسبت احترام الجميع، وأبعدت عنها أنظار المتطفلين على حياتها الشخصية التي ظلت مخبأة طوال الفيلم الذي بلغت مدته 102 دقائق.

لم ينبش المؤلف أوليفييه بومباردا الذي اشترك مع المخرج زين الدين في كتابة السيناريو بماضي مْباركة وإنما قدّمها لنا كشخصية تعيش في الوقت الحاضر وقد تبنّت عبدو «أحمد المستفيد» وعاملته معاملة الأم الرؤوم لكنها لم تُحسن تربيته وتعليمه فيتجه صوب القمار، والسرقة، والتلصص على الأم التي لم تنتبه إلى مغامراتها الجسديّة الصارخة التي تستثير رغباته الإيروسية المكبوتة، وتُحرّك فيه كل غرائزه الجنسية دُفعة واحدة فينحرف مسار الفيلم صوب «زنا المحارم» لكنه لم يقع في المحظور رغم أنه كان يُدلك قدميها بالماء فتغمض عينيها مسترخية وكأنها تشعر بنشوة خفيّة ثم تطلب منه البلد برمته. وبما أنّ شعبية بدأ يتململ من هذه العلاقة ولا يجد حرجًا في التهرّب من مْباركة رغم ما توفره له من متعة جسدية، فلاغرابة أن تلجأ إلى السحر حيث تقطع خصلة شعر من رأسه وتخلطها مع مواد أخرى تخضّبها بدمها ثم ترميها على ألواح الصبّار وبعض النباتات الأخرى المحاذية للبلدة، تُرى هل سيعود إليها بتأثير السحر الذي صنعتهُ أم بفعل الحاجة المادية أو الجسدية لها؟

لا يعرف المُشاهد شيئًا عن عبدو سوى قصة تبَنيه من قِبل مْباركة التي آوتهُ وربّته بالطريقة التي تعتقد أنها صحيحة ومناسبة لكنه في واقع الحال ظلّ جاهلاً وأميًا كما انحرف قليلاً وبدأ بسرقة الأشياء الصغيرة من المنزل، ولعْب القمار لكن علاقته بنعيمة «حنان القباني» ستعيد تأهيله بعض الشيء، وسوف تعلّمه القراءة والكتابة كخطوة أولى لقراءة الرسائل ثم التوغل في قراءة الكتب، والتعرّف على المناخ الثقافي المغربي خاصة والعربي بشكلٍ عام. وربما تكون حكاية «السندباد» من قصص «ألف ليلة وليلة» هي المفتاح الأول الذي سيفتح له باب الأدب والفن والثقافة رغم عزوفه عن تعلّم اللغة الفرنسية التي تجيدها نعيمة. تتطور العلاقة العاطفية بين عبدو ونعيمة لكنها تظل في إطارها البريء حيث يعلّمها ركوب الدراجة الهوائية على سطح المنزل، ويضرب لها المواعيد العاطفية التي لا تُفضي إلى نتيجة ملموسة، فهو منغمس في التلصص على مفاتن أمه غير البيولوجية، كما بدأ يغتاظ من العلاقة التي تطورت بين أمه وصديقه شعيبة خاصة بعد أن اكتشف مخلّفات الطعام الذي أعدّته له، وأعقاب السجائر التي تركها غبّ تناول الطعام. يهرب عبدو من المنزل غاضبًا إلى بيت مهجور ثم يعود إلى المنزل ليحطم الثلاجة ويبيع مكوناتها المعدنية إلى بائع الخردة مقابل ثمن بخس. وفي الوقت ذاته يُعرّج شعيبة على منزل مْباركة ليسرق منها المسبحة والنقود التي وضعتها في كيس قماشي وظنّت أنّ السارق هو ابنها وليس عشيقها شعيبة الذي اتخذته خليلاً لها. تتصاعد درامية القصة السينمائية حينما يدخل شعيبة في شجار عنيف مع الشرطة ويجرح أحدهم فيصعد إلى أعلى نقطة في الجامع ملوحًا بسكينٍ يُهدد فيه كل منْ يرتقي إليه. وما إن ينفضّ الناس المتجمعين أمام الجامع حتى ينزل شعيبة ويقصد مْباركة مباشرة حيث تُعد له الطعام، وتُعطيه ثوبها المورّد الذي يبدو فيه غريبًا ومثيرًا للسخرية. عند هذه النقطة بالذات تبلغ الأحداث ذروتها الدرامية حيث يأتي عبدو إلى البيت، ولم يذهب إلى محطة القطار ليهرب مع نعيمة عند منتصف الليل إلى جهة مجهولة، لكنه سيكتشف وجود شعيبة هناك ثم يتشاجران في أثناء الأكل ولعْب القمار حتى ينتبه به خاتمة المطاف إلى تقييد شعيبة بعمود معدني وبيقيه أسيرًا في هذا المكان. وبينما كانت أمه تحمل مطرقة حديدية ضربته بالخطأ على رأسه فخرّ صريعًا في الحال الأمر الذي دفع شعيبه إلى الصراخ: «لقد قتلتها» وطلب منها أن تفكّهُ وتحرره من جامعَة اليدين بينما كان يُذكّرها باللحظات الجميلة التي عاشاها معًا. تدخل مْباركة إلى الغرفة وتأخذ أكثر من نَفَس من سيجارتها المهدّئة لتخرج بعدها إلى الحارة صارخة مولولة: «ساعدوني، شعيبة قتل ولدي. واعباد الله قتل ولدي» بينما كانت نعيمة تنتظره في محطة القطار رغم مرور الوقت المحدد للقاء.

أحمد مستفيد

أما المسار الثالث فيتمثل بالمجنونة التي رأيناها غير مرة على مدار الفيلم وهي تراقب مجمل الأحداث من بينها حدث القتل الأخير الذي كانت شاهدة عليه إضافة إلى شعيبة، وقد رأيناها في مَشاهد شديدة الدلالة وهي تؤرخ لكل شيء تقريبًا. وفي المَشهد الأخير نراها تتطوّح ماشية في قلب الطبيعة الجدباء إلاّ من بعض الأحراش المتفرقة.

حينما نضع هذه الشخصيات الخمس والأحداث التي تفاقمت وأفضت إلى قتل مْباركة لابنها عبدو نخلص إلى موضوعة الشخصيات المهمّشة التي لفظها المجتمع المغربي وقذفها إلى هذه المدينة النائية التي يمكن أن تكون «وادزم» مسقط رأس المخرج أو خريبكة أو غيرها من البلدات المغربية التي تعاني من الفقر والبطالة والتخلف رغم غناها بالثروات الطبيعية، واللافت للنظر أن هذه الثروات قد تحولت إلى طامة كبرى لأن المواطنين لا يجنون منها سوى السموم والمشاكل والأمراض، تمامًا كما في هذه المدينة الموحشة التي لم يُسمّها المخرج لكي يُعمم دلالتها على غالبية المدن والبلدات المغربية.

لم يحقق هذا الفيلم النجاح لولا تؤازر المصور البارع لوكا كواسين، والموسيقى الصافية التي اختارها المخرج محمد زين الدين، ومونتاج إلينا كابريا التي قدّمت لنا فيلمًا سلسًا خاليًا من الزوائد والتورمات الآخذين بنظر الاعتبار الرؤية الإخراجية الواضحة لمحمد زين الدين الذي ذيّل الفيلم باسمه، وعبّر عن أفكاره ورؤاه الفنية التي تلامس الحرمات الثلاثة من دون أن يتورّط فيها كليًا. وعلى الرغم من الأداء الجيد لغالبية الشخصيات الرئيسية إلاّ أن الممثلة فاطمة عاطف كانت أكثرهم إبهارًا في تقمّص الشخصية المُسندة إليها ولهذا استحقت عن جدارة جائزة أحسن ممثلة منحها مهرجان مالمو للسينما العربية في دورته التاسعة.

تحقيقات

اليمن: اتفاق الرياض لم يلب الرغبة الحكومية في استعادة سلطتها ولم يحقق طموح المجلس الانتقالي في انفصال الجنوب

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

كشف مصدر حكومي يمني رفيع أن اتفاق الرياض بين الحكومة اليمنية الشرعية بقيادة الرئيس عبدربه منصور هادي وبين المجلس الانتقالي الجنوبي، ذو التوجه الانفصالي بدعم إماراتي، لم يلب الرغبة الحكومية في استعادة سلطتها على المحافظات الجنوبية وفي مقدمتها عدن، كما لم يحقق أيضا طموحات المجلس الانتقالي في انفصال الجنوب الذي وضعه لمطالبه.

وقال لـ«القدس العربي» إن «من المقرر أن يتم التوقيع رسميا على الاتفاق بين الحكومة اليمنية الشرعية وبين المجلس الانتقالي الجنوبي، يوم الأحد أو خلال اليومين التاليين له في الرياض، وما تم تداوله إعلاميا صباح الجمعة لم يكن سوى موافقة مبدئية من قبل ممثلي الجانبين على مسودة الاتفاق ولم يكن توقيعا نهائيا على الاتفاق».

وأضاف أن «التوقيع الرسمي لهذا الاتفاق سيكون في مراسم رسمية ستحضرها شخصيات رفيعة من السعودية ودولة الإمارات والأمم المتحدة» مؤكدا أن مسودة الاتفاق التي تم تداولها في بعض وسائل الإعلام ليست دقيقة وليست النسخة النهائية منها، وانما تتضمن المفاهيم العامة لمسودة الاتفاق». مشيرا إلى أن هناك تكتما كبيرا على بنودها التفصيلية بنسختها النهائية حتى لا تفشل العملية التفاوضية بشأنها.

وذكر أن من أبرز معالم هذا الاتفاق دمج قوات المجلس الانتقالي الجنوبي في إطار وزارتي الداخلية والدفاع التابعة للدولة، وعودة الحكومة ومؤسسات الدولة إلى عدن وإشراك المجلس الانتقالي في حكومة شراكة وطنية بحقائب محدودة يتم تشكيلها عقب التوقيع على الاتفاق، ضمن حصة الجنوب التي يفترض أن تكون مناصفة مع الشمال، ويحتفظ الرئيس هادي بالحقائب الوزارية السيادية.

بنود مسودة الاتفاق

وحصلت «القدس العربي» على بعض بنود مسودة هذا الاتفاق اليمني ـ اليمني، برعاية السعودية ومباركة الإمارات، حيث تضمن في الجانب السياسي تشكيل حكومة كفاءات سياسية لا تتعدى 24 وزيرا يعين الرئيس هادي أعضاءها بالتشاور مع رئيس الوزراء والمكونات السياسية مع منح الجنوبيين 50 في المئة منها خلال 45 يوما «من المشهود لهم بالنزاهة وعدم الانخراط والتحريض في أعمال قتالية خلال أحداث عدن وأبين وشبوة، على ان يؤدوا القسم في اليوم التالي أمام الرئيس في عدن».

وشمل كذلك على أن يعين الرئيس محافظا لعدن ومديرا للأمن فيها خلال 15 يوما من توقيع الاتفاق كما يتم تعيين محافظ لمحافظتي ابين والضالع خلال 30 يوما، ويباشر رئيس الوزراء الحالي عمله في عدن خلال أسبوع من توقيع الاتفاق لتفعيل كافة مؤسسات الدولة، كما يعين الرئيس هادي محافظين ومدراء أمن في بقية المحافظات الجنوبية خلال ستين يوما.

وفي الجانب الأمني تضمن الاتفاق على أن تتولى قوات الشرطة والنجدة التابعة للحكومة تأمين محافظة عدن مع إعادة تنظيم قوات الحكومة والمجلس الانتقالي «وفق الاحتياج» ويتم استيعاب قوات المجلس الانتقالي في إطار قوات وزارة الداخلية وتسجيلها خلال ثلاثين يوما من التوقيع على الاتفاق.

وتضمن كذلك إعادة تنظيم القوات الخاصة ومكافحة الإرهاب واختيار عناصر جديدة لها وتعيين قائد جديد لها وترقيم أفرادها خلال ثلاثين يوما في إطار مؤسسات وزارة الداخلية وتشارك قوات مكافحة الإرهاب في تأمين محافظة عدن.

وشمل كذلك إعادة تنظيم قوات حماية المنشآت خلال ثلاثين يوما ويتم الاختيار من العسكريين الحاليين أو من الكفاءات من قوات الحكومة الشرعية أو قوات المجلس الانتقالي، من جميع المحافظات الجنوبية، وتسند إليها مهمة حماية مقر الحكومة في عدن والبنك المركزي والموانئ والمطارات ومقرات الوزارات وضمها لوزارة الداخلية، وتتولى قوات حماية المنشآت خلال تسعين يوما مهام الحماية في بقية المحافظات المحررة وفي مقدمتها موانئ المكلا والضبة والمخا ومنشأة بلحاف النفطية، بالإضافة إلى توحيد وإعادة توزيع القوات الأمنية وضمها للداخلية خلال ستين يوما.

عودة القوات إلى مواقعها

وفي الجانب العسكري تضمن الاتفاق عودة جميع القوات التي تحركت إلى مواقعها ومعسكراتها الأساسية باتجاه عدن وأبين وشبوة، منذ شهر آب (اغسطس) الماضي بكامل أفرادها وأسلحتها وتحل قوات الأمن محلها خلال 15 يوما.

ويتم بموجب هذا الاتفاق «تجميع ونقل الأسلحة المتوسطة والثقيلة من جميع القوات خلال 15 يوما إلى معسكرات في عدن تحددها وتشرف عليها قوات التحالف بما فيها الدبابات والمدرعات والمدفعية والكاتيوشا والهاونات وكذا الصواريخ الحرارية».

كما يتم «نقل جميع القوات العسكرية التابعة للحكومة والتشكيلات التابعة للانتقالي إلى معسكرات خارج عدن تحددها قيادة قوات التحالف خلال 30 يوما من التوقيع على الاتفاق ويستثنى من ذلك اللواء الأول حماية رئاسية لحماية القصور الرئاسية وحماية قيادات الانتقالي، تحت إشراف قيادة التحالف» بالإضافة إلى توحيد القوات العسكرية وترقيمها في إطار مؤسسات وزارة الدفاع وتوزيعها خلال 60 يوما، وكذا إعادة تنظيم القوات العسكرية في محافظات ابين ولحج والضالع وشبوة، مثل إجراءات عدن، خلال 60 يوما، وفي بقية المحافظات الجنوبية خلال 90 يوما.

مواقف

وقوبلت المعالم العامة لهذا الاتفاق التي ترشحت حتى الآن بـ«مواقف متباينة» حيث وصفها البعض بـ«خيبة أمل كبيرة» لكلا الطرفين، فيما اعتبرها البعض الآخر بارقة أمل لحلحلة الأزمة اليمنية والسير بخطوات عملية في طريق إنهاء الحرب، ولو بتقديم التنازلات الجسيمة. معتبرين أن هذا الاتفاق سلب الحكومة أمورا سيادية فيما لم يحقق الطموحات التي كان يسعى إليها المجلس الانتقالي بفصل الجنوب عن الشمال.

وقال الكاتب الصحافي العدني عبد الرقيب الهدياني لـ«القدس العربي» حول مدى نجاح هذا الحوار بين الجانبين الحكومي والمجلس الانتقالي وتطبيق مخرجاته على أرض الواقع «أعتقد أن مخرجات هذا الحوار أو مسودة الاتفاق الذي تقدمت به السعودية لحل الإشكال بين المجلس الانتقالي والحكومة الشرعية هي المخرج الوحيد لجميع الأطراف لعدة أسباب أولا، لأن المجلس الانتقالي بسيطرته على محافظة عدن وصل إلى طريق مسدود، حيث لا يستطيع ان يدير المحافظة أو محافظات لحج والضالع التي تقع تحت سيطرته أيضا بعيدا عن سلطة الحكومة الشرعية، حيث اصطدم باحتياجات الناس، بالخدمات الأساسية، هناك أزمات كثيرة ظهرت في عدن، لا يستطيع أن يقوم بها، ولم تقم الانتقالي بتغطية غياب الحكومة، وبالتالي وضع المجلس الانتقالي نفسه في مأزق».

وأضاف أن الأمر الآخر هو أن انسحاب القوات الإماراتية من عدن بموجب تفاهمات مع السعودية غيّر قواعد اللعبة في عدن، حيث حلّت قوات سعودية محل القوات الإماراتية في عدن، واستلمت القوات السعودية مقر قيادة التحالف في منطقة البريقة بمحافظة عدن، واستلمت مطار عدن الدولي، وسيتم استلام جميع المواقع التي كانت تسيطر عليها القوات الإماراتية، وستصبح القوات السعودية هي التي ستدير المشهد الأمني في محافظة عدن، بما معناه أنه ليس هناك من طريق أو خيار أمام المجلس الانتقالي إلا أن يسلم بهذا الواقع والذي يعد بمثابة (طوق النجاة) له الذي يضمن عدم الخسارة الكاملة، بحيث «إما أن يقبل بهذه المخرجات التي ستعطيه شيئا من الشراكة في الحكومة وإدماج ميليشياته وقواته في إطار مؤسستي الدولة الداخلية والجيش، وإما سيخرج من المشهد بدون أي مكاسب».

وأرجع الهدياني مبررات هذا الطرح إلى أن المجلس الانتقالي أيقن أن مشروعه وشعاراته والمطامع التي كان يمثلها لدولة الإمارات، مع اختلاف الأهداف، جميعها سقطت اليوم، مشروع الانفصال سقط بهزيمته في شبوة وفضه في سقطرى والمهرة، وبالتالي الجنوب لم يعد يتقبل مشروع الانفصال، كذلك عدن في حالة انتفاضة كبيرة ضد مشروع الانفصال، وضد مشروع المجلس الانتقالي وضد مطامع الإمارات، حيث رصدت منظمات حقوقية قيام المجلس الانتقالي باعتقال أكثر من 400 شخص ناهضوا المجلس الانتقالي خلال الأحداث الأخيرة في آب (أغسطس) الماضي، وهذا يكشف أن المجلس الانتقالي في حالة صدام مع الشارع، وهو يوقن بأن مشروعه سقط، وبالتالي ليس أمامه سوى الشراكة ويرتب أتباعه وكوادره في إطار مؤسسات الدولة.

وأشار إلى أنه متفائل من إمكانية تحقيق بنود هذا الاتفاق على أرض الواقع لأنها «السبيل الوحيد لخروج الجميع من الأزمة الراهنة ومن الخسارة الكبيرة».

وأوضح أن المجلس الانتقالي كان عبارة عن مكون جنوبي صنعته دولة الإمارات العربية المتحدة، تخطيطا وتمويلا وتسليحا، وكان كل نشاطه في هذا الاتجاه، حيث كان عبارة عن هراوة وأداة صنعتها الإمارات لتحقيق مطامعها في اليمن ومن خلال قراءتنا لأدائه السياسي والعسكري والأمني تسير كلها في هذا الإطار، بما يخدم أجندة الإمارات وتحقيق مطامعها، واستخدمته أبو ظبي كورقة لممارسة الضغط على الحكومة اليمنية الشرعية.

نتائج

الباحث والكاتب السياسي نبيل البكيري ذكر انه يعتقد أن نتائج هذه المباحثات هي تسوية «تخصم من شرعية» الحكومة الشرعية لصالح طرف من الأطراف المتصارعة في الداخل وهو المجلس الانتقالي.

وقال البكيري لـ«القدس العربي» إن «هذه التسوية خطيرة على المستقبل اليمني، لأنها تؤسس لشرعية الانقلاب، في عدن وصنعاء على حد سواء، فضلا عن ذلك تختزل القضية الجنوبية في المجلس الانتقالي، وهو مجلس معروف بولائه وانتمائه وتمويله ودعمه من الإمارات».

واعتبر أن هذا الاتفاق لن يضفي أي شيء في حلحلة المشهد السياسي أو العسكري والأمني في اليمن «لأنه في الأخير ليست المشكلة في الحلحلة العسكرية والأمنية بقدر ما هي في بقاء الأسباب التي ستؤدي إلى دورات عنف وأزمات متلاحقة وتالية».

واعتبر أن المجلس الانتقالي الجنوبي يمثل اشكالية خطيرة فيما يتعلق باستخدام السلاح «وهذه مقاربة خطيرة في الشأن السياسي، حيث عندما ذهب المجلس الانتقالي إلى استخدام السلاح يعني انه تحول من مكون سياسي إلى طرف ميليشاوي انقلابي وبالتالي المعالجات السياسية والأمنية والتمرد المسلح لا تجدي نفعا بقدر ما تؤدي إلى مزيد من الأزمات ومزيد من دورات العنف والعنف المضاد».

وقال البكيري «إن التدخل السعودي والإماراتي ساهم بشكل كبير جدا في وصول المأزق اليمني إلى هذه المرحلة، بفعل أنه تم تحت غطاء دعم الحكومة الشرعية اليمنية وتحوّل إلى خلق كيانات بديلة للحكومة الشرعية كالمجلس الانتقالي الجنوبي وغيره، ليحلوا محل الحكومة الشرعية، وبالتالي ليس هناك أي أمل أو جدية في أن نصدق أن الإمارات أو السعودية تسعى إلى حلحلة الاشكال في الملف اليمني أو السعي إلى استعادة الشرعية اليمنية».

وأضاف أن ما قامت به السعودية والإمارات حاليا هو «عملية إدارة مرحلة طويلة من الصراع، وهذا السيناريو في اعتقادي رسم لإطالة أمد الصراع وأتى بنتائج عكسية وخطيرة فيما يتعلق بانهيار منظومة الأمن الاستراتيجي السعودي ووصول الحكومة اليمنية الشرعية مع الإمارات إلى طريق مسدود، وتحول الإمارات من حليف وشريك في معركة استعادة الشرعية اليمنية إلى عدو مثلها مثل جماعة الحوثي».

ويرى مراقبون أن هذا الاتفاق بقدر ما يتضمنه من جوانب إيجابية، أظهر اليمن «مسلوب الإرادة السياسية» وكأنه أصبح رسميا «تحت الوصاية» السعودية والإماراتية، حيث من المقرر أن تشرف الرياض على كافة الخطوات التنفيذية لهذا الاتفاق بما في ذلك المشاركة في اختيار الوزراء والمسؤولين العسكريين والأمنيين ويبقى دور الرئيس هادي البصم فقط على ما يتم تقديمه إليه.

وزير الداخلية اليمني: لن نقبل بأي اتفاق مع «الانتقالي الجنوبي»

قال وزير الداخلية بالحكومة الشرعية اليمنية، أحمد الميسري، السبت، إن مشروع الإمارات في اليمن قد سقط، ولن يتم القبول بأي اتفاق مع المجلس الانتقالي الجنوبي (المدعوم إماراتيا).

جاء ذلك خلال لقاء تشاوري عقده الميسري مع شخصيات ومراجع قبلية في مدينة «عتق» عاصمة محافظة شبوه، حسب ما نقل وزير النقل صالح الجبواني.

وقال الجبواني، إن «وزير الداخلية دعا الرئيس عبد ربه منصور هادي، إلى التمسك بالثوابت الوطنية وعدم مكافأة الانقلابيين (في إشارة للمجلس الانتقال الجنوبي)».

وأضاف الميسري، أن عودة الحكومة الشرعية إلى عدن لن تكون إلا بتوليها السيطرة الكاملة على المحافظة.

تأتي تصريحات وزير الداخلية اليمني قبيل توقيع الحكومة الشرعية والمجلس الانتقالي، المزمع خلال يومين، على اتفاق في العاصمة السعودية الرياض.

قرار السلطة الفلسطينية حجب مواقع إلكترونية يثير غضباً في الأوساط الإعلامية والحقوقية

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت السلطة الفلسطينية حجب 59 موقعاً إلكترونيا فلسطينياً وعربياً، وأشارت جهات إعلامية إلى استثناء السلطة المواقع الإسرائيلية التي تحرض على القضية الفلسطينية من قرار الحجب. وجاء القرار من محكمة رام الله، واعتبرت الأوساط الإعلامية والحقوقية القرار مساً بحرية الرأي والتعبير، وحرية الصحافة والإعلام.

ووصفت نقابة الصحافيين القرار بالـ«مجزرةً» بحق حرية الرأي والتعبير ووسائل الإعلام الفلسطينية، معتبرةً أن هذا «يوم أسود» في تاريخ الصحافة الفلسطينية. كما اعتبرت أن القرار سوء استخدام لقانون الجرائم الإلكترونية، ويعد استهتاراً بنقابة الصحافيين والمهنة، إضافة إلى أنه يناقض تعهُّدات رئيس الحكومة محمد اشتية بصون الحريات الإعلامية.

وقد جاء في حكم الصادر عن المحكمة أنه «قد أقدمت على نشر ووضع عبارات وصور ومقالات عبر الشبكة العنكبوتية من شأنها تهديد الأمن القومي والسلم الأهلي والإخلال بالنظام العام والآداب العامة وإثارة الرأي العام الفلسطيني. فإننا نجد أن نص المادة 39/2 من القرار بقانون رقم (10) لسنة 2018 بشأن الجرائم الإلكترونية، قد أجازت حجب المواقع الإلكترونية. ولذلك وسندا لما تقدم فإن المحكمة تقرر إجابة طلب النائب العام وحجب المواقع الإلكترونية المذكورة أعلاه، قرار صدر تدقيقا باسم الشعب العربي الفلسطيني بتاريخ 2019/10/17».

وقد شمل الحجب مواقع بعضها محسوب على حركتي حماس والجهاد الإسلامي، وبعضها مواقع محسوبة على تيار الإصلاح الديمقراطي في حركة فتح، ومواقع مستقلة وأخرى مجهولة المصدر والانتماء. ويذكر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن «حجب المواقع يستمر لـ 6 شهور قابلة للتجديد وفق الفقرة (2) من المادة (39) من قانون الجرائم الإلكترونية».

وأكد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان على أن «هناك التزامات على دولة فلسطين تقضي باحترام حرية الرأي والتعبير، وذلك في المادة (19) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والذي وقعت عليه فلسطين في العام 2014 وبات ملزماً لها». وأضاف بأن «حرية التعبير هي من الحقوق التي يجوز تقييدها بموجب الفقرة الثالثة من المادة (19) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، ولكن وضعت هذه المادة شروطاً صارمة على هذا التقييد، وأكدت أنه لا يجوز أن يمس بالحق في النقد السياسي، بما في ذلك النقد اللاذع، أو يعيق حق الجمهور في الوصول للمعلومات، طالما لم تصنف كمعلومات سرية ممنوعة من النشر بالقانون».

ورأى المركز أن «المحكمة جانبت الصواب في قرارها، حيث توسعت في تفسير ما قد يضر بالأمن القومي والنظام العام والسلم الأهلي، وكان عليها الأخذ بالمعايير الدولية عند تفسيرها لنص المادة (39) بأن الدولة يجب أن تتسامح مع النقد اللاذع إلى أعلى درجة» مؤكداً أن «نشر الشائعات والنجاح في إثارة الرأي العام بالأكاذيب، هو بالعادة نتاج نقص الشفافية في الجهات الرسمية وعدم ثقة الناس فيها، وبالتالي على السلطة تعزيز الشفافية والوصول للمعلومات في مؤسساتها ومحاربة تجاوزاتها إذا أرادت الحفاظ على الاستقرار».

واعتبر المركز أن «ما قام به النائب العام ومحكمة الصلح يسيء للسلطة القضائية، ويعد خطوة جديدة على طريق تسييسها، وهو ما يقوض بشكل مباشر النظام العام وسيادة القانون. ويرى المركز أن القرار يتناقض مع المساعي لعقد الانتخابات العامة، والتي يشترط لصحتها أن تكون حرة، بما يشمل حرية المشاركة، حرية الدعاية الانتخابية، وحتى حرية معارضة إجرائها. وهذا يتطلب، وبشكل أساسي، إطلاق حريات الإعلام لأعلى مستوى».

وطالب النائب العام بالتوقف عن ملاحقة الصحافة وفرض القيود على حريتها، والالتزام بالاتفاقيات الدولية. ويؤكد على الحق في الطعن في القرار أمام المحكمة المختصة لإلغائه، وضرورة عدم إصرار النيابة على طلبها أثناء الاستئناف، وبتعديل قانون الجرائم الإلكترونية لعام 2018 بحيث تقتصر مسألة حجب المواقع الإلكترونية فقط للمواقع مجهولة المصدر، والتي تنتهج التعدي على مصلحة مشروعة محمية بالقانون.

وأدان التجمع الصحافي الديمقراطي الاثنين الماضي القرار، واعتبره «انتهاكاً لأحكام القانون الأساسي المعدّل عام 2003 وقانون المطبوعات والنشر لعام 1995». ودعا السلطة إلى «التراجع عن حجب المواقع واحترام القانون وحقوق الإنسان وحق التعبير المكفول في القوانين الدولية».

إلى ذلك، اعتبرت رابطة الصحافيين في الداخل القرار اعتداءً على حرية العمل الصحافي وعلى حق جمهور الفلسطيني في المعرفة وتلقّي المعلومات. وقالت في بيان لها: «نؤمن بأنّ الصحافة الحرة والموضوعيّة هي التي تعكس كافة المواقف وتعبر عن كافة التطلعات والآمال، وأي قرار يمنع هذا التنوع يُعَدّ سياسة لكمّ الأفواه، ونرى هذا القرار بخطورة كبيرة، لا سيما أنه يعزّز الرقابة الذاتيّة لدى الصحافيين، يبعدهم عن المهنية ويضعهم في خانة صحافة البلاط».

مغردون سعوديون يطلقون حملة ضد هيئة الترفيه على مواقع التواصل الاجتماعي

لندن ـ «القدس العربي»:

قال نشطاء سعوديون، عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إن السلطات أوقفت، الأسبوع الماضي، 8 أشخاص بينهم شيخ قبيلة وعدد من الشعراء البارزين لانتقادهم هيئة الترفيه.

وقال حساب «معتقلي الرأي» المهتم بأخبار الحقوقيين ومعتقلي الرأي في السعودية، في تغريدة على موقع «تويتر»: «اعتقلت شاعر قبيلة الشرارات عايد رغيان الشراري» موضحا أنه «مسن تجاوز الثمانين من عمره». وأشار الحساب إلى أن اعتقال عايد جاء على «خلفية تغريدة تتضمن أبياتا شعرية عبر فيها الشيخ عن رأيه بهيئة الترفيه».

وأضاف «معتقلي رأي»: «نؤكد رفضنا لجميع حملات الاعتقال المتواصلة ضد كل من ينتقد تركي آل الشيخ وهيئة الترفيه، فالتعبير عن الرأي ليس جريمة، وعلى السلطات وقف هذه المهزلة التي باتت تطال الجميع بلا استثناء لمجرد التغريد أو الكلام». كما أشار الحساب، الثلاثاء الماضي إلى «إيقاف شيخ قبيلة عتيبة، فيصل بن سلطان بن جهجاه، إثر تغريدات انتقد فيها سياسات رئيس هيئة الترفيه تركي آل الشيخ».

وقد أعاد مغردون نشر تغريدات شيخ قبيلة عتيبة فيصل بن سلطان بن جهجاه بن حميد، قبل أن تحذف. كما استدعت السلطات الشيخ عبد الرحمن المحمود، والشاعر حمود السبيعي بعد نشرهما قصيدتا هجاء انتقدا فيهما هيئة الترفيه، بحسب ما تناقله مغردون.

وأطلق مغردون وسم #سعوديين_مع_الترفيه للرد على من سموهم بـ«أعداء الانفتاح». ودعا المتفاعلون مع الهاشتاغ إلى احترام «الاختلاف وضرب المتشددين» معتبرين أن الإقبال الواسع الذي تشهده الحفلات الترفيهية يدحض أكاذيب المعارضين لهيئة الترفيه. في المقابل، انتقد آخرون إقامة الحفلات في الوقت الذي تتواصل فيه «الحملات التعسفية ضد أصحاب الرأي» على حد قولهم. كما نادى بعضهم بإعادة صلاحيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال أحد المغردين: «السعوديون متعطشين للترفيه بعد 35 سنة من الظلام والدليل الحضور الضخم والهائل للفعاليات منذ افتتاح هيئة الترفيه 2016. أما النحل الالكتروني الي ينتشر في الهاشتاغات بسب وقذف تركي آل الشيخ ويعزز له القليل من الصحونج، دولي فئة مهمشة لا أحد يهتم لها».

وتعد هيئة الترفيه من صميم رؤية 2030 التي أطلقها ولي العهد، الأمير محمد بن سلمان، لذا يرى مغردون أن الحملات المستمرة ضد المنتقدين لأنشطة الهيئة تتعارض مع التوجه الذي تخطوه المملكة. وأشار نشطاء إلى أن حملات الاعتقال هذه لم تقتصر على رموز التيار الديني المحافظ، بل شملت مثقفين ودعاة معتدلين، وهو ما يقرأ فيه البعض دليلا على «زيف» الإصلاحات التي يقودها ولي العهد السعودي محمد بن سلمان.

واعتبر النشطاء أن السلطات تراهن على الضجة الإعلامية التي تحدثها نشاطات الهيئة في التغطية على انتهاكات حقوقية داخل المملكة. وقال مغرد: «وحشية بن سلمان وزمرته في التعامل مع كل من ينتقد هيئة الترفيه تثبت أن تلك المؤسسة ليست مجرد شركة تنظيم حفلات، بل أنها باتت تمثل وجه السياسة السعودية الجديدة وتكشف توجهات بن سلمان. تغيير هوية المجتمع وإلهاء الشعب ونشر كل ما يستنكره العقل الجمعي، هذا هو الهدف من نشاطات الهيئة».

تونس: حملات تنظيف الشوارع استمرت أكثر من أسبوع بعد انطلاق هاشتاغ «الشعب يريد شوارع نظيفة»

لندن ـ «القدس العربي»:

تحول شعار «الشعب يريد شوارع نظيفة» خلال ساعات، في تونس، إلى مشروع فعلي تبناه آلاف التونسيين. ولاقى هذا النداء صدى واسعاً لدى الشباب الذي انخرط في حملات تنظيف الشوارع رافعا شعار: «كما ساهمنا في تغيير المشهد السياسي وانتخاب الرئيس النظيف لكي يحكمنا.. نريد تنظيف شوارعنا». واستقطبت صفحة «نحبو بلادنا نظيفة» أكثر من 200 ألف متابع على مدى أيام معدودة. كما لاقت صفحات أخرى حملت شعارات مشابهة مثل «الشعب يريد شوارع جميلة» تفاعلاً واسعًا أيضا.

وترمي هذه الصفحات إلى رفع الوعي لدى المواطنين بتحسين محيطهم وحث الشباب على لعب دور فاعل في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ويبدو أن حملات التنظيف حفزت الشباب على إطلاق حملات ومبادرات أخرى تدعو إلى إعلاء قيم وممارسات أخلاقية من شأنها إذكاء روح المواطنة وترسيخ مبدأ التطوع. وتميزت الحملات هذه المرة بارتفاع وتيرتها وتنوع مضامينها.

وشجعت بعض الحملات على شراء المنتجات المحلية لإنعاش الدينار التونسي تحت شعار «استهلك تونسي» وغيرها ما دعا إلى احترام القوانين والالتزام بالطوابير عند إجراء المعاملات الإدارية كحملة «نخلص القباضة ونحترم القانون».

وفي هذا الإطار، قال أحد الناشطين لـ «بي بي سي»: «استلهمنا الفكرة من فوز رجل القانون المستقل قيس سعيّد بمنصب الرئاسة، ففوزه أحيا ثقتنا بالثورة، لذا قررنا المساهمة في تحسين واقع البلاد حسب قدرة كل واحد منّا». وأضاف: «هذه المبادرة رفعت الأوساخ عن شوارعنا وبلدنا الذي ارتبط اسمه بسهول خضراء غناء، لكنها تحولت مع مرور الوقت إلى مكبات للنفايات». ودعا وزارة الثقافة والفنانين إلى مرافقة هذه الحملة وإلى توجيه القائمين عليها، لكي تدوم.

وتشهد تونس، في هذا الإطار منذ أكثر من أسبوع حملات تنظيف واسعة مست مختلف ولايات البلاد. ويجمع القائمون والمشاركون فيها على ضرورة استمرارها، فأعلنوا أول أحد من كل شهر يوما وطنيا لتنظيف شوارع البلاد.

محكمة الاستئناف تضيف ثلاث سنوات إلى الحكم الابتدائي ضد الصحافي توفيق بو عشرين

الرباط ـ «القدس العربي»: سعيد المرابط

أضافت محكمة الاستئناف بالدار البيضاء، ليلة الجمعة/السبت، ثلاث سنوات على الحكم الابتدائي في حق الصحافي المغربي توفيق بو عشرين، ليصبح 15 سنة عوض 12 سنة.

«محكمتكم هذه مستأمنة، على الأمن القضائي لكل المغاربة، قبل أن تكون مستأمنة على الماثل أمامكم» هذا ما قاله منطوق رسالة توفيق بو عشرين، مؤسس صحيفة «أخبار اليوم» المغربية أمام هيئة المحكمة.

وأضاف في رسائله الأربع، التي انشحت لها قاعة المحكمة بالصمت «مناي أن تُطمئن المحكمة، الرأي العام المغربي، أن في الدولة قانون، وفي المغرب قضاء، وفي البلاد سلطة قضائية، تقف على المسافة نفسها بين كل الأطراف، وأن هاجس السلطة تطبيق القانون، وأن المحاكم ليست بساحة لتصفية الحسابات السياسية».

المدير المؤسس للصحيفة المغربية الناطقة بالعربية «أخبار اليوم» والموقع الالكتروني «اليوم 24» توفيق بو عشرين، والذي حُكم عليه بالسجن لمدة 12 عامًا بسبب سلسلة من الجرائم الجنسية، حسب المحاضر الرسمية، قال في الرسالة الثالثة، الموجهة للطرف المدني، (الضحايا) أن «النساء اللواتي وجدن أنفسهن عالقات في هذه الحرب، أنا آسف جدا لما أصابهن ومتألم لما لحق بهن، هن في الواقع ضحايا، قلتها منذ الجلسة الأولى في المحكمة الابتدائية، لقد جعلوا منهن حطبا لإحراقي».

توفيق بو عشرين، البالغ من العمر 49 عامًا، والمنحدر من مدينة مكناس، تمنى استحضار المحكمة، أثناء نطقها بالحكم عليه «روح القرار الملكي، القاضي بالعفو عن الصحافية هاجر الريسوني».

وكان بو عشرين، قد رفض الحضور إلى جلسات المحاكمة، وهو الأمر الذي علق عليه بـ«لم أهرب من المحاكمة، عندما انسحبت في جزء منها، وانسحابي هذا جاء أساسا بسبب سلوك النيابة العامة، التي حرمتني من أي شيء يثبت براءتي واعتقلتني تعسفيا». وبعدما ألقى الصحافي توفيق بو عشرين، كلماته الأخيرة، قبل النطق بالحكم، رفع القاضي لحسن الطلفي، الملف إلى المداولة من أجل النطق بالحكم.

علوم وتكنولوجيا

غوغل تحقق «فتحاً جديداً» في مجال الحوسبة الكمّية والمنافسون يشككون في دقة الإنجاز

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة غوغل إنها حققت «فتحاً جديداً» في أبحاث الكمبيوتر عبر استخدام «كمبيوتر كمومي» تمكن من حل مسألة معقدة، خلال دقائق، كان أقوى كمبيوتر خارق متوفر حالياً سيستغرق آلاف السنين لحلها. ويتوقع الباحثون في غوغل أن تحقق الكمبيوترات الكمومية في السنوات المقبلة تقدما في مجالات الذكاء الاصطناعي، وعلوم المواد والكيمياء. وتعد الشركة في سباق مع منافسين مثل «آي.بي.ام» و«مايكروسوفت» في الاستخدام التجاري للتكنولوجيا وبيعها من خلال وحدات للحوسبة السحابية.

وقال جون مارتينيس، كبير علماء أجهزة ميكانيكا الكم في الشركة، متحدثا للصحافيين: «نأمل عندما يبدأ الناس في استخدامها وتفقد استقرار الأداء والواجهة السحابية، أن يتحمسوا لما نقدمه في غوغل.» وجاء الإعلان الرسمي للإنجاز في بحث نشرته دورية «نايتشر» العلمية، بعد جدل استمر لأسابيع بعد أن تم تسريب مسودة للبحث، حول ما إذا كان «التفوق الكمومي» الذي أعلنته غوغل بالفعل حقيقيا.

ويسعى علماء الكمبيوتر منذ عقود لاستغلال مبادئ ميكانيكا الكم، التي تحكم سلوك الجسيمات دون الذرية التي يمكن أن توجد في مع بعض. وكلما زاد عدد وحدات الكيوبت التي يمكن نظمها معا، أصبحت قدرة الكمبيوترات الكمومية أكبر بكثير.

ومع ذلك، توجد معضلة تتمثل في أن الباحثين في ميكانيك الكم بحاجة إلى تبريد الكيوبت إلى ما يقرب من درجة الصفر المطلق من أجل إطلاق الحد من التذبذب، أو ما يسمى بـ«الضوضاء» التي تتسبب الأخطاء في حساباتهم. وتمكنت غوغل، بمساعدة الهيليوم السائل للتبريد، أن تحرز تقدما كبيرا.

وقارن الرئيس التنفيذي سوندار بيتشاي الإنجاز ببناء أول صاروخ يغادر المجال الجوي للأرض ويلامس أطراف الفضاء، وهو التقدم الذي جعل السفر إلى الفضاء الخارجي ممكنا.

وكتب في مدونة: «بالنسبة لمن يعملون في العلوم والتكنولوجيا مثلنا، إنها لحظة أول تطبيق ناجح التي كنا ننتظرها – أهم إنجاز حتى الآن في مهمة جعل الحوسبة الكمومية حقيقة واقعة.»

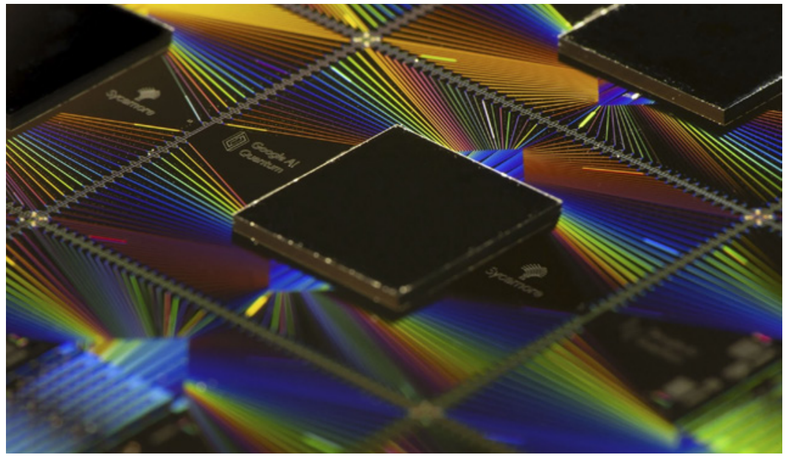

وابتكرت غوغل معالجا دقيقا، اسمه «سيكامور» يحتوي 54 وحدة كيوبت، ويبلغ سمكه نحو عشرة مليمترات، وهو مصنوع من أجزاء من الألومنيوم والإنديوم بين شريحتين من السيليكون. واستطاع الباحثون في تجربتهم وصل 53 وحدة كيوبت ببعضها على شكل شبكة متداخلة، تتفاعل على المستوى الكمّي.

وأعطوا الكمبيوتر الكمومي مهمة معقدة تتمثل في التعرف على الأنماط المتكررة في سلسلة من أرقام تبدو عشوائية، وتمكن الكمبيوتر من حل المشكلة خلال ثلاث دقائق و20 ثانية. وتفيد تقديراتهم أن المسألة ذاتها ستستغرق عشرة آلاف سنة لكي يحلها الكمبيوتر الخارق «ساميت» الأقوى من نوعه في العالم اليوم.

وكتب فريق الباحثين، بقيادة فرانك أورت من قسم الذكاء الاصطناعي في غوغل: «هذه الزيادة الجذرية في السرعة مقارنة مع جميع الخوارزميات التقليدية المعروفة هي تحقيق اختباري للتفوق الكمومي لهذه المهمة الكمبيوترية المحددة، مما يبشر بإطلاق نموذج كمبيوتري ترقبناه بشدة.»

وفي حين لاقى البحث الخاضع لمراجعة النظراء استحسانا، مع مقارنة وليام د. أولیفر من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا نتائجه المنشورة في «نيتشر» برحلة الطيران الأولى التي قام بها الأخوان رايت، فإن مشككين يقولون إن غوغل تضخم من شأن الإنجاز. واعتبر الباحثون في الشركة المنافسة «آي.بي.ام» إن كمبيوترا خارقا مزودا بقرص تخزين إضافي يمكنه حل مشكلة الأعداد العشوائية في نحو يومين ونصف، وبدقة أعلى. وأضافوا أن غوغل ربما تجازف بتضليل الرأي العام بالتلميح إلى أن أجهزة الكمبيوتر الجديدة ستحل محل القائمة حاليا.

مشكلة تخزين المعلومات حلها جيني

لندن ـ «القدس العربي»:

بات عالم تقنيات المعلومات على مقربة من أزمة تخزين، ويشير موقع «ساينتفك أميريكان» إلى أنه «في كل دقيقة من عام 2018 أجرى غوغل 3.88 ملايين عملية بحث، وشاهد الناس 4.33 ملايين فيديو على موقع يوتيوب إلى جانب إرسالهم 159.362.760 رسالة عبر البريد الإلكتروني، وكتابتهم 473 ألف تغريدة على موقع تويتر، وغيرها. ويذكر الموقع أنه مع حلول عام 2020 سيجري إنشاء بيانات يُقدّر حجمها بنحو 1.7 ميغابايت في الثانية الواحدة لكل شخص، في العالم أي ما يعادل حوالي 418 زيتابايت في السنة الواحدة (ما يساوي البيانات الموجودة في 418 مليار قرص صلب ذي سعة 1 تيرابايت) وذلك كله بافتراض أن عدد سكان العالم لا يتجاوز 7.8 مليارات نسمة. مشكلة التخزين تتسم بأنه لن تتمكن أنظمة التخزين المغناطيسية أو الضوئية للبيانات من الاستمرار لأكثر من قرن على أقصى تقدير، وذلك غير استهلاك مراكز تشغيل البيانات من الطاقة. لذلك، يقول الموقع الأمريكي أننا «على وشك مواجهة مشكلة خطيرة في تخزين البيانات، وتزداد حدةً بمرور الوقت».

وفي طبيعة الحال فإنه يتم العمل على تطوير بدائل للأقراص الصلبة، وأهمها هي تخزين البيانات في الحمض النووي. يشير الموقع إلى أنه يتكون الحمض النووي من سلاسل طويلة من نيوكليوتيدات الأدينوزين (أي) والثيامين (تي) والسيتوزين (سي) والغوانين (جي) وهي مادة تخزين معلومات وجودنا كبشر. ويمكن تخزين البيانات في تسلسل هذه الحروف، مما يجعل من الحمض النووي شكلا جديدًا من تكنولوجيا المعلومات.

في الواقع، يوجد في الحمض النووي تسلسلات تُقرأ، كما أنه يُكتب (يمكن هندسته) ومن المهم ذكر أن عملية نسخه بدقة، آليتها سهلة. ويضيف الموقع أنه كذلك «يتصف بكونه ثابتًا بشكل مذهل، مثلما اتضح من وضع تسلسل جينومي كامل لحفرية حصان عاش قبل أكثر من 500 ألف سنة. ولا تتطلب عملية التخزين كثيرًا من الطاقة».

إضافة إلى ذلك، يمكن تخزين في الحمض النووي كمية هائلة من المعلومات بدقة وكثافة تتجاوز الأجهزة الالكترونية. على سبيل المثال، يشير الموقع إلى أنه «تبلغ كثافة تخزين بكتيريا الإشريكية القولونية البسيطة 1000000000 0000000000 بت لكل سنتيمتر مكعب» وفقًا لحسابات نشرت في مجلة «نيتشر مانيروبالز» عام 2016. وعند هذه الكثافة، يمكن تلبية جميع احتياجات عام واحد من التخزين في العالم حاليًا، وبصورة جيدة عبر مكعب من الحمض النووي، بقياس حوالي متر واحد على الجانب.

ويضيف الموقع أن «إمكانية تخزين البيانات في الحمض النووي ليست مجرد فرضية نظرية. إذ اعتمدت مجموعة تشيرتش في جامعة هارفارد تقنية كريسبر عام 2017، لتحرير الحمض النووي، بغرض تسجيل صور ليد بشرية في جينوم الإشريكية القولونية، والتي أمكن قراءتها بدقة جاوزت 90 في المئة». كذلك طوّر باحثون في جامعة واشنطن بالتعاون مع «مايكروسوفت ريسيرش» نظامًا آليًا بالكامل، لكتابة وتخزين وقراءة البيانات المُرمّزة في الحمض النووي. كما تعمل عدد من الشركات، من ضمنها «مايكروسوفت» و«تويست بيوساينس» على تطوير تكنولوجيا التخزين في الحمض النووي.

ويشار إلى أن باحثين يقومون الآن باستخدام الحمض النووي لإدارة البيانات، ويحاولون التوصل إلى آلية لفهم الكميات الهائلة من البيانات منطقياً، علماً أن التطورات التقنية باتت تسمح بقراءة مليارات من تسلسلات الحمض النووي بسهولة وفي وقت متزامن. ما يعني أنه بات بإمكان الباحثين توظيف الترميز الشريطي - استخدام تسلسلات الحمض النووي كعلامات

تعريف جزيئي - بغرض تتبُّع النتائج التجريبية، حسب «سايننتفك أميريكان».

وحتى في حال لم يصبح الحمض النووي مادة تخزين واسعة الانتشار، يقول الموقع إن من شبه المؤكد أنه سيُستخدم لتوليد المعلومات على نطاقات جديدة تمامًا، وكذلك للحفاظ على أنواع معينة من البيانات على المدى الطويل.

دراسة تكشف أن غرب مصر كان غابات هائلة تعرضت لحرائق منذ 100 مليون سنة

لندن ـ «القدس العربي»:

أجرى باحثون من جامعة المنصورة في مصر، بالتعاون مع جامعة «تونغن» الألمانية، دراسة استقصائية، أثبتوا من خلالها أن الجزء الغربي من مصر، كانت تغطيه غابات، وحدثت منذ حوالي 100 مليون سنة حرائق ضخمة متكررة، توزعت على فترات زمنية، تسببت في فقدان هذه الغابات لبعض من تنوعها البيولوجي.

وقال الأستاذ المساعد في قسم الجيولوجيا في جامعة المنصورة، هيثم العطفي، في كلامه مع مجلة «للعلم»: «دراستنا تضع دليلًا دامغًا على حدوث حرائق غابات متكررة في منطقة الواحات البحرية خلال العصر الكريتاسي قبل نحو 100 مليون عام». وأضاف: يمكننا أن نضيف نتائجنا إلى لائحة طويلة من الدلائل التي تثبت أن العصر الكريتاسي كان مليئًا بمثل هذه الكوارث الطبيعية، التي أسفرت عن انقراض الديناصورات في نهاية ذلك العصر.

وجمع باحثو جامعة المنصورة عينات صخرية من صحراء الواحات البحرية غرب البلاد في عام 2016 حسب «للعلم» وقاموا بتحليلها عبر «تقنيات ميكروسكوبية متطورة» ما كشف عن وجود كميات كبيرة من الفحم على مستوى ميكروسكوبي من حيث الحجم، كما عُثر «على مستويات جيولوجية مختلفة في المتكون الجيولوجي (طبقة جيولوجية ذات تركيب معين ومدى محدد من العمر) الذي سمي «بحرية» على شرف الواحات البحرية.

ودفعت هذه الكميات من الفحم المتواجدة في تلك المستويات الجيولوجية على اختلافها، الباحثين إلى استنتاج «لا يدع مجالًا للشك» من اندلاع حرائق هائلة أشعلت تلك الغابات بشكل متكرر منذ نحو 100 مليون عام. وقال طارق عنان، الأستاذ المساعد في قسم الجيولوجيا في جامعة المنصورة، وهو الباحث الثاني في الدراسة خلال حديثه مع «للعلم»: «لقد أثرت تلك الحرائق على البيئة القديمة في شمال افريقيا بكل مشتملاتها، بما في ذلك الديناصورات الضخمة وباقي المحتوى الحيواني والنباتي».

ونشرت دراسة في مجلة «بي إن أي اس» تصف تفاصيل دقيقة حول الأحداث التي حصلت على كوكب الأرض خلال الساعات الـ24 التي تبعت ارتطام النيزك الهائل الذي ساهم في القضاء على الديناصورات. ويوثق، حسب «للعلم» بعد حوالي ربع ساعة على ظهور ضوء ساطع فوق سماء «بحر يوكاتان» تشكلت «عاصفة نارية مهولة فوق ظهر الأرض، أعقبتها موجات تسونامي مرعبة، غمرت السواحل الشرقية لأمريكا الشمالية والجنوبية. أسهمت كل تلك العمليات المناخية في ترسيب طبقة من الرماد يبلغ سمكها 130 مترًا وحطام محترق من الأرض إلى البحر. كانت درجة حرارة الانفجار عالية بما يكفي لتفتيت الصخور، وإرسال كميات كبيرة من مركبات الكبريت إلى الغلاف الجوي للأرض».

وتثبت الدراسة بالدليل القاطع السيناريو الذي يفترضه العلماء منذ عقود، وهو أن انقراض الديناصورات جاء نتيجة حرائق غابات هائلة، وتسونامي. إضافة إلى ذلك، أثبتت الدراسة أنه كان يوجد، في ذلك اليوم، أكر من 325 مليار طن مربع من الكبريت السام في مجال الكوكب، أدت إلى قتل حوالي 75 في المئة من الحياة على وجه الأرض.

وقال شون جوليك، أستاذ الجيوفيزياء في جامعة تكساس، والباحث الرئيسي لدراسة «بي إن أي اس» في حديثه مع «للعلم»: «إنها دراسة قيمة، وأعتقد أن هذه النتائج في دراستنا أو في دراسة الفريق المصري، ما هي إلا دلائل أكثر وأكثر على التقلبات المناخية الضخمة التي عصفت بالكوكب في العصر الطباشيري».

إنستغرام تطلق خاصية تحديد «الأخبار الكاذبة» الشهر المقبل

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة إنستغرام أنها ستضيف خاصية جديدة إلى تطبيقها، تكشف للمستخدم إن كان المحتوى المنشور «كاذباً» بناء على ما يقوله مدققون مستقلون. وسينشر التطبيق الخاصية الجديدة الشهر المقبل، ستتمثل بعبارة «معلومات خاطئة» فوق صورة أو فيديو المنشور، حسب ما أشار موقع «ماشبل». وسيتمكن المستخدم من رؤية المحتوى المنشور، بالنقر عليها حيث سيكتب فوق الصورة «أظهر الصورة» ولكن ستم تحذيره من قبل إنستغرام بأن المعلومات في الصورة أو الفيديو خاطئة أو كاذبة. وسيتمكن المستخدمون من قراءة السبب وراء اعتبار إنستغرام المعلومة خاطئة أو كاذبة، بالنقر على زر «أعرف لماذا» الذي سيظهر فوق الصورة أو الفيديو. كما سيرسل التطبيق تحذيراً لمن يشاركون المنشور الكاذب، بعبارة «المدققون قالوا إن المنشور يحتوي على معلومات كاذبة» ولكن سيستطيع المستخدم تجاوز التحذير ومشاركة المنشور.

وبدأ إنستغرام، التطبيق الذي تملكه شركة «فيسبوك» بالتعاون مع شركة منفصلة، توفر المدققين المستقلين، لاكتشاف المنشورات الكاذبة على التطبيق.

وتأتي هذه الخطوة متماشية مع توجه فيسبوك لـ«محاربة الأخبار المزيفة وكشفها على موقعهم».

وتشبه الخاصية الجديدة، أخرى تستخدمها إنستغرام للتحذير من المنشورات ذات اللقطات العنيفة أو الدموية، حيث وضعت تحذيرا بالمحتوى قبل أن يتم فتح الصورة.

«إتش بي» تصدر كمبيوترا «استثنائيا»

لندن ـ «القدس العربي»:

أصدرت شركة «إتش بي» كمبيوترا جديدا يتمتع بمواصفات «إستثنائية». إذ كشفت الشركة مؤخرا عن لابتوب «إتش بي إليت دراغونفلاي» المحمول الجديد، الذي يتميز بقدرته على تأدية الواجبات المتعلقة بالعمل بشكل استثنائي، حسب ما أشار موقع «تيك رادار» التقني.

واعتمدت «إتش بي» على تصميم جديد وألوان جديدة، إلى جانب قابلية تنقل متطورة، قد تضعه في أعلى قائمة أفضل الكمبيوترات المحمولة في السوق. ويتيح الكمبيوتر الجديد مستوى من الحرية، للذين ينقلون كمبيوتراتهم بشكل مستمر نتيجة خفة وزنه التي لا تتجاوز الكيلوغرام الواحد، حسب ما أشار موقع شركة «إتش بي». وتميز جهاز إتش بي بلون أزرق يختلف عن باقي الكمبيوترات، والذي تم استلهامه من «حشرة اليعسوب» التي يحمل الكمبيوتر اسمها بالانكليزية «دراغون فلاي».

وتمت إعادة تصميم الشاشة من الأجيال السابقة، مع إضافة شاشة بمقاس 13.3 بوصة، سمحت للشركة بتقليل الإطار العلوي بنسبة 42 في المئة، والإطار الجانبي بنسبة 14 في المئة.

وتقول الشركة إن «الأمر لا يتعلق بالتقدم التكنولوجي بالنسبة للجهاز الجديد، وذلك لأن الأهم هو أن جهازها المحمول هو الأكثر استدامة بيئيا حتى الآن، وذلك لاستخدام طلاء مائي بدلا عن طلاء الرصاص الضار بالبيئة».

كما يعتبر الجهاز أول كمبيوتر محمول في العالم مصنوع من مواد بلاستيكية مرتبطة بالمحيط، مع ما يصل إلى 50 في المئة من المواد البلاستيكية المعاد تدويرها المستخدمة في أغطية المفاتيح، كما أنه لا توجد مكونات معدنية داخل مجموعة لوحة المفاتيح.

وسيتيح الجهاز حرية اختيار معالج آي 5 أو آي 7 من الجيل الرابع، بالإضافة لبطارية من خليتين أو 4 خلايا، ما يوفر عمر البطارية إلى 24 ساعة.

أما من ناحية الاتصال، فيمتلك الجهاز منفذا «يو إس بي» و«إتش دي إم آي» ما يسهل استخدامه لغايات العرض في المكاتب. كما يتيح الكمبيوتر استخدام خدمة الربط بالإنترنت في أي مكان، بخاصية الجيل الرابع والاتصال غير اللاسلكي بخدمة «إل تي أي».

اقتصاد

البخور التقليدي في الصومال: عطر للجميع ورزق للنساء

في بيت متهالك غرب العاصمة مقديشو تستوقفك رائحة زكية تجبر المارة بجوار منزل السيدة مدينة حاج مجبرة على الالتفاف ولو قليلًا تجاه المنزل، لتتبع طيب البخور التقليدي، الذي لا تخلو من روائحه منازل الصوماليين، رغم غزو العطور المستوردة.

على مر العصور، امتزج البخور التقليدي بحياة الصوماليين اليومية، وارتبط اسم الصومال بـ«بلاد الطيب» أو «بلاد بونت» كما أطلق عليه قدماء المصريين، الذين كانوا يجلبون البخور من منطقة «بونتلاند» شمال شرقي الصومال، لاستخدامه في أغراض عديدة، من أبرزها تعطير معابدهم.

وتعتبر صناعة البخور التقليدي في الصومال عملا نسائيا بامتياز، فالمرأة هي من تحضر وتصنع وتعرف أسرار المكونات، ما جعل المهنة حكرًا عليهن منذ زمن بعيد.

السر في الحرفية

مع إشراقة كل صباح تستقبل مدينة من زبائنها طلبات بخور تقليدي بأنواع مختلفة، وتنهمك بتقسيم الأدوار بين بناتها، لتنفيذ أكبر عدد ممكن من الطلبات، بواسطة أدوات تقليدية تنتج أنواعًا مميزة من البخور. ضجيج الأواني، التي تحتوي المواد الخام لصناعة البخور، ينتشر في ساحة منزل مدينة، وهي تعمل في هذه المهنة منذ أكثر من ثلاثة عقود، وتعيل منها أسرتها في ظل ظروف معيشية صعبة تعاني منها الصوماليات.

وهي تمزج المواد المعطرة بحذر، قالت إن «هذه المهنة كانت ولا تزال مصدر رزقي الأول منذ أن ورثتها قبل عقود عن عمتي، ورغم تطورها وتعدد أصنافها الخام، إلا أنها تشكل سر حياة أسرتي وضمان لقمة عيشها».

وتابعت: «بغض النظر عن سهولة صناعتها بالنسبة للمشاهد، إلا أن خلط المواد الخام يتطلب حذرًا وحرفية وإتقانًا ومعرفة بمكونات ونسب كل منها، حيث يتم مزج حطب العود وترب المسك واللبن والعنبر والجابي والظفر بجانب أنواع مختلفة من العطر».

تمر صناعة البخور بمراحل عديدة، تبدأ بإشعال نار هادئة ووضع قدر مع الماء وكمية من السكر، حسب الحاجة.

يُنتظر حتى غليان الماء، ليوضع مسحوق مختلط مكون من حطب العود وتراب المسك واللبن والعنبر وجابي والظفر المستخرج من البحر وأنواع مختلفة من العطر، لتتحول إلى مادة صلبة تفوح منها رائحة زكية، معلنة اكتمال مرحلة تصنيع البخور على شكل جسم مربع صلب كبير.

وفي مرحلة تقطيع مادة البخور يأتي دور أفراد الأسرة، وخاصة الفتيات، حيث يتم تقطيع البخور حسب مقياس على شكل مربعات ومثلثات، لتتم تعبئته في أكياس بلاستيكية، ومن ثم بيعه في الأسواق والمنازل.

صناعة متوارثة

لا تعد مشاركة أفراد العائلة في صناعة البخور مجرد مساعدة لتذليل مراحل التصنيع، بل وسيلة لتوريث الفتيات تلك المهنة، حفاظًا على ثقافة الأجداد داخل الأسرة، التي تعتمد عليها كمصدر رزق لها.

يومًا بعد آخر على مدار سنوات، تكتسب فاطمة محمد، الابنة الصغرى في عائلة مدينة، معرفة بأصناف وطرق جديدة في صناع البخور، مع تطور الحياة.

وقالت فاطمة: «أمي كانت تلعب دورًا كبيرًا في توريث هذه المهنة لعائلتنا، حيث تمتهن معظم أخواتي المهنة حتى بعد زواجهن، حيث يرتزقن منها لسد بعض احتياجاتهن».

وأضافت: «تقدم عمر أمي، وعلي أن أقدم لزبائنها كل ما يحتاجون إليه.. أقدم لهم شيئًا مميزًا على غرار أمي، التي تحظى باحترام كبير في هذه الصناعة التقليدية».

وثمة أسر عديدة تمتهن صناعة البخور التقليدي في الصومال، والتي غالبًا ما تتم في المنازل، لكن نوعية البخور والمواد التي تدخل في صناعته تصنع الفارق بين تلك الأسر لجذب الزبائن.

استخدامات متعددة

البخور التقليدي هو أحد أهم المستلزمات الأساسية في جميع مناحي الحياة الأسرية في الصومال، بداء من الاحتياجات الشخصية، وصولًا إلى المناسبات، ولا تخلو منه المنازل، حيث يتم تطييبها به، خاصة في الليل.

مريمة حسن، تفضل البخور التقليدي، قالت إن «ثقافة استخدام البخور التقليدي لا تزال منتشرة بين الأسر الصومالية، التي تتوارثها جيلًا بعد آخر، وهو ما ساهم في تشبث الأسر بالبخور التقليدي، رغم كثرة المستورد». وأضافت أن «البخور التقليدي له استخدامات متعددة، فمنه ما يستخدم في المنازل والمناسبات، كالأعراس والولائم، بجانب تطييب الملابس، وخاصة النسائية، ولكل قسم نوعه الخاص من البخور، الذي يختلف حسب المواد الخام والكمية المخصصة له».

وتختلف استخدامات البخور حسب التوقيت، إذ يُستخدم في الفترة السائية لتعطير المنازل، عبر مبخرة مجمرة توضع في إحدى زوايا المنزل أو خلف الستائر.

وتُعطر الملابس من خلال حشو مكعبات من البخور داخل حقائب الملابس وإبقائها لمدة معينة، وتستخدم في المناسبات أبخرة مجمرة لتعطير الأجواء، كمظهر من مظاهر الترحيب بالضيوف.

التقليدي والمستورد

وقالت عائشة نور، تاجرة بخور، إن «البخور التقليدي يتحدى العطور المستوردة من الخارج، حيث يعد منافسًا قويًا رغم تنوع العطور الحديثة التي تجتاح الأسواق والمنازل».

وأرجعت صمود البخور التقليدي أمام المستورد إلى «كونه يشكل ثقافة متجذرة عبر القرون تتوارثها الأجيال، بجانب جودته الخارقة، حيث لا تتم صناعته بهدف الربح فقط، وإنما لكونه ثقافة تنفث روائح زكية على حياة الصوماليين».

وحسب مختصات في صناعة البخور فإنه يتميز بجودته، حيث لا تفارق رائحته المنازل والملابس نحو ثلاثة أو أربعة أيام، ولا يتسبب بحساسية لمستخدميه، بينما لا تصمد رائحة العطور والبخور المستوردة سوى ساعات أو على الأكثر يومًا، بجانب الحساسية التي تتسببها أثناء رشها في المنازل أو على الجسم.

وحسب النوع والمكونات والكمية، تتراوح أسعار البخور التقليدي في الأسواق الصومالية بين 220 ألف شلن صومالي (10 دولارات) و110 آلاف شلن (5 دولارات) أو أقل. (الأناضول)

اقتصاديون فلسطينيون لـ«القدس العربي»: الانفكاك الاقتصادي عن إسرائيل يلزم توفير بدائل وسيطرة كاملة على المعابر

إسماعيل عبد الهادي

تواصل السلطة الفلسطينية، مساعيها للخروج عن التبعية الاقتصادية لإسرائيل والبحث عن بدائل أخرى، سواء على الصعيد الاقتصادي أو الطبي، وذلك نتيجة لحالة الابتزاز المتواصلة من قبل إسرائيل، في الوقت الذي تمنع فيه معظم السلع والمنتجات الوطنية من الوصول إلى أسواقها، بالإضافة إلى عرقلة تحويل أموال الضرائب بين الغينة والأخرى، ورفع رسوم التحويلات الطبية إلى مستشفياتها ووضع العديد من العراقيل أمام التجار. فقد أعلن مستشار الرئيس للشؤون الاقتصادية محمد مصطفى، بدء الانفكاك التدريجي عن الاقتصاد الإسرائيلي، وتغيير بروتوكول باريس واستبداله، وتعزيز البنية التحتية للمنتج الوطني، والاعتماد على الذات في توفير المتطلبات والسلع.

وفي أحاديث منفصلة لـ«القدس العربي» قال مختصون اقتصاديون إنه ينبغي على السلطة الفلسطينية، أن تضع أي خطوة اقتصادية تحت الدراسة مستفيدة من كل الجوانب قبل إقرارها والدعوة إلى تنفيذها، وذلك مراعاة لمصلحة الأفراد والاقتصاد ككل، لا سيما أن الاحتلال الإسرائيلي يهيمن على الموارد الفلسطينية ويتحكم في المعابر والحدود.

وقال الخبير الاقتصادي سمير حمتو لـ«القدس العربي» إن محاولات السلطة الانفكاك الاقتصادي عن الاحتلال، خطوة في غاية الأهمية على الرغم من توقيتها المتأخر، ولكن أي إجراء في هذا الصدد، يتطلب دراسة شاملة وكاملة من خلال تعويض البدائل من السلع والخدمات.

وبين أن الاحتلال الإسرائيلي مهيمن على السوق الفلسطيني، وبالتالي ليس من السهولة الانفكاك عنه إلا إذا توفر البديل، مشيرا إلى أن المحلي يصعب عليه تغطية كافة الاحتياجات، لأن الاحتلال يسيطر على الموارد الطبيعية، ويتحكم في الصادر والوارد أيضا إضافة إلى أن المواطنين في كثير من الأحيان، يرغبون في السلع الإسرائيلية نظرا لجودتها العالية وهذا يتطلب في المقابل، توفير سلع وخدمات بمواصفات عالية كي تغطي الاحتياجات.

ويدعو الخبير حمتو السلطة، إلى تطبيق القانون الصادر عام 2010 حول حظر بضائع المستوطنات والعقوبات المترتبة على ذلك، ومراجعة لقوائم السلع والكوتا التي نص عليها اتفاق باريس الاقتصادي، حيث إنها لم تعد مناسبة بسبب تغير حجم الطلب على معظم هذه البضائع، وأيضاً يطالب بتحديد السلع الممكن توسيع قائمتها بموجب تقدير احتياجات السوق الفلسطيني منها، وكذلك العمل على إعادة النظر في السياسات الضريبية الموائمة لمستوى الاقتصاد.

وأوضح أن بحث السلطة إمكانية استيراد الوقود من الدول العربية، سبق أن طرح سابقاً ولم يحقق له النجاح لأكثر من سبب، ذلك أن الاحتلال إن سمح سيعرقل توريده، كما أن استيراد الوقود يتطلب خطوط نقل وأماكن مخصصة لتخزينه، وهو غير متوافر داخل الأراضي الفلسطينية.

وشدد على أهمية زيادة السلطة الوطنية المخصصات المالية الموجهة للقطاعات الإنتاجية في موازنتها السنوية، والعمل على تطوير البنى التحتية وشق الطرق، وإقامة مناطق صناعية وإنتاجية، وتعديل القوانين من أجل الارتقاء بالاقتصاد الفلسطيني وتخليصه من أزماته.

من جانبه قال الخبير في الشؤون الاقتصادية ماهر الطباع، إن السلطة الفلسطينية مقيدة باتفاق باريس الاقتصادي، وبالتالي ليس لديها الحرية الكاملة في الانعتاق من هيمنة الاحتلال، فهي لا تستطيع الاستيراد إلا من الدول التي ترتبط بعلاقة جيدة مع الاحتلال.

وبين لـ«القدس العربي» أن إمكانية تطبيق الانفكاك الاقتصادي عن الاحتلال الجزئي أو الكلي، ليس واقعياً في ظل عدم توافر معابر وموانئ وعلاقات تجارية حرة مع دول العالم.

ونبه إلى أن قرار وقف حكومة اشتية استيراد المواشي في الضفة الغربية مؤخراً، رفع أسعار المواشي في السوق المحلي، وزاد من عمليات التهريب التي يسلكها تجار بإدخاله المواشي إلى مناطق الضفة عن طريق المستوطنات، لذلك دعا الطباع الحكومة إلى دراسة قراراتها قبل اتخاذ أي قرارات مصيرية، من شأنها أن تؤثر بالسلب على القوة الاقتصادية.

وحث السلطة الفلسطينية أيضاً، على تدعيم المزارعين والمربين والصناعة من أجل بناء اقتصاد قوي قادر على تخطي الصعوبات، كما دعا لحماية الإنتاج المحلي من المستورد، وتقديم حوافز من أجل جلب استثمار جديد وتوسيع القائم.

وأكد على أهمية تكاتف الجهود المشتركة بين القطاعين الحكومي والخاص، لما للأخير من دور مهم في تطوير وتقوية الاقتصاد الوطني، والحد من معدلات البطالة ونسب الفقر والفقر المدقع بين شرائح المجتمع الفلسطيني.

في السياق ذاته يقول عضو الاتحاد العام للاقتصاديين الفلسطينيين ثابت أبو الروس، إن التبعية الاقتصادية مع لإسرائيل، موجودة قبل اتفاقية باريس وبدأت فعلياً عام 1967 وتعتبر السوق الفلسطينية أرضية خصبة استهلاكية للمنتجات الإسرائيلية.

ويضيف لـ«القدس العربي» إن العلاقة الفلسطينية الإسرائيلية الاقتصادية تتمثل بضخ عملة الشيكل إلى السوق المحلية، فضلاً عن تشغيل الأيدي العاملة الفلسطينية في قطاعات مختلفة، مثل البناء والمنسوجات والملابس، والفنادق داخل إسرائيل.

وبين أن اتفاقية باريس، جعلت السوق الفلسطينية تتبع الاقتصاد الإسرائيلي بشكل رسمي، بالإضافة إلى وجود موارد كثيرة، لا يمكن تحقيق الانفكاك الاقتصادي بالاستغناء عنها، مثل مخرجات البحر من الغاز، فضلاً عن إمكان طباعة العملة الفلسطينية، ويمكن أن يحدث ذلك في حال تحقيق المصالحة الوطنية، والملفت أيضاً أن أكثر المعضلات التي قد تواجه الانفكاك الاقتصادي عن إسرائيل، تزايد الأيدي العاملة العاطلة من العمل، والتي التحق بها أكثر من 49 ألف عامل لصفوف البطالة في العام 2019.

ومن مظاهر بدء الانفكاك الاقتصادي الذي قامت به السلطة الفلسطينية، الطلب من النرويج إعادة تفعيل اتفاقية باريس الاقتصادية، وعقد اتفاقيات مع المستشفيات المصرية والأردنية لتحويل المرضى إليهم، والاستغناء عن الإسرائيلية، وإنشاء سلسلة مستشفيات جديدة وتشجيع السلطة الفلسطينية للمنتج المحلي.

بكين: الانتهاء من أجزاء أساسية من المرحلة الأولى للاتفاق التجاري مع واشنطن

قالت الصين أمس إن أجزاء من النص الخاص بالمرحلة الأولى من اتفاق تجاري مع الولايات المتحدة «اكتملت بصفة أساسية» حيث توصل الطرفان إلى اتفاق في مجالات، بينها المعايير التي تستند إليها جهات الرقابة الزراعية.

ويأتي ذلك في أعقاب محادثة هاتفية تمت الجمعة بين نائب رئيس وزراء الصين ليو هي، والممثل التجاري الأمريكي روبرت لايتزر ووزير الخزانة ستيفن منوشين، حسب ما أوردته وكالة أنباء «بلومبرغ» الأمريكية أمس.

وأوضح بيان صدر في الصين أن الجانبين توصلا لاتفاق تستورد بمقتضاه الولايات المتحدة منتجات دواجن جاهزة من الصين. كما ببعض نصوص الاتفاقية قد اكتملت بصفة أساسية.»

وقال مكتب الممثل التجاري الأمريكي في بيان الجمعة إن الصين والولايات المتحدة تقتربان من وضع اللمسات النهائية لأجزاء من المرحلة الأولى من الاتفاق التجاري بين العملاقين الاقتصاديين، والذي يأمل الرئيسان، الأمريكي دونالد ترامب والصيني تشي جين بينغ، في التوقيع عليه خلال قمة مقررة في تشيلي الشهر المقبل.

وحقق مؤشر «ستاندرد أند بورز 500» للشركات الأمريكية صعودا قياسيا أمس عقب البيان.

وأوضح بيان صدر في الصين أن الجانبين توصلا لاتفاق تستورد بمقتضاه الولايات المتحدة منتجات دواجن جاهزة من الصين. كما ستقوم بكين برفع الحظر المفروض على صادرات الدواجن وتطبيق «نظام معلومات الصحة العامة» على منتجات اللحوم الأمريكية، حسب وزارة التجارة الصينية.

ونقلت «بلومبرغ» عن مصادر مطلعة أن مسؤولين أمريكيين قالوا إن المرحلة الأولى من الاتفاق التجاري تتضمن أيضا التزامات من قبل الصين بشأن الملكية الفكرية وتوفير العملة.

ومن المتوقع أن تستأنف الصين شراء المنتجات الزراعية الأمريكية بمستويات تعود إلى ما قبل اندلاع الحرب التجارية بين البلدين قبل نحو عام مقابل عدم فرض مزيد من الرسوم على الواردات الصينية للسوق الأمريكية. (د ب أ)

مدن وآثار

بعشيقة العراقية مدينة الأحزان والزيتون

صادق الطائي

مدينة غافية على سفح جبل، إذ تطل بعشيقة من مكانها المرتفع على سهل زراعي فسيح يمتد إلى سواحل نهر دجلة، ويمكننا القول إن بعشيقة في الواقع هي عبارة عن مدينتين ولدتا بصيغة توأم سيامي ملتصق، إذ تتكون المدينة من جزئين شرقي وغربي، وتعرفان ببعشيقة وبحزاني. وقد أصبحت مدينة واحدة. وربما حاول البعض توصيفهما على أساس الانتماء الديني أو العرقي للسكان، وفي هذا الأمر بعض الصحة، إلا إنهما مختلطتان بامتياز، وهنا سنتكلم عنهما بصفتهما مدينة واحدة وسنطلق الاسم الأكثر شهرة عليهما وهو بعشيقة.

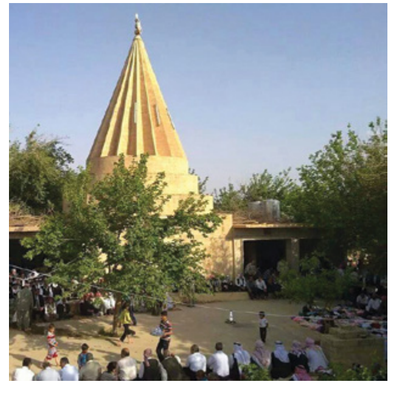

ثقافات متنوعة

ربما تعد بعشيقة القضاء الأحدث إداريا بين أقضية المدن العراقية، إذ تم تعديل صيغتها الإدارية من ناحية إلى قضاء في أيلول/سبتمبر 2019. تقع على بعد 12 كم شمال شرق الموصل، مركز محافظة نينوى شمال العراق، ويبلغ تعداد سكانها حسب توقعات وزارة التخطيط العراقية المعتمدة على معطيات مختلفة حوالي 140 ألف نسمة. بعشيقة مدينة غنية بالثقافات المتنوعة، وسكانها مختلطو الأعراق والأديان والمذاهب، حتى باتت تعرف بكونها عراق مصغر، إذ تضم المدينة ست ثقافات فرعية، فيها أغلبية من الإيزيديين كما تضم بين سكانها المسيحيين من الكاثوليك والأرثوذكس، وتسكنها نسبة من طائفة الشبك، وكذلك من المسلمين المتوزعين عرقيا، بينهم العرب والكرد والتركمان، كذلك يتوزع مسلموها بين الطائفتين السنية والشيعية.

ويمكننا ملاحظة هذا التنوع بشكل أوضح في القرى التابعة لبعشيقة، إذ تشير الإحصائيات إلى وجود 47 قرية تحتوي على خمس ثقافات فرعية، فالعرب في ست قرى بنسبة 10في المئة والشبك بنسبة 80 في المئة في خمس وعشرين قرية والتركمان بنسبة 8 في المئة في قريتين والمسيحيون بنسبة 2 في المئة. وزائر بعشيقة يمكنه سماع خليط من اللغات المختلفة، ونتيجة تزاوج هذا الخليط اللغوي ولدت لهجة خاصة في المدينة يختلط فيها العربي بالكردي بالتركماني بالسرياني وحتى الفارسي وبعض المفردات الإنكليزية.

اقتصاد المدينة قائم بشكل أساسي على الزراعة وتربية المواشي، وأهم منتجاتها الزراعية الزيتون بالإضافة إلى زراعة الحبوب، كما اشتهرت المدينة ببعض الصناعات التي شكلت جزءا مهما من هويتها، فبعشيقة معروفة تأريخيا بأنها المدينة العراقية الأشهر بمزارع الزيتون، لذلك أشتهرت المدينة بالصناعات القائمة على هامش زراعة الزيتون، ففيها مصانع صغيرة لإنتاج زيت الزيتون الفاخر الذي ينافس أشهر الماركات العالمية، وفيها ورش أو مصانع صغيرة لصناعة صابون الغار.

وكذلك توجد فيها محلات صناعة أنواع المخللات التي تشتهر بها مدينة بعشيقة. كما تزرع الحبوب في القرى المحيطة ببعشيقة وأهمها السمسم لذلك نجد في المدينة معاصر السمسم التي تنتج الزيوت وكذلك معاصر إنتاج الطحينة، وتعد طحينة بعشيقة التي تعرف محليا باسم الراشي الأشهر في العراق وكثيرا ما فازت معاصر بعشيقة بالجائزة الأولى عراقيا بين مختلف مصانع الطحينة في البلد. كذلك يمكننا الإشارة إلى بعض المصانع الأهلية الموجودة في المدينة والتي تقوم بتصنيع المشروبات الروحية وأهمها «عرق بعشيقة» الذي ينتج في بيوت الإيزيديين والمسيحيين من سكان بعشيقة وبحزاني.

كل ذلك جعل المدينة مكتفية ذاتيا اقتصاديا، يتعايش سكانها في حالة وفاق مميز من دون أن تحدث نزاعات عرقية أو دينية بينهم، لكن هذا الحال لم يصمد أمام موجة عصابات الدولة الإسلامية «داعش» التي اجتاحت المدينة عام 2014 وقتلت الأهالي المدنيين المسالمين، كما تم سبي النساء والأطفال وتم بيعهم في أسواق النخاسة، وهجر منهم عشرات الآلاف، ودمرت الكنائس والمعابد في واحدة من الكوارث الإنسانية التي شهدها العراق. لكن سرعان ما تم تحرير المدينة، وربما كانت بعشيقة واحدة من أسرع المدن التي عاد لها أهلها من بين المدن المحررة من احتلال «داعش» وبسرعة ملفتة باشروا إعمار ما تهدم من مساكنهم ومعابدهم وكنائسهم، لتعود الحياة إلى المدينة الحزينة بالرغم من الجراح الغائرة التي أحدثها الإرهابيون عميقا في نسيج المدينة الوادعة.

بيت المسحوقين

اسم المدينة كحال أي مدينة قديمة تختلف قصص وأسباب التسمية تبعا لجذر الكلمة، والتحويرات التي تدخل عليه، وتأثير اللغات الأخرى على المسمى الأصلي. وقد عرفت المدينة تأريخيا بأسماء مختلفة منها «بعشقا وبحشيقا وبعشيقا وباشيقة» وجاء ذكرها عند بعض المؤرخين القدماء والمحدثين بإسم «باسحق» وربما هي مشتقة من بيت المسحوقين، كما أشار بعض الباحثين، ولعل أكثر اسم متداول بين عامة الناس حتى يومنا هذا هو «باعشيقا» و«بعشيقة» و«بحشيقة». ويعتقد أن اسم بعشيقة، التي يلفظها سكانها بصيغة «بحشيقة» وكذلك بحزاني من التسميات ذات الأصل الآرامي نتيجة وجود البادئة «با» في الاسم وهي دلالة على المكان في الآرامية. ويمكننا الإشارة إلى واحدة من أقدم الإشارات التي أوردت اسم المدينة، إذ ورد ذكرها في القرن الثالث عشر الميلادي في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي في الجزء الأول، فهو يشير لها بقوله »باعشيقا: الشين معجمة مكسورة، وياء ساكنة وقاف مقصورة: من قرى الموصل، مدينة من نواحي نينوى في شرقي دجلة، لها نهر جار يسقي بساتينها، وتدار به عدة أرحاء، ولها دار إمارة، ويشق النهر وسط البلد، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج، ولها سوق كبير، وفيه حمامات وقيسارية، يباع فيه البز، وفيه جامع كبير حسن له منارة، وبها قبر الشيخ ابا محمد الراذاني الزاهد، وبينها وبين الموصل أربعة فراسخ وإلى جنبها قرية كبيرة أخرى ذات أسواق وبساتين متصلة» ويبدو ان إشارة الحموي الأخيرة المقصود بها بحزاني.

ويرى الباحث سالم الرشيداني إن «باعشيقة» لفظة سريانية مكونة من مقطعين – الباء وتعني (البيت أو بيت) – عشيقا أو عشقا وتعني (العاشق) لتصبح التسمية بيت العاشق أو المعشوق. لكن المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني يشير في كتابه موجز تاريخ البلدان العراقية إلى إن «المصادر التأريخية تشير إلى إن كلمة بعشيقة أو بحشيقة آرامية الأصل ومركبة من كلمتي بيث وشحيقي وتعني بيت المنكوبين أو بيت المسحوقين».

كما يعتقد الباحث ممتاز حسين سليمان خلو إن اسم بعشيقة مشتق من «بيت العشاق» لحلاوة أجوائها ووفرة بساتينها المتنوعة. لكن باحثين آخرين يرون إن كلمة «البعشقة» تعني خروج الماء من غائل الحوض أو الخابية، أو خروج الماء من الحوض إذا انكسرت من ناحية مخرج منها، وتبعشق الماء من الحوض إذا انكسر من ناحية فخرج منه الماء، وربما كان سبب هذا التسمية كثرة العيون في محيط مدينة بعشيقة.

كما يحيل بعض الباحثين أصل تسمية المدينة إلى «با شيقا» المكونة من جزئين، «با» بمعنى عند أو قرب، وما زال أهالي سنجار الأكراد يستخدمون اللفظ بنفس المعنى، و«شيقا» وتعني الفتحة، مثل كلمة شق بالعربية، وعليه تصبح «باعشيقا» المدينة التي تقع عند الفتحة، والمقصود هنا فتحة الجبل حيث تقع عند نهايته بعشيقة، وقد ورد اسم باشيك وبارزان في الموروث الغنائي الإيزيدي كما في أغنية إيزيدي ميرزا.

بقايا المدنية القديمة

يذكر الباحث صباح كنجي في بحثه عن خصوصية بعشيقة ان سكان المدينة «خليط عجيب من عدة أقوام ولغات وبقايا شعوب سكنت العراق منذ العهود الغابرة، وفي مقدمتهم الإيزيديين والشبك والأرمن والأكراد والتركمان والآشوريين والكلدان والسريان، والنتيجة تكون محيطا غنيا ومتنوعا من العادات والطقوس والملابس واللغة والدين، ورغم هذا المحيط المنوع فإن اللغة تجمع بين الناس من مختلف الأديان والقوميات والأجناس في هذه المدينة».

وتضم مدينة بعشيقة عددا من الآثار التاريخية المهمة التي تعود لحقب زمنية متنوعة، مثل سي دري التي تعني باللغة الكردية الأبواب الثلاثة، كما يحوي جبل مقلوب الذي يقع على أطراف مدينة بعشيقة معالم قصر ومنحوتات صخرية أيضا تسمى قصر راست، أي قصر العدالة، وكهف شيخو بكر. ويوجد حول المنطقة حوالي سبعة تلال، تم التنقيب في بعضها، والباقي لم يتم التنقيب فيها بعد، وتحوي هذه المنطقة كهوفا تأريخية يعتقد ان عمرها يعود إلى أكثر من 700 سنة قبل الميلاد.

وقد أكد بعض الآثاريين أن المنطقة الأثرية القريبة من بعشيقة يرجع تاريخها إلى أكثر من سبعه آلاف سنة قبل الميلاد، كما عثر في التلال المحيطة بها على اكتشاف أثري مهم لمدينة تدعى مك نبو، التي بنيت على أنقاضها مدينة خورساباد العاصمة الآشورية التي بناها الملك سرجون. كما يوجد بجوار بعشيقة تل آشوري يُعرف بتل بلا تختفي تحت ثراه مدينة قديمة تُعرف باسم «شيبانيبا» وقد نقبت في هذا التل بعثة أمريكية في مواسم امتدت بين سنة 1930 و 1933 فتوصلت إلى نتائج أولية كشفت بعض الملامح من تاريخ هذه المدينة.

كما ان لأتباع الديانات الثلاث من الإزيديين والمسيحيين والمسلمين مزاراتهم ومعابدهم ومساجدهم وكنائسهم، في مدينة بعشيقة، مثال ذلك المعابد الإيزيدية التي تشتهر بقبابها البيضاء المخروطية، وأبرزها مزارات الشيخ مهمد (محمد) وملك ميران والشيخ شمس وناسردين وسجادين، وهم من كبار المشايخ ورجال الدين التأريخيين في الديانة الإيزيدية.

ويذكر المطران أفرام نقاشة في كتابه «عناية الرحمن في هداية السريان» إن «في بعشيقة كنيستان للسريان الكاثوليك على اسم مريم العذراء، إحداهما قديمة بنيت في مطلع القرن التاسع عشر والثانية حديثة تمّ إنشاؤها سنة 1924م. وكنيسة للسريان الأرثوذكس على اسم القديسة شموني». كما تجدر الإشارة إلى واحد من أهم المواقع الدينية المسيحية في المنطقة وهو «دير مار متي» في جبل مقلوب القريب من بعشيقة. أما الآثار الإسلامية فيوجد في بعشيقة جامعان هما جامع الفاروق وجامع أبي بكر الصديق. كما تضم المدينة مقاما للإمام علي الرضا ابن موسى الكاظم الذي يقصده شيعة المنطقة في أيام الأعياد والمناسبات الخاصة بهم.

رياضة

دوري أبطال أوروبا: جولة الجنون والإنقاذ من المجهول!

وحش أوروبا الجديد... الهداف إيرلنغ هالاند

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

بلغت الإثارة ذروتها في الجولة الثالثة لدور مجموعات دوري أبطال أوروبا، بكم غير مسبوق من الأهداف، خصوصا في اليوم الافتتاحي للجولة، الذي شهد 30 هدفا في 8 مباريات، بمعدل نحو 4 أهداف في المباراة الواحدة، بجانب ذلك، نجح بعض الأندية الكبيرة في تصحيح أوضاعه وإنعاش فرصه في تخطي دور المجموعات بعد البداية المتواضعة في أول جولتين.

الهروب من المجهول

اتجهت الأنظار نحو ملعب «تيليكوم آرينا» في العاصمة التركية الثانية اسطنبول مساء الثلاثاء الماضي، لمتابعة ومراقبة ما سيفعله بطل القارة 3 مرات في آخر 4 سنوات أمام مضيفه العنيد غالطة سراي، في مباراة اعتبرها الإعلام الإسباني، وخصوصا الدربي، بمثابة الفرصة الأخيرة لزيدان، ووضح ذلك من خلال الهجمة الشرسة التي أطلقها كبار الإعلاميين المقربين من فلورنتينو بيريز مثل مقدم برنامج «الشيرينغيتو» ورئيس تحرير صحيفة «آس» على المدرب الفرنسي، فيما اعتبرت إشارات واضحة لاقتراب نهاية ولاية زيزو الثانية مع النادي، ولاحظنا كيف بالغت الصحف المحسوبة على «اللوس بلانكوس» في إبراز أرقام المدرب السلبية في ولايته الثانية بعد الهزيمة أمام مايوركا بهدف نظيف في عطلة نهاية الأسبوع، التي أهدت الغريم الأزلي برشلونة صدارة الليغا بعد اكتساح إيبار بثلاثية بلا هوادة في اليوم ذاته. الشاهد، أن الرأي العام استعد لخبر إقالة المدرب إذا عاد من تركيا بنتيجة مخيبة للآمال، لكن من حُسن الحظ، أن الحارس البلجيكي تيبو كورتوا قدم أروع مبارياته على الإطلاق مع النادي الملكي منذ قدومه من تشلسي في صيف 2018، بنجاحه في إنقاذ ما لا يقل عن 3 أهداف محققة في الشوط الأول، كانت كفيلة بوضع زيزو ورجاله في وضع لا يحسدون عليه، إلا أن تألقه اللافت أبقى على فرص الريال لخطف النقاط الثلاث، وهو ما حدث بفضل التوظيف الرائع للغالاكتيكو الجديد إيدين هازارد، بوضع الكرة بين قدميه بالقرب من مربع العمليات، وليس كجناح كلاسيكي في أقصى الجهة اليسرى. ومن الإيجابيات الأخرى في المباراة، ظهور الشاب فيدريكو فالفيردي بمستوى مبشر مرة أخرى، كلاعب وسط مدافع بجانب كاسيميرو على دائرة المنتصف، ما أعطى صلابة لمنطقة العمق، مقارنة بالوضع عندما يلعب توني كروس بجانب البرازيلي على الدائرة وأمامهما لوكا مودريتش، حيث يظهر الوسط أقل حركة وعدوانية، لتقدم الكرواتي في السن وضعف الألماني في الأدوار الدفاعية.

لكن في وجود فالفيردي بدا الوسط أكثر حدة وحركة، وانعكس ذلك على الدور الجديد لكروس بوضعه كرأس مثلث أمام الشاب الإسباني وكاسيميرو، لربط الوسط بثلاثي الهجوم، وحسنا فعل بمساعدة هازارد على تغيير طاقته، باختيار الوقت المناسب بتمرير الكرة له في أقرب مكان لخط منطقة الجزاء، لم نشاهد البلجيكي يطلب الكرة في منتصف الملعب كما كان يستنزف طاقته في مراوغات وانطلاقات لا قيمة لها في أماكن بعيدة عن البقعة السحرية في الملعب، ويُحسب كذلك للقائد سيرخيو راموس ورفاقه المدافعين صمودهم أمام ضغط الفريق التركي في الدقائق الأخيرة، بصرف النظر عن نتائج غالطة سراي السلبية في مبارياته الأخيرة، نظرا للضغوط الهائلة التي تعرض لها الملكي قبل المباراة، والتي جعلت راموس يقول في المؤتمر الصحافي: «نحن مع زيدان حتى الموت»، وهي كلمات تعكس مدى أهمية المباراة بالنسبة لمشروع زيدان، لذا يمكن القول بأن الانتصار في حد ذاته، بمثابة «طوق نجاة» للفريق، فمنها حافظ على سمعته بالقفز للمركز الثاني في المجموعة بالوصول للنقطة الرابعة بفارق خمس نقاط عن باريس سان جيرمان، الذي اكتسح كلوب بروج بخماسية، منها «هاتريك» للمدمر العائد من الإصابة كيليان مبابي، بالإضافة إلى ذلك، أسكب الفوز الأوروبي القليل من الماء البارد على الشائعات التي تراهن على رحيله في المستقبل القريب، لكن النقطة السلبية المستمرة مع الفريق منذ رحيل كريستيانو رونالدو، افتقار العملة النادرة القادرة على استغلال أنصاف الفرص. ولنا أن نتخيل لو أتيح نصف هذا الكم الهائل من الفرص للدون، أقل شيء، كان ممكن أن تكون النتيجة 6–1، وهذا صداع لن يتخلص منه لا زيدان ولا الريال في المستقبل القريب وربما البعيد، لصعوبة العثور على كنز مثل كريستيانو.

انقلاب في المجموعة الحديدية

صحيح أن الصدارة لم تتغير في مجموعة الموت السادسة، باحتفاظ برشلونة بها بعد الفوز الشاق على سلافيا براغ بهدفين لهدف، لكن الجديد أن أفاعي أنطونيو كونتي عادوا لدائرة المنافسة على مقعد مؤهل للأدوار الإقصائية، بترويض أسود بوروسيا دورتموند في استاد «جوسيبي مياتزا» في مدينة ميلانو بثنائية لأوتارو مارتينيز وأنطونيو كاندريفا، ليقفز الإنتر بالخروج من البطولة في أول مباراة لا يصنع ميسي فيها الفارق على غرار ريمونتادا روما وكابوس «الرابع أوريغي»، لكن في أسوأ الحالات، يمكن القول بأنه بنسبة تزيد على 90% لا خوف على مكان «البلو غرانا» في الأدوار الإقصائية، حتى لو استمر بهذه النسخة الباهتة جدا، والفضل أولاً لليو وثانيا تألق تير شتيغن.

صحوة الإنكليز

الملاحظ في هذه الجولة، الاستفاقة الجماعية للأندية الإنكليزية بنجاح المثلين الأربعة في تحقيق الفوز للمرة الأولى في جولة واحدة، وكان أكثر الإنكليز سعادة في هذه الجولة توتنهام، فأولاً صالح المدرب ماوريسيو بوتشيتينو ورجاله الجماهير بانتصار كبير على النجم الأحمر الصربي، وصل قواعه لخماسية نكراء، تعويضا على فضيحة سباعية بايرن ميونيخ في المرحلة الماضية، وأيضا لكسر نحس النتائج السلبية، باستعادة نغمة الانتصارات الغائبة منذ آخر فوز حققه الفريق في نهاية سبتمبر/أيلول الماضي، وكان على حساب ساوثهامبتون في الأسبوع السابع للبريميرليغ، بجانب ذلك، سار على نهج الريال والإنتر بتعزيز فرصه في التأهل للأدوار الإقصائية بتأمين وصافة المجموعة الثانية بأربع نقاط، بفارق نقطة عن ضحيته الصربي وخلف المتصدر بايرن ميونيخ بخمس نقاط. كذلك جاره اللندني تشلسي، حافظ على صحوته بعد البداية المتعثرة بالسقوط أمام الخفافيش، بتحقيق الفوز الثاني على التوالي، وعلى حساب المرشح الأول للصدارة بإذلال أتالانتا الايطالي بخمسة أهداف مقابل هدف، بعد ثلاثية شاختار وثنائية دينامو زغرب الظنفيقتين، ليصبح تأهل الإعصار السماوي للدور المقبل مجرد مسألة وقت.

نجوم أظهرت ملامح المجموعات

خطفت أسماء بعينها الأضواء من الجميع في هذه الجولة، أبرزهم القطار الفرنسي السريع كيليان مبابي بتدمير كلوب بروج في نصف ساعة، بتسجيل «هاتريك» وصناعة هدف لمارورو إيكاردي، لكن الأكثر تأثيرا في نتيجة المباراة، كان القصير الأرجنتيني باولو ديبالا، الذي سحب البساط من تحت أقدام كريستيانو رونالدو في ليلة معاناة سيدة إيطاليا العجوز أمام لوكوموتيف موسكو، بتكفله بتسجيل هدفي التشبث بصدارة المجموعة، بعد فوز أتلتيكو مدريد على باير ليفركوزن بهدف نظيف، موجها صفعة جديدة للمدرب السابق ماسيميليانو اليغري، الذي حرم الفريق من هذا التأثير الكبير في جُل وأهم مباريات الموسم الماضي.

لكن على أي حال، ظهرت ملامح المجموعة، باستمرار الصدارة معلقة بين اليوفي والأتلتي حتى صدام «يوفنتوس آرينا»، الذي سيكشف عن هوية متصدر المجموعة. ومن نجوم الجولة، ثنائي توتنهام هاري كاين وهيونغ مين سون، بتناوب الاثنين على تسجيل ثنائية في سهرة اكتساح النجم الأحمر بالخمسة والعودة للمنافسة على مركز مؤهل للدور القبل، وهو نفس ما فعله منافسهم في المجموعة روبرت ليفاندوسكي في اختبار بايرن ميونيخ ضد أولمبياكوس الصعب، الذي حسمه البايرن بشق الأنفس بنتيجة 3–2، ليؤكد انفراده بصدارة المجموعة بالعلامة الكاملة في الدور الأول، بفارق 5 نقاط عن الوصيف اللندني، كذلك البلجيكي دريس ميرتينز خطف الأضواء بثنائيته في ريد بول سالزبورغ، منها ساهم في أول انتصار لفريقه خارج القواعد في البطولة الأوروبية منذ 3 سنوات، ومنها ضمان الصدارة بفارق نقطة عن ليفربول. كما أنه على المستوى الشخصي، دخل التاريخ من أوسع أبوابه بتجاوز عدد أهداف الأيقونة دييغو أرماندو مارادونا بقميص نابولي، بوصوله لهدفه الشخصي الـ16 بفارق هدف عن أسطورة الأرجنتين، الاستثناء الوحيد الذي لم يؤثر تألقه الفردي على نتيجة فريقه، كان هداف البطولة الظاهرة إيرلينغ هالاند الذي دك شباك فقراء الجنوب مرتين، بعد هدفه في «أنفيلد» في الجولة السابقة، ليرفع رصيده لستة أهداف، على بعد هدف من هداف البطولة ميسلاف أورسيتس مهاجم دينامو زغرب، لكن بالنسبة لفريقه، فتقلصت فرصه في تجاوز المجموعات بتأخره بثلاث نقاط عن الوصيف وأربعة عن المتصدر. فقط المجموعة المجهولة التي لا تحظى بمتابعة كبيرة، والإشارة للمجموعة السابعة، هي الوحيدة التي لم تظهر ملامحها، باستمرار لعبة الكراسي الموسيقية على الصدارة والوصافة، باستقرار الصدارة هذه المرة على لايبزيغ عقب انتصاره على زينت سان بطرسبرغ بهدفين لهدف، ليرفع رصيده لست نقاط، بفارق نقطتين عن ضيفه الروسي، ومثلهما عن ليل بعد هزيمته أمام بنفيكا، الذي عاد للمنافسة بتحقيق أول ثلاث نقاط بعد هزيمته في أول مباراتين، نلاحظ أن الفارق بين الأول والأخير نتيجة مباراة واحدة، ما يعني أنها في الغالب ستبقى معلقة حتى إطلاق صافرة النهاية.

ماني يعانق صلاح بعد تألقهما مع ليفربول

زيدان كان على وشك الاقالة لولا انتصار الريال في إسطنبول

من الأوفر حظاً للفوز بجائزة الفتى الذهبي؟

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت صحيفة «توتو سبورت» الإيطالية النقاب عن قائمة جواهر المستقبل المرشحة للفوز بجائزة «الفتى الذهبي»، التي تُمنح سنويا لأفضل لاعب تحت 21 عاما في الدوريات الأوروبية، بمعايير ثابتة لا تتغير منذ ظهورها للنور عام 2003 حين توج بها الهولندي رافائيل فان در فارت، بتحقيق أشياء كبيرة وترك بصمة واضحة سواء مع أنديتهم أو منتخبات بلادهم.

وكما تحظى جائزة «الكرة الذهبية» بأهمية مضاعفة لدى النجوم الكبار، أيضا «الغولدن بوي»، أضحت في السنوات الأخيرة الجائزة الأهم والأكثر مصداقية على مستوى الشباب الذين لم يتجاوزوا الـ21 عاما، والدليل على ذلك، أن جُل من توج بها تحّول مع الوقت إما لنجم من الطراز العالمي لفترة طويلة أو أسطورة في كتب التاريخ، لعل أبرزهم البرغوث ليونيل ميسي والفتى الذهبي الإنكليزي وين روني، سيرجيو أغويرو، كيليان مبابي وبدرجة أقل أسماء من نوعية سيسك فابريغاس وبول بوغبا وإيسكو ورحيم ستيرلينغ وآخرين.

الدليل الحي

وما يعكس قيمة الجائزة وتأثيرها السريع على المحظوظ بها، الضجة الكبير التي أثيرت حول آخر من توج بها، والإشارة إلى اليافع الهولندي ماتياس دي ليخت، الذي يملك فيوتشر لتحقيق ما عجز الجميع عن فعله منذ تدشين الجائزة، بالفوز بها أكثر من مرة، بعد دخوله قائمة المرشحين للفوز بها مرة أخرى هذا العام وهو بعمر 20 عاما، ونتذكر ما حدث معه بعد حصوله على الجائزة في ديسمبر/كانون الأول الماضي لعروضه الرائعة مع فريقه الهولندي، ولم يكتف بذلك، بل انفجرت موهبته في النصف الثاني من الموسم الماضي، وجسد ذلك في مبارياته الهوليودية أمام ريال مدريد ويوفنتوس في الأدوار الإقصائية لدوري أبطال أوروبا في الموسم الاستثنائي لأياكس، ليتحول في غضون أسابيع قليلة لواحد من أهم أهداف عمالقة أوروبا، والجميع تابع الصراع الثلاثي عليه بين اليوفي وبرشلونة وباريس سان جيرمان، الذي حسمه عملاق الكرة الإيطالية مقابل رسوم تخطت حاجز الـ70 مليون يورو، فقط مشكلته الوحيدة في الوقت الراهن، أنه لم يتكيف بعد على أجواء جنة كرة القدم المختلفة عن الأراضي المنخفضة، ويظهر ذلك بوضوح في بعض هفواته الفردية، كما فعل في لقطة لمسة اليد داخل منطقة الجزاء أمام الإنتر التي احتسبت ركلة جزاء وسجل منها لاوتارو مارتينز هدفا للأفاعي، لكن من حسن حظه، أن أمور الفريق تسير على ما يرام، بتصدر أندية السيريا آه وكذلك مجموعته في أعرق بطولات أوروبا، لذا من الصعب جدا التقليل من فرصه في الاحتفاظ بالجائزة للعام الثاني على التوالي، بالنظر لتأثيره مع فريقه السابق وكذلك منتخب بلاده في أشهر الحسم في الموسم.

مرشح آخر لا يستهان به

واحد من أكثر الأسماء المرشحة فوق العادة للقبض على الجائزة، الشاب البرتغالي جواو فيليكس، بعد توهجه مع بنفيكا الموسم الماضي، إذ تمكن من تسجيل 15 هدفا من مشاركته في 26 مباراة مع فريقه البرتغالي السابق، أضف إلى أننا نتحدث عن أصغر مراهق في التاريخ يُسجل «هاتريك» في دوري الأبطال، لذلك تسابقت الأندية الأوروبية الكبرى على ضمه، وفي نهاية المطاف، غامر التشولو سيميوني بإنفاق 126 مليون يورو لضمه من بنفيكا، ما جعله أغلى صفقة في تاريخ الهنود الحمر، وثاني أغلى مراهق بعد مشروع الأسطورة كيليان مبابي، وقبل تعرضه لإصابته الأخيرة على مستوى الكاحل التي ستعيقه عن اللعب في الأسابيع القليلة المقبلة، قدم أوراق اعتماده كمهاجم سوبر بأتم معنى الكلمة، لمرونته في القيام بدور رأس الحربة الصريح رقم (9) كما يريد أي مدرب، وبنفس الجودة والكفاءة يُجيد في مركز المهاجم الزائف بجانب دييغو كوستا أو ألفارو موراتا، فهو أولاً من النوع الذي يعرف أساسيات المهاجم الصندوق، من استلام تحت ضغط مع دوران وتسليم الكرة للخالي من الرقابة على الأطراف لفتح الملعب، كما يتعامل مع العرضيات بأريحية بكلتا القدمين والرأس، بالإضافة إلى ذلك يمتاز بعنصر السرعة التي تعطيه أفضلية على المدافعين في سباقات السرعة، ويظهر ذلك بوضوح عندما يتلقى تمريرة في ظهر المدافعين. وبوجه عام، يمكن القول أن ما قدمه مع الأتلتي في الأشهر الثلاثة الماضية، أثبت بشكل لا لبس فيه أن التشولو كان على صواب بإنفاق هذا المبلغ في مهاجم يملك كل المقاومات والموهبة ما يكفي ليكون من صفوة مهاجمي أوروبا في المستقبل القريب، لذلك لن تكون مفاجأة إذا أعلن اسمه يوم 21 ديسمبر/كانون الأول، كفائز بالغولدن بوي لعام 2019.

الساحر البريطاني

من الأسماء الأخرى المرشحة بقوة لنيل الجائزة، الساحر البريطاني جادون سانشو، الذي فاز برهان الخروج من جنة الفيلسوف بيب غواردیولا مع مانشستر سيتي، وقبول تحدي اللعب مع منجم المواهب في بوروسيا دورتموند، ربما موسمه الأول مر مرور الكرام، لكن سرعان ما أظهر نواياه بوضوح في الموسم الثاني، بعد حصوله على فرصته كاملة مع الفريق الأول لأسود الفيستيفاليا، لتنفجر موهبته في المراوغة والانطلاق بنكهة نجوم أمريكا اللاتينية، ويتجلى ذلك في جرأته في المواجهات المباشرة مع المدافعين، تراه دائما لا يهاب المبارزة، وقدرته في التحكم بالكرة وتغيير اتجاهاته في جزء من الثانية، كفيل بتصدير كل أنواع الذعر الكروي لمنافسيه، باختصار، هو مراوغ بامتياز سواء من الثبات أو في انطلاقه بالكرة، وهذا النوع من المواهب، يعطي زملاءه ثقة كبيرة في الثلث الأخير من الملعب، لقدرته على صنع الفارق في أي لحظة، إما بتمريرة حريرية في قلب الدفاع أو بقرار جرئ ببعثرة كل من يقابله، وهذا ما يفعله مع دورتموند منذ الموسم الماضي، وجعله هدفاً لكثير من عمالقة أوروبا وإنكلترا، أبرزهم وأكثرهم طمعا في اقتنائه مانشستر يونايتد، ويُقال إن إد وودوارد يرصد أكثر من 100 مليون جنيه إسترليني لضمه في سوق الانتقالات الشتوية، رغم فشل المحاولة الصيفية لتمسك لوسيان فافر بجوهرته البريطانية.

رونالدو النرويجي والبقية

تضم القائمة المكونة من 20 جوهرة صاعدة، اكتشافات أخرى لا تقل جودة عن الأسماء السابقة، على سبيل المثال هذا الموسم، منها هدف في شباك ليفربول في دوري الأبطال وآخر في نابولي، تأكيدا أن أرقامه المرعبة في النرويج لم تكن من فراغ أو ضربة حظ، كما فعل بتسجيل هدفه الأول مع الفريق بعد 6 دقائق من مشاركته كبديل، وتسجيل 4 أهداف في مرمى بيرن في ظرف 21 دقيقة، ويفعل ذلك ببنية جسدية تجعله يبدو وكأنه كتلة من الحديد، تماما مثل كريستيانو رونالدو. وهذه النوعية من المهاجمين الأقوياء، مع موهبة فطرية في التعامل مع الكرة بشتى الطرق داخل منطقة الجزاء وعلى حدودها، ليست لديه مشكلة في دك شباك المنافسين بكلتا القدمين، أما رأسه، فيضرب بها مثل الرصاص، ومن الصعب الفوز عليه في أي التحام فضائي، وأيضاً على الأرض، يملك تحكما جيدا جدا بالكرة رغم طوله الفارع، وهذه ميزة قلما تجدها في اللاعب المهاجم، مثل زلاتان إبراهيموفيتش. وأكثر ما يميزه على الإطلاق استغلاله شبه المثالي للفرص، ربما لو أتيحت له 10 فرص سيسجل منها تسعة، ليكرر ما فعله في ليلته التاريخية أمام الهندوراس في كأس العالم للشباب، التي خرج منها بتسعة أهداف ساعدته على الفوز بجائزة هداف البطولة.

ويتساوى مع نجل لاعب ليدز ومانشستر سيتي السابق ألف إنغه هالاند في الفرص، قنبلة برشلونة انسو فاتي، الذي خطف الأنظار بشدة بعروضه الخيالية مع برشلونة، التي جعلت الاتحاد الإسباني يبادر بتجنيسه قبل البرتغال، وأيضا من الصعب جدا استبعاد خليفة إيدين هازارد في تشلسي، والحديث عن الموهوب الإنكليزي ماسون ماونت، بعدما استغل فرصة العمر مع فرانك لامبارد في فريق تشلسي الأول، بعد التجربة الأولى بينهما في دربي، وأدائه المميز وتأثيره في نتائج البلوز، ساعده على الوصول سريعا للتشكيلة الأساسية لمنتخب غاريث ساوثغيت، وإلى الآن يواصل عروضه الرائعة برفقة تامي آبراهام وبقية شباب النادي، الذين أثبتوا أن عقوبة الحظر لم تؤثر على البلوز، بل العكس ببناء فريق قوي للمستقبل، وبنسبة أقل يأتي الدربدي جونيور فينيسيوس، لسوء حظه مع لعنة الإصابات، التي قضت على موسمه الأول مع اللوس بلانكوس في أوج لحظاته مع المدرب سانتياغو سولاري، ومنذ قدوم زيدان، وهو يكافح لاستعادة مكانه في التشكيلة الأساسية، لذلك، بنسبة كبيرة لن يخرج اسم الفائز عن الأسماء الأولى.

الشاب النرويجي إرلينغ هالاند، مهاجم ريد بول سالزبورغ النمساوي، الذي اكتشفه أوليه غونار سولشاير في فترة قيادته لنادي مولده النرويجي، قبل أن يشق طريقه نحو النمسا، ليكشر عن أنيابه بتسجيل 21 هدفا من مشاركته في 18 مباراة

سانشو نجم دورتموند ومنتخب انكلترا من أبرز الواعدين

بطولة كأس الخليج العربي مستمرة بقوة وفوائدها جمة

الدوحة ـ «القدس العربي»:

مهما كانت العوائق والعقبات، لم تنقطع أبداً بطولة كأس الخليج العربي لكرة القدم، على مدى نحو 5 عقود، وتصبح من البطولات الأكثر تشويقاً وحضوراً في المنطقة، بمن حضر ولا يهم من يغيب. فرغم إقامة النسخة المقبلة قبل كأس العالم 2022 بثلاث سنوات، ستحظى كأس الخليج الرابعة والعشرين (خليجي 24) بمذاق مونديالي على أرض الدوحة.

وأجريت قرعة «خليجي 24» يوم الأربعاء الماضي في العاصمة القطرية الدوحة، حيث تستضيف قطر فعاليات البطولة من 24 تشرين الثاني/نوفمبر إلى السادس من كانون الأول/ديسمبر المقبلين. وتشارك في البطولة منتخبات قطر ممثل البلد المضيف والكويت صاحب الرقم القياسي في عدد مرات الفوز باللقب (عشرة ألقاب) وعمان حامل اللقب والعراق الفائزة باللقب ثلاث مرات إضافة للمنتخب اليمني. وفي المقابل، تغيب منتخبات السعودية والإمارات والبحرين عن هذه النسخة على خلفية قرار المقاطعة الصادر من البلدان الثلاثة ومعهم مصر ضد قطر.

ورغم غياب المنتخبات الثلاثة عن هذه النسخة، تتسم «خليجي 24» بصبغة خاصة عن باقي النسخ، حيث تأتي في إطار التجارب المهمة والكبيرة لقطر على طريق الاستعداد لمونديال 2022. وتكتسب الأهمية الكبيرة نظرا لأنها تأتي في نفس التوقيت الذي ستقام فيه فعاليات المونديال القطري والمقرر من 21 نوفمبر إلى 18 ديسمبر 2022. ومن ثم، تعتبر «خليجي 24» تجربة مهمة لاختبار الناحية التنظيمية، من ناحية التوقيت والطقس وغيره لمنح المنظمين في قطر المزيد من الخبرات التراكمية. كما تأتي هذه البطولة قبل أيام من تنظيم قطر لبطولة أخرى كبيرة وهي كأس العالم للأندية، والتي تقام بمشاركة سبعة أندية من مختلف قارات العالم، ما يعني إقامة بطولتين كبيرتين متتاليتين في غضون أسابيع قليلة، ولا يفصل بينهما سوى أيام قليلة، حيث تنطلق فعاليات مونديال الأندية في 11 ديسمبر. وينتظر أن يمنح هذا المنظمين في قطر تجربة مكثفة لاختبار القدرات التنظيمية، وفي مقدمتها قدرة المتطوعين على التعامل مع هذه البطولات الكبيرة من ناحية، وتوالي المباريات من ناحية أخرى، لتكون البطولتان بالفعل بمثابة البديل الجيد لبطولة القارات التي تنظمها الدولة المضيفة للمونديال في العام الذي يسبق المونديال، لكنها لن تقام في 2021 بقطر نظرا لإقامة مونديال 2022 في فصل الشتاء. كما أكد خالد الكواري مدير إدارة التسويق باللجنة المنظمة لـ«خليجي 24»، أن توالي البطولتان يخدم كليهما من الناحية التسويقية كونهما ذات طبيعتين مختلفتين ومن البطولات التي تحظى بشعبية كبيرة. وكانت قطر فازت بحق استضافة مونديال الأندية في نسختيه الأخيرتين بشكله الحالي، وذلك في 2019 و2020 قبل إقامة البطولة بشكل مختلف بداية من 2021.

ومع إقامة «خليجي 24» قبل مونديال الأندية 2019 مباشرة، ستكون الفرصة سانحة أمام المنظمين لتجربة كافة جوانب التنظيم على فترة ممتدة لنحو أربعة أسابيع متتالية. ومن بين الأمور التي ستتم تجربتها خلال هذه النسخة بالتأكيد ستكون تقنية حكم الفيديو المساعد (فار) التي تشهدها بطولة الخليج للمرة الأولى. ويضاعف من فوائد تنظيم البطولة الخليجية على مستوى الاستعداد للمونديال أنها ستقام على استاد «خليفة الدولي» أحد الاستادات المضيفة لمونديال 2022. وكان المشاركون في بطولة العالم 2019 لألعاب القوى، التي استضافتها قطر قبل أسابيع قليلة، أشادوا بهذا الاستاد وخاصة بتقنيات التبريد المبتكرة المستخدمة فيه. واعترف سيباستيان كو رئيس الاتحاد الدولي لألعاب القوى والنرويجي سفين آرنه هانسن والفرنسي لوران بوكيليه الرئيس التنفيذي لبطولة أوروبا المقبلة لألعاب القوى (باريس 2020) بأن تقنية التبريد في استاد خليفة ساهمت في الارتقاء بمستوى أداء الرياضيين والرياضيات. بل وتمنى لوران بوكيليه لو أن لديه هذه الإمكانات قبل بطولة أوروبا المقبلة ليستخدم نفس تقنية التبريد في الاستاد الذي ستقام عليه البطولة. كما أكد جاني ميرلو رئيس الاتحاد الدولي للصحافة الرياضية، في مقابلة مطولة مع صحيفة «لوسيل» القطرية، أن قطر ستنظم بطولة استثنائية ومتميزة في مونديال 2022. وقال ميرلو: «بعد نجاح قطر في تنظيم العديد من البطولات الرياضية، فإنها قادرة على استضافة بطولة مميزة في مونديال 2022». كما أشار العماني جاسم الشكيلي نائب رئيس الاتحاد الخليجي لكرة القدم، خلال المؤتمر الصحفي عقب قرعة «خليجي 24»: «قطر عودتنا دائما على استضافة متميزة للبطولات التي تنظمها، وننتظر هذا في خليجي 24... البطولة والحدث الأكبر أيضا سيكون مونديال 2022». كما تمثل «خليجي 24» محطة مهمة على مستوى استعدادات المنتخب القطري (العنابي) لبطولة كأس العالم. وكان «العنابي» استهل العام الجاري بإحراز لقب كأس آسيا للمرة الأولى في تاريخه، حيث توج بلقب النسخة التي استضافتها الإمارات مطلع العام الجاري بعدما قدم عروضا متميزة وحقق عدة أرقام قياسية على مدار البطولة. وإذا نجح «العنابي» في مواصلة عروضه القوية هذا العام من خلال «خليجي 24» وظهر فريق السد بشكل جيد في مونديال الأندية، ستكون دفعة قوية للأعبي «العنابي» قبل ثلاث سنوات على المونديال.

قانون العدل المالي «حيلة» خاسرة لكبح جماح السيتي وسان جيرمان!

تعرضت أندية أوروبية عدة في السنوات الأخيرة لعقوبات، تنوعت بين المادية والحرمان من المشاركة في احدى المسابقتين الأوروبيتين، كان آخرها ميلان الايطالي الذي حرم من المشاركة في الدوري الأوروبي، تحت طائلة «قانون العدل المالي»، الذي من المفترض أنه يحمي الأندية من الغوص في ديون، وحمايتها من الافلاس، لكن كيف يمكن لهذا القانون أن يكون مفعوله سلبيا مع أندية ملاكها أثرياء مثل مانشستر سيتي وباريس سان جيرمان؟

في موسم 2007/2008، كان عشاق مانشستر سيتي ينتظرون انتهاء هذا الموسم الكارثي على أحر من الجمر، فالمباراة الأخيرة في الموسم شهدت خسارة «السيتيزينز» تحت ادارة السويدي زفن غوران ايركسون 8/1 أمام المكافح ميدلزبره، رغم ان ذلك الموسم بدأ بتفاؤل كبير على وقع الوعود من الملاك الجديد التايلندي تاكسين شيناوات، بانفاق غير محدود على ضم نجوم جدد، مثلما فعل بضم بيانكي وكاسيدو وايلانو. ورغم اخفاقهم النسبي الا ان مشكلة أثيرت حول مصدر أموال شيناوات، حيث اتضح لاحقاً ان السيتي اقترض 46 مليون جنيه استرليني وبنسبة فوائد بلغت 10 ملايين و700 ألف، قبل ان يتم ربط شيناوات بشبهات فساد في بلاده، ليدخل الشيخ منصور بن زايد على الخط وينقذ النادي على أكثر من صعيد. حيث بدأ حقبة ملكيته في موسم 2009/2008 بضم أحد أبرز المهاجمين في العالم حينها، البرازيلي روبينيو، وحاول ضم مواطنه كاكا أيضاً، لتتضخم قيمة الانفاق بصورة هائلة في السيتي، خصوصاً بعد رفع رواتب اللاعبين إلى أرقام غير مسبوقة. فبعدما كان السيتي يحقق ربحا بقيمة 17 مليونا في 2006، أصبح يحقق خسارات كبيرة، بلغت 190 مليون استرليني في 2011. لكن هذه الخسارات كانت محمولة للمالك الجديد، حيث اعتبرها «قروضا بدون فوائد»، ولو كان قانون العدل المالي معمولاً به في ذلك الوقت، لما نجح هذا الاستثمار. خصوصا ان المالك الاماراتي ضخ في النادي ما يقارب من مليار و200 مليون جنيه استرليني لجعل النادي قوة بين النخبة.

لكن هذه النخبة، والتي بينها، ماشستر يونايتد، جار السيتي، وريال مدريد وبايرن ميونيخ، لم يعجبها الحال، وشعرت بالرهبة، فضغطت على رئيس الاتحاد الأوروبي حينذاك ميشيل بلاتيني لوضع حد لاستثمارات الأثرياء في الأندية المغمورة، كالسيتي وتشلسي وباريس سان جيرمان. وبعد شهور من البحث والاستقصاء والاجراءات القانونية، استحدث «اليويفا» قانون العدل المالي في موسم 2011–2012، قبل ان يعدل في 2013–2014 إلى قانون «تساوي المداخيل مع المصاريف»، رغم التعقيد في وصف هذا القانون، الذي وضع في كتيب من 116 صفحة، وانتقده الكثيرون، الا ان اليويفا وصفه بأنه «قانون لتحسين الأوضاع المالية لكل الكرة الأوروبية»، في حين اعتبره الناقدون «هراء وغير منطقي».

المنطق يقول ان الشركات تفلس بسبب قلة النقد والمال وليس بسبب قلة الأرباح، لكن اليويفا أصر على أن بداية القانون تكون بعدم تحقيق خسائر بأكثر من 45 مليون يورو على مدى 3 سنوات، على ألا تتعدى الخسائر 30 مليون يورو بنهاية موسم 2015/2016. ونموذج «تساوي المداخيل والمصاريف» هذا يعني «الارباح ناقص المصاريف»، والأندية عادة لديها ثلاثة مصادر للدخل، الاول مداخيل يوم المباراة، والثاني النقل التليفزيوني، والثالث النشاط التجاري. وبالنسبة للمصدرين الاول والثاني من الصعب التلاعب بأرقامهما، لكن المصدر الثالث يختلف، كونه يتعلق بالنادي ذاته، وبقدرته على عقد صفقات تجارية. فمثلاً قبل ملكية أبوظبي للسيتي كان الفارق شاسعاً بين مداخيل الجار مانشستر يونايتد التجارية ومداخيل السيتي، بفضل نجاحات يونايتد في الملعب وشعبيته الجارفة حول العالم، ولذلك كانت الدهشة عندما نجح السيتي، المغمور حينها، في عقد صفقة كبيرة مع طيران «الاتحاد» في 2009، التي ساهمت في رفع مداخيل النادي 126%، وفي 2011 زادت المداخيل عندما تحول اسم الاستاد من «سيتي أوف مانشستر» إلى استاد «الاتحاد»، والعقد أبرم على عشر سنوات وبقيمة 400 مليون استرليني، وشمل أيضا رعاية قمصان الفريق، علما أن في ذلك الوقت، بلغ أكبر عقد لبيع اسم استاد، 2.8 مليون استرليني سنويا، لأرسنال عندما أصبح اسم ملعبه «استاد الامارات»، فيما حاولت أندية عدة للحفاظ بعقد أفضل وفشلت. ولهذا السبب فتحت الأعين على السيتي، ووجهت اليه اتهامات بان صفقة «الاتحاد» ليست سوى وسيلة لخفض قيمة الخسائر ومساعدته على تفادي العقوبات بسبب قانون العدل المالي. وبفضل صفقة «الاتحاد» أصبح السيتي ثاني أعلى الاندية دخلاً في البريميرليغ، والخامس بين كل أندية العالم.

وبعد شكاوى عدة، تدخل اليويفا بوضع قوانين تحد من صفقات بين مالك النادي وشركاته أو شركات أقربائه، كما استحدث هيئة لمراقبة قيمة الصفقات للتأكد من عدم تضخيمها، ورغم حذر السيتي، الا انه وجهت اليه تحذيرات في 2014 على صفقاته التجارية، قبل تغريمه 49 مليون استرليني، يستعيد السيتي ثلثيها في حال طور من نموذجه التجاري، ومنعه من زيادة مجموع رواتبه لمدة موسمين، وتقليص عدد لاعبيه المشاركين في دوري أبطال أوروبا من 25 إلى 21 لاعباً. ونفذ السيتي كل هذه العقوبات، علما ان مجموع رواتبه قفزت من 36 مليوناً في عهد شيناوات في 2007 إلى 233 مليوناً في 2013، وجمدت إلى أن عين غواردیولا مدربا في 2017 واصبحت 244 مليوناً. وعانى سان جيرمان من العقوبات ذاتها، في خطوة اعتبرت انتصارا لأندية النخبة التقليدية، لكن المستفيد الأكبر هم المحامون والمحاسبون، فبعد قضايا وشكاوى عدة، اقتنع اليويفا بـ«راحة» قانون العدل المالي في 2015. فعاد السيتي وسان جيرمان إلى الانفاق، بل باتت صفقة السيتي و«الاتحاد» تبدو منطقية اليوم في ظل نجاحات السيتي الكاسحة في الكرة الانكليزية وارتفاع شعبيته حول العالم، مقارنة بما كان عليه في 2011 لحظة توقيع الاتفاق، لتفشل النخبة في استخدام حيلة هذا القانون للحد من نجاح الطموحين.

@khaldounElcheik

مجتمع

ساهمت في اكتشاف آثار إيبلا

إيزابيلا تشياري إيطالية تحتضن السوريين في تركيا

أمير رضوان

مع وصول أعداد غفيرة من اللاجئين السوريين إلى تركيا وتجاوزها 3 ملايين لاجئ، خلال سنوات الحرب والتهجير في بلادهم، باتت الحاجة إلى الدعم ركيزة أساسية لتأمين احتياجات كل هؤلاء، وعلى كل الصعد. إذ لا يقتصر الأمر على الإغاثة العاجلة كالطبابة والغذاء، بل يتعداه إلى حاجات نفسية واجتماعية وثقافية أكثر شمولاً وأبعد استراتيجياً.

بصمة إيطالية

تمكنت سيدة إيطالية من تقديم خدمات كثيرة للاجئين السوريين على الأراضي التركية خلال أعوام قليلة، ما أكسبها شهرة واسعة بين السوريين المقيمين في ولاية كيليس جنوب غربي تركيا، وجعلها شخصية بارزة في مجال العمل الإنساني، في ظل انتشار واسع للمنظمات الأجنبية والإقليمية والمحلية المعنية بأوضاع السوريين في دول الجوار السوري.

إيزابيلا تشياري اختارت مدينة كيليس تحديداً بسبب تركز السوريين فيها بأعداد كبيرة، حيث تبلغ قرابة 140 ألف نسمة، وبنسبة مواليد تتزايد لتصل إلى أكثر من 4000 خلال عام 2018. كما تبلغ نسبة السوريين فيها حوالي نصف عدد قاطني المدينة، بالإضافة لقربها من الحدود مع سوريا، فهي تقع على الطرف التركي المقابل لمدينة اعزاز السورية شمال حلب. وعن كيليس تقول إيزابيلا: «تجربتي في ولاية كيليس في تركيا فتحت أمامي عالماً جديداً وسمحت لي بأن أعيش مع الناس وأن أشاركهم آمالهم وآلامهم وطموحاتهم وجهودهم لبناء حاضر ومستقبل بعيد عن الحرب».

بدايات العمل الإنساني

قالت إيزابيلا لـ«القدس العربي» إنها كانت تأتي إلى سوريا باستمرار قبل عام 2011 وقد أسهمت مع فريق جامعي إيطالي في اكتشاف آثار إيبلا الشهيرة في سوريا.

وأضافت أنها تعلمت اللغة العربية بسبب حبها لسوريا، موضحة أنها تركت سوريا مع اندلاع الثورة عام 2011 وقررت دعم اللاجئين السوريين «بدون تردد» على حد تعبيرها.

وعن بداية عملها في المجال الإنساني، تقول بدأ من خلال مساعدتها لفرق إنسانية كانت تعمل في معبر باب السلامة الحدودي مع تركيا، حيث كان المعبر نقطة تمركز المنظمات الإنسانية العاملة في الشمال السوري منذ عام 2011 وحتى يومنا هذا.

وأشارت إلى أنها بدأت تهتم بالشأن التعليمي بإمكانيات بسيطة مع عدم توفر الكتب للأطفال حينها، حيث شعرت بوجود أهمية قصوى لتعليم الأطفال المنقطعين عن الدراسة خلال أعوام الحرب الطويلة.

وتابعت أنها منذ تأسيس المنظمة عام 2013 تأتي إلى تركيا وتبقى فيها ستة أشهر كل عام، فهي تتنقل باستمرار من إيطاليا إلى تركيا وكلما انتهت صلاحية إقامتها، وتعود وتجددها.

إنشاء المنظمة

قالت إيزابيلا إنها رأت الأطفال السوريين يكبرون بلا تعليم، وكثير من اللاجئين مشردين بين دول العالم بسبب «الأطماع والخلافات السياسية» واصفة ذلك المشهد بعبارة «فلتسقط السياسة ولتحيا الإنسانية» مشيرة إلى أنها زارت مخيمات النازحين واللاجئين داخل وخارج سوريا وشاركتهم بعض الأنشطة الترفيهية، لتتطور الفكرة فيما بعد وتتحول إلى عمل منظم بكوادر وخطط، وتلخص ذلك بالقول إن «الأطفال فقدوا منازلهم ومدارسهم وأصدقائهم والنساء فقدوا أمنهم واستقرارهم والرجال فقدوا لقمة عيشهم وحريتهم. فأين تكمن متعة الحياة وكيف نسعد ونحن نرى إخوتنا في هذه المآسي؟».

العمل على الأرض

وحول أنشطتها الحالية، أردفت قائلة إن أنشطة منظمتها «الأمل» تشمل عدة مجالات، منها أنشطة للأطفال والنساء.

وتعتبر إيزابيلا من الشخصيات الأكثر حضوراً على الأرض بين العاملين في هذا الشأن، وتنشر صورها باستمرار على مواقع التواصل الاجتماعي تشارك خلالها في المناسبات المختلفة وتخالط جميع من يعملون معها أو يستفيدون من أعمالها.

سألناها عن مصدر الدعم الذي تحصل عليه، فأجابت قائلة إن ذلك يتم بواسطة حملات تبرعات أو أسواق خيرية تقام في مدن إيطالية عدة أهمها العاصمة روما، تمكنها من تقديم تمويل لأعمالها وصفته بـ«البسيطة» ثم تأتي بذلك الدعم إلى مكاتب منظمتها في مدن الجنوب التركي، وتحديداً غازي عينتاب وكيليس. تحدثت بلغة عربية ضعيفة لكنها مفهومة، بالإضافة لحديثها باللغتين الإيطالية والإنكليزية، وفي هذا الإطار تقول إنها استفادت في تعلم اللغة العربية عبر زياراتها لسوريا قبل الحرب ومخالطتها بشكل مستمر للسوريين في تركيا بعد ذلك، وهي تجوب الدول الأوروبية باحثة عن دعم لمشاريعها، من خلال حضور مؤتمرات ولقاء شخصيات مرتبطة بالشأن الإنساني والتعليمي.

وقفات

لاحظنا أنها تنتقد بشدة العنف ضد الأطفال، وتكاد تحظر ذلك في مؤسساتها، وترى أن ذلك يهدد سلوكهم ويجعلهم أكثر عرضة للاضطراب النفسي فوق ما يعانيه الأطفال أصلاً من ويلات الحرب والتهجير والفقر.

وعلمنا من خلال الحضور في مراكز عملها، ومحتوى منشوراتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أن الأنشطة تتنوع بين الرسم والرياضة والتعليم والترفيه، وتحظى بتفاعل واسع من الأطفال الذين يشاركون بالعشرات، ويتقبل الأهالي الفكرة مع حاجة أطفالهم للترويح عن أنفسهم بعيداً عن ذكريات الحرب، والمشاهد الصادمة المتكررة على شاشات التلفزيون ومواقع التواصل.

واوضحت إيزابيلا لـ«القدس العربي» أن عدد المستفيدين من خدمات المنظمة في عموم تركيا وصل إلى أكثر من 3000 شخص معظمهم أطفال ونساء، بيد أن نسبة الأطفال تجاوزت 65 في المئة.

ملف الاندماج

أما عن الأهالي فرأيناهم يشاركون في أنشطة المنظمة ويساعدون إيزابيلا ويدعمونها في المقابل، في موقف لافت، إذ أن المعتاد هو المساعدة من طرف واحد عبر تطبيق فرضية (الدعم من المنظمة والاستفادة من المحتاجين للدعم).

وحول مسألة اندماج السوريين مع الأتراك، الشغل الشاغل للمنظمات الدولية والمؤسسات التركية كافة، تعمل منظمة «الأمل» على إقامة أنشطة توعوية حول الاندماج، خاصة مع طول مكوث السوريين في تركيا، إذ يوجد بعضهم في ولاية مثل كيليس منذ العام 2012.

والاندماج مسألة يطلبها الجميع هنا في تركيا، أول خطواتها كسر حاجز اللغة بين الأتراك والعرب، وتقبّل جميع سكان الولايات لعادات وتقاليد بعضهم البعض، واستيعاب التنوع للتخفيف من وقوع حوادث عنصرية يراها ويسمعها باستمرار من يتابع أخبار السوريين في تركيا.

زكريا أحد أعضاء المنظمة، سألناه عن الأنشطة الرياضية فأجاب بالقول: «إيماناً منا بأن العقل السليم في الجسم السليم نهتم كثيراً برياضة الأطفال، حيث نقدم نشاطات في كرة القدم وكرة السلة وكرة الطاولة بالإضافة لتدريبات اللياقة البدنية، أكثر ما نهتم به ما يحبه الأطفال حيث اللعبة الشعبية للكثيرين (كرة القدم) لدينا فريق أشبال وناشئين باسم فريق الأمل، ندربهم في ملعب دولي بشكل شبه يومي، ونشرف على دورة المحبة لكرة القدم في مدينة كيليس التي تقام سنوياً ويشارك فيها ما يقارب عشرة فرق من جمعيات ومنظمات في المنطقة وتستمر لمدة شهر كامل».

مواقف طريفة

سألنا إيزابيلا عن المواقف الطريفة التي حدثت معها خلال عملها الطويل بين اللاجئين، فأجابت: «أطفال صغار كانوا يرتادون بيت الأمل منذ عام 2013 وهم في المرحلة الابتدائية وقد أصبحوا الآن شباباً وفتيات في المرحلة الثانوية ومازالوا يزورون بيت الأمل بشكل دائم وكأن قلوبهم معلقة به، لقد أحبوه كثيراً وكانوا ينتظرون انصرافهم من المدرسة ليأتوا إليه ويلعبوا ويمرحوا ويفرحوا ويتعلموا، وأجمل ما كنت أسمعه من كلامهم البريء عندما كانوا يتهامسون فيما بينهم: (لا نريد أن نذهب لبيوتنا نريد أن نبقى في بيت الأمل (المنظمة) متى سيأتي الغد لنعود إلى هنا؟)».

وأضافت: «من الأشياء الجميلة أيضاً الحفلات التي كنا نقيمها سنوياً إما بمناسبة ذكرى تأسيس بيت الأمل أو بإفطار رمضاني أو في نهاية النادي الصيفي، حيث أجمل الذكريات كانت في أوقات التدريب لهذه الحفلات، فبالرغم من التعب الشديد حينها إلا أننا كنا نستمتع كثيراً وخصوصاً عندما نلاقي ثمار تعبنا، فقد علمنا بعض الأطفال أغانٍ باللغة التركية وأخرى بالإيطالية والمفاجأة أن لهجتهم فيها كانت رائعة وأحبوها كثيراً».

تحديات العمل

سردت إيزابيلا جملة مصاعب تواجه عملها في تركيا، أهمها «الروتين الصارم للجمعيات في تركيا» وندرة المنظمات الدولية التي تتابع أحوال السوريين في حي «قرطاش» في ولاية كيليس في مجالات «الدعم النفسي، ترفيه الأطفال، التعليم، الثقافة، الاندماج.. الخ».

ونوّهت إلى أن المنطقة تحتاج لكثير من الدعم مع الصعوبات المعيشية والاجتماعية التي يعانيها قاطنوها، كما طالبت الجهات الداعمة بالتعاون في سبيل إنجاز مشاريع مستقبلية.

آمال للمستقبل

وتأمل الإيطالية كثيرة الحركة، أن تستمر في العمل في المنطقة التي تحبها من كيليس، حي «قرطاش» حيث تنتشر أعداد كبيرة من السوريين ذوي الدخل المحدود، يعمل معظمهم في أعمال شاقة ومهن مختلفة لتأمين احتياجاتهم الأساسية، كما تطمح لتطوير فرص العمل التي ترى أنها أكبر مشكلة تواجه السوريين حالياً، مع شحها في ولاية كيليس، الأمر الذي دفع بالكثير من الشبان والعائلات للرحيل صوب التجمعات الصناعية والمدن الكبرى في العمق التركي.

مرقة السمك بالفريكة

المقادير

نصف كوب من الزيت النباتيّ
بصلتان مفرومتان فرماً ناعماً
ربع كوب من الكزبرة الخضراء المفرومة فرماً ناعماً
كوب من الفريكة المغسولة والمنظفة
أربع ملاعق كبيرة من رب البندورة
حبتان من البندورة مقشرتان ومفرومتان فرماً ناعماً
خمسة أكواب من الماء الساخن
حبتان من الجزر مقشرتان ومقطعتان إلى مكعباتٍ متوسطة الحجم
كوبٌ من الأرضي شوكي المقطع إلى قطع صغيرة الحجم
قطعتان من فيليه السمك مقطعتان إلى قطعٍ متوسطة الحجم
ملعقة كبيرة من البهار المشكل
مكعب مرقة الدجاج

طريقة التحضير

نضع الزيت النباتيّ، والبصل في طنجرة على النار ونحرك حتّى يذبل البصل، ثم نضيف الكزبرة الخضراء ونحركها جيداً.

نضيف رب البندورة، والبندورة المفرومة، والفريكة إلى الخليط ونحرك جيداً، ثم نضيف الماء، ومكعب مرقة الدجاج مع الاستمرار في التحريك، ثم نترك الخليط على نارٍ هادئة لمدة عشرين دقيقة.

نضيف الجزر، والأرضي شوكي، والسمك، والبهار المشكل، ونخلط جيداً، ثم نترك الخليط على نارٍ هادئة مدّة عشرين دقيقةً، أو حتّى ينضج السمك تماماً.

نرفع المرقة عن النار، ونضعها في طبق التقديم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الحميض

يعرف أيضاً بالحماض والحامض والحميز ويندرج تحت جنس الفصيلة العقدية. وهو عشب نباتي ثنائي الحول يمتاز بلونه الأخضر الأملس، ينمو عادة في الجبال والوديان والمنحدرات الرملية أو الصخرية، وهو لا ينبت إلا بعد هطول مطر يسقي الأرض. وقد ينمو في الأماكن الظليلة، حيث تعترش نبتته وتزحف على الأرض مادة جذورها من محل إلى آخر، ورافعة سويقاتها الخضراء البالغ طولها من 10 إلى 30 سم، له سيقان متفرعة من القاعدة الخضراء، وتكون قاعدته في بعض الأحيان حمراء اللون، يمتاز بأوراق خضراء طرية وهو له مذاق حامض. وله أكثر من 200 نوع مختلف ومنها الحمّاض الأصفر والمجعد والحمّاض البري والمائي وحمّاض الغنم.

للحميض فوائد طبية وقد عرفه العشابون واستخدموه منذ قديم الزمان للتداوي من بعض المشاكل الصحية، فهو يحتوي الحماض على مركبات الفلافونويد التي أثبتت الدراسات الحديثة أهميتها في علاج التقرحات، كما أنه يحتوي على فيتامين سي الذي يساعد على نضارة البشرة ومحاربة تقدم سن البشرة بالإضافة إلى خصائصه العشبية كمضاد للالتهاب والفطريات والبكتيريا.

ويحتوي على حمض الأكساليك الذي يستخدم بكميات ضئيلة لمحاربة الأورام السرطانية والقضاء على الأجزاء الحرة المسببة للأورام فهو مصدر جيد لفيتامين ب9 كما تحتوي أوراقه على مادة الكلوروفيل والكاروتينات بالإضافة إلى العديد من الفيتامينات والمعادن والتي تلعب دورا هاما في محاربة سرطان الثدي، كما أنه يستخدم كمثبط لهرمون اللبن في عملية الفطام.

تحتوي أوراق الحماض على حمض بروتوكاتشيك المضاد للأكسدة والتي تعمل على إذابة الدهون الثلاثية الموجودة في الجسم مما يؤدي لانخفاض ضغط الدم والحفاظ على مستوى الكوليسترول وتعزيز الدورة الدموية للجسم، والتي بدورها تعمل كمدر للبول ولها تأثير مسهل، مما يساعد في تنقية السموم من الجسم.

تستخدم أوراق الحماض سواء المغلية أو موضعيا بالإضافة إلى الزيوت المفيدة مثل زيت الزيتون والخروع في حالات الأرق واضطرابات النوم كما يعمل على ارتخاء الأعصاب.

تحتوي أوراق الحماض على الكالسيوم المهم لتعزيز نمو العظام والأسنان ولتجنب هشاشة العظام.

الحماض يعتبر مصدرا هاما للحديد والصوديوم والفوسفور والذي يساعد في زيادة مستوى الهيموغلوبين في الجسم، ومفيد للأشخاص المصابين بفقر الدم، كما أن وجود فيتامين سي يعمل على تقوية الأوعية الدموية ومنع النزيف.

ولاستعمال الحميض على مائدة الطعام تفصل أوراق الحماض عن سوقها وتضاف إلى مجموعة من الأطباق.

الحمل

لا تبالغ في عنادك واستمع للأصدقاء

الثور

ضغوط في العمل من قبل بعض الإداريين

الجوزاء

هذا هو الوقت المناسب للقيام بالأعمال المؤجلة

السرطان

اليوم يدعوك إلى الاسترخاء والتمتع بالملذات

الاسد

تجربة جديدة تدّق بابك اليوم

العذراء

علاقة عاطفية قديمة تتجدد

الميزان

تنشط على مستوى التواصل وتبادل المعلومات

العقرب

تلفت أنظار الزملاء فيطلبون مساعدتك

القوس

تحتاج مخزون الطاقة لاستعادة نشاطك

الجدي

حاول حل الإشكالات مع الحبيب بهدوء

الدلو

لا تدخل مع الزملاء بنقاش يزيد الوضع سوءا

الحوت

صفحة جديدة من المواجهات المهنية فكن حذرا

جديد الطب

الأغذية الغنية بالألياف والزبادي تحمي من سرطان الرئة

أظهرت دراسة دولية حديثة، أن اتباع نظام غذائي غني بالألياف والزبادي، مرتبط بتقليل خطر إصابة الأشخاص بسرطان الرئة.

الدراسة أجراها باحثون في المركز الطبي لجامعة فاندربيلت الأميركية، بالتعاون مع باحثين من جامعة سيول الوطنية، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية (JAMA Oncology) العلمية.

وأوضح الباحثون أن دراسات سابقة رصدت فوائد النظام الغذائي الغني بالألياف واللبن الزبادي، للوقاية من أمراض القلب والأوعية الدموية وسرطان الجهاز الهضمي.

لكن الدراسة الجديدة، التي استندت إلى تحليل بيانات من دراسات شملت 1.4 مليون شخص بالغ في الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا، كشفت أن هذا النظام الغذائي قد يحمي أيضا من سرطان الرئة.

وللتوصل إلى نتائج الدراسة، تم تقسيم المشاركين إلى خمس مجموعات، بحسب كمية الألياف والزبادي التي تناولوها.

ووجد الباحثون أن المشاركين الأكثر تناولا للزبادي والألياف، انخفض لديهم خطر الإصابة بسرطان الرئة بنسبة 33 في المئة، مقارنة بمن تناولوا كميات أقل منهما.

وقال الدكتور شياو أوشو، قائد فريق البحث: «كانت العلاقة بين الوقاية من سرطان الرئة وتناول الزبادي والألياف قوية، وقد شوهدت باستمرار بين المدخنين الحاليين ومن أقلعوا عنه، إضافة إلى غير المدخنين، وكذلك بين الرجال والنساء».

وأضاف أن «الفوائد الصحية للألياف والزبادي مهمة جدا، لأنها تعزز نمو الكائنات الحية الدقيقة المفيدة في الأمعاء، وخصائص البروبيوتيك».

وتشمل الأطعمة الغنية بالألياف خضروات مثل الجزر والبطاطس والسبانخ والبروكلي والكوسا والخس والباذنجان والملفوف، كما تشمل فواكه مثل الموز والتفاح والفراولة والخوخ والبرتقال، وحبوب وبقوليات مثل القمح والبازيلاء والعدس والفاصوليا والفول والحمص.

وكانت دراسات سابقة كشفت أن اتباع نظام غذائي غني بالألياف، يؤدي إلى انخفاض خطر الإصابة بالتهاب مفصل الركبة وهشاشة العظام، ويحافظ على صحة القولون.

وأضافت أن الفتيات اللاتي يتناولن الأطعمة الغنية بالألياف بكثرة، خلال فترة المراهقة ومرحلة الشباب، يصبحن أقل عرضة لخطر الإصابة بسرطان الثدي مستقبلا.

ووفق الدراسات، فإن النساء اللاتي يتناولن أطعمة غنية بالألياف بكثرة أثناء الحمل، يقل خطر إصابة أطفالهن بمرض الربو، وحساسية الشعب الهوائية.

وسرطان الرئة، هو السبب الرئيسي للوفيات بالسرطان في الولايات المتحدة، حيث تم تسجيل أكثر من 222 ألف حالة جديدة بالمرض، وما يزيد على 155 ألف حالة وفاة بالمرض عام 2017، وفقا للمعهد القومي للسرطان في الولايات المتحدة.

الشلل الرعاش «باركنسون» ما أبرز الأعراض وكيف نقدم الدعم للمرضى؟

وجدان الربيعي

مرض لا شفاء منه وأسبابه غير معروفة، ويعتمد الخبراء والمختصون على نظريات واجتهادات لمعرفة مسبباته ومنها كبر السن، والوراثة، واللكمات والضربات المتكررة على الرأس وتصلب شرايين المخ وأسباب أخرى غير معرفة. وهو مرهق صحيا ونفسيا للمريض وعائلته ومن يرعاه ناهيك عن التكاليف المادية، حيث تكلف العلاجات سنويا ملايين الدولارات لحكومات دول غربية بينما تنعدم الخدمات الصحية لهذا المرض في دول عربية لأسباب عديدة منها عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي للبلاد مما يضطر المريض إلى تحمل أعباء المصاريف العلاجية أو الإهمال لعدم قدرته على العلاج.

فكيف يمكن أن نخفف معاناة مرضى الشلل الرعاش، وما هي أبرز أعراضه وكيفية الوقاية منه؟

دكتور أحمد عايش يونس أستاذ الأعصاب والتأهيل في كلية الطب «سانت جورج» التابعة لجامعة لندن تحدث لنا عن العديد من التفاصيل المهمة المتعلقة بالمرض وأعراضه وتشخيصه والعلاجات المتوفرة. طرحنا عليه السؤال التالي ماهو المرض؟ فأجاب قائلا:

«هو مرض يصيب الجهاز العصبي ويظهر في الأعمار ما بين 40 إلى 60 عاما وتزداد نسبة الإصابة به في المراحل المتقدمة من العمر. التسمية تعود إلى طبيب بريطاني كان أول من وصف أعراض هذا المرض بطريقة علمية في عام 1817.

يحدث المرض نتيجة نقص مادة مهمة في المخ وتعرف بالدوبامين، التي تفرز من خلايا منطقة العقد القاعدية، عندما يقل فرز هذه المادة يؤدي إلى مشاكل في الجهاز الحركي».

مضيفا: «أن الجهاز العصبي ينقسم إلى قسمين أساسيين الجهاز الحركي وهو يتحكم في الحركات الكبيرة مثل ثني الكوع والمشي، ومادة الدوبامين مسؤولة عن الحركات الدقيقة مثل المساعدة والتحكم في مسك القلم والكتابة. والجهاز العصبي الذي يحتوي على 100 مليار خلية عصبية فيها حوالي 140 مليار توصيلة عصبية. ينتج عن إفراز الدوبامين توصيل الرسائل للعضلات لتقوم بوظائفها أما من خلال الحركة الكبيرة أو الدقيقة وفي حال وجودها يعيش الإنسان بشكل طبيعي».

أما عن الأسباب فيشير بأنه لا يوجد سبب بصفة قاطعة، لكن هناك مجموعة مسببات أبرزها نقص إفراز الدوبامين وهناك نظريات تقول إن المسببات قد تكون وراثية أحيانا أو نتيجة تصلب في شرايين المخ، أو التسمم بمادة المنغنيز أو الحمى الشوكية أو نتيجة كثرة تعرض الرأس لضربات وصدمات متتالية مثلما يحدث مع الملاكمين، أو كبر السن حيث تقل مادة الدوبامين لكنها تختلف من شخص لآخر حسب الدرجة وليس كل كبار السن عرضة للإصابة بالمرض.

أعراض

يقول الدكتور يونس: «قد يظهر المرض في البداية في جانب واحد من الجسم ومع الزمن يظهر على الآخر. ومن أهم أعراضه: الرعشة في اليدين وعدم القدرة على التحكم في الكتابة والخط يصبح غير واضح، بطء الحركة، وصعوبة في المشي وأيضا صعوبة في التقلب والحركة من موضع إلى آخر أثناء النوم، واختلاف في حركة اللسان، وصعوبة في المشي وتيبس في العضلات مما يسبب معاناة في تحريك اليدين».

وتتطور الأمور عند البعض بحيث لا يستطيعون الوقوف إلا إذا وجدوا حائطا أو شيئا يستندوا عليه وتظهر تغيرات في القدرة على التحدث كأن يصبح أسرع أو أهدأ وغير مفهوم للآخرين، بالإضافة إلى أن تعبيرات الوجه تتغير ويصبح من الصعب الابتسام وتظهر حالات العبوس باستمرار.

وقد تسوء الحالة إلى خلل أو عدم التوازن ما يسبب الوقوع والكسور وغيرها من الإصابات.

علامات المراحل المتأخرة

ولا يقف الموضوع عند الأعراض السالف ذكرها فحسب، فلو تم إهمال الأمر فقد تسوء الحالة عند البعض لتصل إلى مراحل متأخرة فيتعرض المريض إلى المشاكل الذهنية مثل الإكتئاب، وفقدان الذاكرة، وصعوبة التفكير والتركيز.

ويشير إلى أن هناك أعراضا وعلامات أخرى تدل على تطور المرض وتتمثل في: مشاكل في الأمعاء والهضم والإمساك وعدم القدرة على التحكم في البول، وتأثر عضلات الرقبة ومشاكل في البلع وعدم وجود عضلات جيدة تمسك اللعاب فيخرج من الفم، وفقدان الوزن، بالإضافة إلى

العجز الجنسي حتى لو كان المريض صغيرا في السن،

وانخفاض في ضغط الدم، وزيادة التعرق، ومشاكل في النوم وشعور مستمر بالتعب، وتقارب الخطوات أثناء المشي، وانحناء الرقبة والظهر.

وتابع بالقول ان هناك أعراضا مرافقة ومنها أن يصبح خط اليد مرتعشا صغير الحروف، وثقل القدرة على دوران اليد، واختفاء معالم الوجه، وانخفاض الصوت مع البحة، والقلق، واختفاء حركة رمش العينين واحمرار في العين نتيجة لذلك، وصعوبة في البلع الإمساك واضطرابات النوم، لكن هذا لا يعني كل إنسان يتعرف على هذه المعلومات يتوقع ان يكون مريضا بالباركنسون وهذا متروك للطبيب ولا يمكن معرفة المرض إلا بعد تشخيص الحالة.

التشخيص

وحول سؤال عن كيفية كيف التشخيص؟ أوضح: «معرفة تاريخ المرض، والمشكلة الحالية وحالة المريض الصحية ما قبل الإصابة، والكشف السريري والتحاليل المخبرية والأشعة المقطعية، كلها أمور ضرورية للتأكد من وجود المرض. نطلب من المريض الكتابة في كل زيارة ومن خلالها ندرس تدهور الحالة أو تحسنها.

العلاجات والتأهيل

ونصح دكتور يونس بضرورة الالتزام بالعلاجات لكونها تساعد على التخفيف من معاناة المرض ومنها:

العلاج الطبي: الذي يستلزم تعويض نقص الدوبامين بالأدوية ولها أعراض جانبية مثله مثل أي دواء آخر. والعلاج الدوائي الطبي مرحلة من مراحل العلاج.

العلاج الجراحي: بطريقة تحفيز منطقة إفراز الدوبامين بحيث تبدأ تعمل وتتنشط وتفرز من خلال أجهزة منبهة، ولكن هذا العلاج لا يناسب كل المرضى. وهناك علاج جديد يعمل بتوجيه أشعة الليزر لمنطقة الدماغ بدون جراحة ويقوم بفرز الدوبامين.

العلاج الطبيعي والتأهيل: وهو مهم وضروري لاستكمال العلاج ولتمرين الجسم على الحركة وتقوية العضلات وهو موافق للعلاج الدوائي حيث يهدف إلى استعادة الوظائف الحركية وجعل المريض أكثر استقلالية في حياته اليومية ويشمل على برنامج العلاج الوظيفي كتهيئة المنزل بأدوات وأجهزة تساعد المريض إلى حد ما على الوقوف أو الجلوس أو حتى الاستحمام، والمتابعة النفسية والاجتماعية عند الحاجة، والتمارين في البيت وفي مراكز التأهيل والنوادي الرياضية، والسباحة، الرقص، اليوغا، والمشي.

وحرص الدكتور يونس على التأكيد على أهمية العلاج النفسي وذلك من خلال متابعة المريض من قبل طبيب مختص خاصة في المراحل الأخيرة حيث تزيد المشاكل النفسية والكآبة خاصة عندما يصبح المريض غير قادر على خدمة نفسه ويشعر بالعجز.

ومن أهم النصائح التي يقترحها:

– ممارسة الرياضة والتمارين اليومية التي تبني عضلات وجسما قويا وتحافظ على قوام مستقيم وتخفف من معاناة الإصابة.

– الالتزام بتعاليم الطبيب في أخذ الدواء لأن كبار السن ينسون واهمال تناول الأدوية يفاقم الحالة.

– مساعدة كبير السن على الحركة في نطاق البيت أو الحديقة في صحبة آخرين شريطة ان لا يكون بمفرده.

– الحركة مهمة جدا ومن الخطأ الجلوس لفترات طويلة وهي ضرورة يوميا على الأقل لمدة عشر دقائق.

– مراعاة النظافة خاصة مع عدم التحكم في البول حتى لا نتسبب في مشاكل أخرى إضافية قد تنتج عن المرض.

أرقام

وتشير دراسات في بريطانيا ان من بين كل 100 شخص هناك شخص مصاب بالباركنسون وعدد المصابين يصل إلى 127 ألفا في بريطانيا وحدها، وهذا يكلف خزينة الحكومة حسب دراسة قام بها باحثون في كلية «امبيريال» التابعة لجامعة لندن ما يصل إلى 2 مليون جنيه استرليني سنويا.

وتقول الدراسة نفسها إنه كل ما كبر الإنسان في عمره كل ما كانت تكاليف علاجه أكبر.

وفي أمريكا يصاب 3 من كل 5 أشخاص بالأمراض العصبية كالباركنسون أو الخرف ويصل عدد المصابين هناك إلى مليون شخص، اما على مستوى العالم فيصل عدد المصابين إلى 5 ملايين شخص.

الفنانون ما بين العزلة وايقاع الشارع

مروان ياسين الدليمي

ما كان الفنانون في حالة قطيعة عن الحياة، بل كانوا في طليعة من يبتكرون صور الأمل في أشد الأوقات يأسا وخرابا التي قد تمر بها المجتمعات، ومن خيالاتهم وجنونهم الفني تستيقظ الأحلام الجميلة في النفوس المتعبة، ولو لم يكن الفن في سياقه التاريخي العام يقف إلى جانب الإنسان وقضاياه ومعبرا عنها بأجمل المعالجات الفنية التي تحمل قدرا عاليا من الحساسية الجمالية ما كان للحضارة المعاصرة أن تشهد هذا التطور الكبير في الوعي بأهمية ان يحظى الإنسان بمساحة رحبة من الحرية، تكفل له حق التفكير بصوت عالي من دون أن يتعرض إلى التخوين والتهديد والتسقيط والقنص.

رامي عصام

الفن يكسر المسلّمات

حياة الأفراد في المجتمعات المتمدنة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا تدين بالفضل إلى فنانيها أكبر مما تدين إلى أحزابها وسياسييها، ودائما ما كان الفن بكل ما يقدمه منتجوه بمختلف مستوياته الفنية وموضوعاته وأساليبه ومدارسه، يقدم تساؤلات ويفتح أبواب التفكير على مصراعيها ليأخذ الإنسان من حال السكون إلى الحركة.

الفنان بما ينجزه من مشاريع دائما ما يطرح خطابا جديدا يحمل في رسالته الجمالية مشروعا نقديا يفتح أبواب المستقبل أمام المتلقي، ولم يكن الفن في جوهره إعادة إنتاج للأجوبة ذاتها التي سبق ان توصل إليها الفنانون في أعمالهم السابقة، وهذا ما تعكسه على وجه الخصوص وما تفصح عنه جميع الأعمال الفنية التي تتمرد على ما هو سائد من أفكار ومعالجات بغض النظر عن محتواها أو مدى قدرتها على البقاء والصمود، فالأهمية هنا في دورها الذي تضطلع به لإحداث الصدمة في الوعي الجمعي وتفتيت ما تكدس فيه وعليه من مسلمات أمست بمثابة يقينيات مقدسة، هنا يؤكد الفنان تفاعله مع الزمن ومواجهته بكسر ايقاعه والأخذ به إلى ايقاع جديد يحمل في بنيته قيما وأفكارا وذائقة تنهض جميعها على أنقاض الزمن المهزوم.

الفن يهزم السياسة

أن روح العصر تكشف عن هويتها من خلال ما ينتجه الفنانون من أعمال، ومن نتاجهم يتأسس كيان حي للمجتمع، يعبر عن حضوره وملامحه في المستويات البنيوية للأعمال الفنية، وتعجز الأنظمة السياسية بكل ما تعبر عنه مؤسساتها السلطوية بأجهزتها الأمنية والعسكرية والقمعية من أن تحدث تحولا جوهريا في المزاج العام للمجتمعات على المدى البعيد، ويبقى تأثيرها محدودا ضمن اشتراط عمرها الافتراضي في الوجود المادي لا أكثر. إلا ان عمل الفنان بما يتضمنه من علاقات داخلية غير مباشرة في تفاعلها مع المتلقي داخليا ومن ثم متغيرات تشير إلى القوة الثورية التي تتجسد في شخصية الفنان من دون غيره، ومن الصعب ان ينافسه عليها حتى اولئك القادة والزعماء الذين عرفهم التاريخ، لان عمل الفنان لا ينحصر في دائرة الزمن بل يتعداها، ويبقى يتسع ويوسع الحدود التي شهدت ولادته، متجاوزا إطار الحدث التاريخي في أبعاده النسبية إلى ما هو مطلق من حيث قدرته على إحداث التأثير الجمالي كلما توقفنا أمامه.

في الأيام القليلة الماضية تصاعدت وتيرة الأصوات المستهجنة لموقف غالبية الفنانين العراقيين خاصة الذين يعيشون في الداخل بعد ان أثروا التزام السكوت وانزووا بعيدا عما يجري في الشارع من حراك شعبي بدأ مع الأول من تشرين الثاني (اكتوبر) 2019 حيث تعالت أصوات المتظاهرين منددة بالنظام الطائفي الذي يحكم العراق، من هنا اشتدت حدة الانتقادات ضد الفنانين العراقيين وارتفعت نبرتها بعد أن قارن المنتقدون بين هذا الموقف السلبي وموقف عدد كبير من نجوم الفن المشهورين في لبنان كان من بينهم مطربون وممثلون، عندما تضامنوا مع المتظاهرين في بيروت وبقية المدن اللبنانية، ولم يتوقف موقفهم عند هذا الحد بل اندمجوا مع المتظاهرين في الشوارع وارتفعت حناجرهم تردد الشعارات والأغاني الوطنية. والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا: لماذا جاء موقف الفنانين في العراق على هذه الصورة التي أقل ما يقال عنها بأنها مخجلة؟

كايروكي

سحر العمل الفني

يبدو أن ثقافة الكثير ممن يحسبون على فئة الفنانين في العراق فقيرة جدا إلى الحد الذي لن تسعفهم في استيعاب أي قضية خارج ما يمتلكونه من مساحة معرفية محدودة لا تتعدى اختصاصهم الفني فقط. مثل هذه التركيبة من الشخصية عندما تكون بهذا القدر الضيق في فهم طبيعة الفن وعلاقته بالحياة لابد أن تتساق في عملها وموقفها العام بمسار لا يخرج عن إطار الارتزاق في المحصلة النهائية، ويصبح الفن لديها وسيلة للعيش لا أكثر، ولن يخطر على بالها أن الفنان في حضوره ودوره الفني يتجاوز مسألة المتعة الآنية التي يحققها عمله لدى المتلقي، بل يرتقي في مديات وحدود هذا التأثير إلى أبعاد جمالية تنعكس على المدى البعيد في إحداث تغيير وتنوير في وعي الجمهور، وهذا ما يدفع المتلقي إلى أن يطرح على نفسه أسئلة ربما لن تخطر على باله طيلة حياته لولا السحر الكامن في قوة تأثير العمل الفني على عقله ووجدانه.

لن نأتي بجديد إذا ما قلبنا صفحات التاريخ الإنساني مرة أخرى لنستعرض المسار المشرق للفنون في مقابل عتمة ما خلفه الساسة والزعماء والسلاطين والقادة، ولن يقتصر ذلك على القارة الأوروبية وحدها، بل يتعداها إلى أماكن أخرى كثيرة من العالم، حيث يتجلى عظمة هذا الدور الذي لعبه الفنانون والإرث الزاخر الذي قدموه للحضارة الإنسانية، في المسرح والسينما والفنون التشكيلية وبقية الفنون الإبداعية. فهل تغيب عن ذاكرة الثقافة العالمية أسماء مثل: مايكل انجلو، ايزنشتاين، بيكاسو، ستانسلافسكي، بيرتولد بريخت، هنري مور، ايليا كازان، أيديث بياف، الفيس برسلي، بيكاسو، مارلون براندو، شارلي شابلن، بوب ديلان، وكثيرون غيرهم لا يسعفنا المجال لذكرهم؟ كل اسم منهم كان له من التاثير في شغفنا بالحياة وتعلقنا بالحرية، وساهم بسحر أعماله وحضوره الشخصي المؤثر بأفكاره وقناعاته الذاتية في ان تتسع حدقاتنا لنتحسس الجمال المخفي وراء الأشياء المهملة في حياتنا، ولن تعود أيامنا متشابهة ومكررة إذا ما تأملنا آثارهم الفنية واستمتعنا بها.

بضاعة كاسدة

لم أكن متورطا في المبالغة بالسياق الذي ذهبت اليه وأنا أحاول أن أرصد ضيق المسافة التي حشر فيها الفنان العراقي نفسه، عندما اختار الركون في زاوية بعيدة عن إيقاع ونبض الحياة في شوارع وساحات بغداد والمدن العراقية فقدم لنا بضاعة كاسدة لا تصلح للتداول، في وقتٍ يصعب فيه فك الاشتباك بين ما هو فرديٍ وجمعي في لحظة اشكالية تتداخل فيها في آن واحد امنيات وأحلام الناس، شيوخا ونساء وأطفالا، وكلها تتجسد في الاشعاع الذي ينبعث من جموع المتظاهرين الشباب.

كان من السهل أن نشير بجملٍ مباشرة إلى الخلل في موقف الفنان العراقي بعد ان فضحه موقف الفنان في لبنان. لكننا أردنا بما ذهبنا إليه من استدعاء لقافلة طويلة من الأسماء تحتفي بها ذاكرة الثقافة العالمية، أن نساهم في خلق مناخ فني جديد، لعله يكون مقدمة للاحتفاء بنموذج آخر للفنان العراقي، باعتباره نموذجا للتواصل الإنساني مع الآخرين، خاصة حينما تشتد العتمة عليهم فيحتاجون اليه ليضيء لهم الطريق بغنه، محطما بذلك تقوقعه الفخّاري الهش.

كلنا أمل في ان يستقي الفنان قيمته ورمزيته وتأثيره من كلية الحضور الذي يطل من خلاله على جمهوره الذي ينتمي إليه ويتفاعل معه.

أسبقية الفنان المصري

موقف الفنانين اللبنانيين من الحراك الشعبي الذي شهدته المدن اللبنانية خلال الأيام القليلة الماضية مثل نادين نسيب نجيم ونادين الراسي، أكد مرة أخرى على الترابط الوثيق ما بين فنهم وبين ارهاصات وهواجس الناس وهي تتجلى في الشوارع والميادين على شكل أغاني وأشعار ولوحات فنية احتجاجا ورفضا لكل ما يرتبط ببنية النظام السياسي الطائفي الذي تم استنساخه في العراق بعد العام 2003 وما ترشح عنه من كراهية وفساد وعنف وعنصرية وحروب أجتاحت البلاد من الشمال إلى الجنوب فأحرقت ذاكرة جميلة من الفطرة والتعايش بين العراقيين، بعد أن كانت شريان بقائهم واستمرارهم بهذا التنوع مذ وجدوا على هذه الأرض.

الفنانون المصريون كانت لهم الأسبقية في تأكيد العلاقة الجدلية بين الفن والحياة في مواقف كثيرة مر بها المجتمع والدولة المصرية

نادين نسيب نجيم

نادين الراسي

حازم شاهين

الحديثة بدءا من سيد درويش مرورا بالشيخ امام وتجربته المشتركة مع الشاعر أحمد فؤاد نجم وانتهاء بفرق الفنانين الشباب الذين واكبوا ثورة كانون الثاني (يناير) 2011 أمثال: حمزة نمرة وكايروكي وياسر المناهيلي وحازم شاهين ورامي عصام وعمرو واكد وخالد ابو النجا وخالد الصاوي وغيرهم كثيرون استدعوا الذاكرة التنويرية للفن في سياقها التاريخي وأوقدوها في ميدان التحرير أياما وليالي، فكتبوا بذلك أجمل صفحة في تاريخ هذه الثورة.

نضع أكثر من علامة استفهام ازاء قائمة طويلة من الفنانين في كافة الحقول الفنية كنا نحتفظ باسمائهم في ذاكرتنا لأنهم اختاروا الانحياز إلى أحلام البسطاء والمقهورين والمهمشين، في مقدمتهم مطربون ظلت أغانيهم تضج بالعواطف والشجن الذاتي مع أنها كانت تتحرك بذكاء في منطقة من التأويل والتوظيف الوطني الذي لا يغيب عن فطنة المتلقي البسيط، وحتى هؤلاء اختفوا عن المشهد العام، وكأن بوصلتهم قد انحرفت بعيدا عن الناس التي صنعت مجدهم، وذهبت بهم إلى أحضان السلطة ليتدفأوا بما أنعمت به عليهم من امتيازات افقدتهم بالتالي إنسانيتهم وفنهم وبريقهم.

ما زلنا نتوسم ان يسري تيار الوعي ليوقظ علامات فنية لربما تشكل بحضورها الفني مستوى من التفرد والنضج يتوازى مع موقف الشباب المتظاهر.

مهرجان القاهرة السينمائي يعرض 120 فيلما لأول مرة

القاهرة – «القدس العربي»:
فايزة هنداوي

أسابيع قليلة تفصلنا عن مهرجان القاهرة السينمائي، الذي سيفتتح، يوم عشرين تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، برئاسة المنتج والسيناريست محمد حفظي، الذي نجح في إضفاء روح الشباب على المهرجان واستطاع هو وفريقه، تطويره خلال العام الماضي، ويستمر هذا التطوير خلال هذه الدورة، التي بدأت مفاجآتها بالإعلان عن فيلم الافتتاح «الأيرلندي The Irishman» للمخرج الشهير مارتن سكورسيزي، الفيلم من إنتاج شبكة «نتفليكس» وأحداثه مستوحاة من كتاب تشارلز براندت «سمعت أنك ترسم الخيول» ويشارك في بطولته ثلاثة نجوم حاصلين على الأوسكار، هم آل باتشينو، وجو بيشي، وثالثهم روبرت دي نيرو الذي يشهد الفيلم تاسع تعاون له مع المخرج مارتن سكورسيزي.

وترصد أحداث الفيلم صعود عصابات الجريمة المنظمة في الولايات المتحدة خلال الفترة التالية للحرب العالمية الثانية، من خلال أحد أكثر الجرائم غموضًا في التاريخ الأمريكي المعاصر، وهي اختفاء الزعيم النقابي الأسطوري جيمي هوفا.

ولأول مرة في تاريخ المهرجان، تنفرد الدورة 41 بعرض ما يزيد عن 30 فيلما ما بين طويل وقصير في عروضها العالمية الأولى، بالإضافة لأكثر من 90 فيلمًا نال المهرجان حقوق عرضها الأول في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، ليصل مجموع الأفلام التي تعرض لأول مرة في الشرق الأوسط، إلى 120 فيلما، وهو عدد كبير بالمقارنة بجميع المهرجانات التي تقام في هذه المنطقة. وكشفت إدارة المهرجان عن توزيع الأفلام التي سيتم عرضها الأول بنسب متفاوتة على أقسام ومسابقات المهرجان المختلفة، حيث تنفرد المسابقة الدولية، بثلاثة أفلام في عرضها العالمي الأول هي «زافيرا» من رومانيا، إخراج أندري غروزنيتسكي، وفيلم «الحدود» من كولومبيا، إخراج ديفيد ديفيد، وفيلم «بين السماء والأرض» إنتاج فلسطيني أردني، إخراج نجوى نجار، كما يُعرض في المسابقة فيلمان في عرضهما الدولي الأول هما «الرجل الودود» من البرازيل، إخراج إيبري كارفالو، وفيلم «الحائط الرابع» من الصين، إخراج جانغ تشونغ وجانغ بو.

وفيما تشهد مسابقة أسبوع النقاد العرض الدولي الأول للفيلم التونسي «قبل ما يفوت الفوت» إخراج مجدي لخضر، ينفرد قسم البانوراما الدولية، بـ 5 أفلام في عرضها العالمي الأول، هي؛ «جذور» إنتاج مكسيكي ألماني مشترك، إخراج أوزان ميرميرو، وفيلم «جازمان» من ألمانيا، إخراج آمي كورني، وفيلم «موش» من جمهورية الدومينيكان، إخراج خوان أنطونيو بيسونو، وفيلم «بورسلين» من إنتاج هولندي إيطالي بلجيكي، إخراج ينيكي بويجنيك، وفيلم «فتح أبواب السينما: محمد ملص» إنتاج لبناني إماراتي، إخراج نزار عنداري.

كما تشارك في «البانوراما الدولية» أيضا خمسة أفلام في عرضها الدولي الأول، منها فيلمان من الأرجنتين، هما «المنافقون» إخراج كارلوس أجناسيو تريوني، وفيلم «شكل الساعات» إخراج باولا دي لوك، بالإضافة إلى الفيلم الروسي «القلم» من إخراج ناتاليا نازاروفا، والفيلم الألماني «موزارت يعاد تدويره» إخراج فيكتوريا بيكزمان وبريتا شوينغ، ومن المملكة المتحدة يشارك فيلم «نحن بين الصخور» إخراج ديكتايانا هوود.

وفي مسابقة «سينما الغد» للأفلام القصيرة يشارك فيلمان في عرضهما العالمي الأول هما المصري «أمين» للمخرج أحمد أبو الفضل، وفيلم «هنا ليس هناك» من سنغافورة، إخراج نيلسون ييو، بالإضافة إلى 5 أفلام في عرضها الدولي الأول، هي؛ «نغمة صامتة في الظهيرة» من البرازيل، إخراج كارلوس أدريانو، وفيلم «أبي الميت: كوميديا» من الأرجنتين، إخراج روبرت بورتا، وفيلم «المنبوذ» من التشيك، إخراج سيمون كوديلا، وفيلم «عواصف الحياة البرية» من إسبانيا، إخراج جورج كانتوس، وفيلم «بيت بعيد بعيد» من بلغاريا، إخراج ديميتار كومانوف.

أكبر مشاركة عربية

وقررت إدارة المهرجان التوسع في المسابقة العربية، التي يديرها الناقد السينمائي أحمد شوقي، القائم بأعمال المدير الفني للمهرجان، حيث ستضم المسابقة 12 فيلما، بدلا من ثمانية، كما كان في العامين الماضيين، على أن يتم افتتاح المسابقة بواحد من أهم الأفلام العربية الحديثة وهو «بيك نعيش» لمهدي برصاوي. وأكد شوقي، إن الدورة الحادية والأربعين ستشهد أكبر مشاركة عربية في أي مهرجان في المنطقة على الإطلاق منذ توقف مهرجان دبي.

كما تنفرد مسابقة آفاق السينما العربية، بأربعة أفلام في عرضها العالمي الأول، هي «من أجل القضية» للمخرج المغربي حسن بن جلون، وفيلم «نساء الجناح ج» لمواطنه محمد نظيف، وفيلم «بيروت المحطة الأخيرة» من لبنان، إخراج إيلي كمال، و«على العارضة» من تونس، إخراج سامي تليلي.

وتشارك المخرجة الفلسطينية نجوى نجار في المهرجان بفيلمها الجديد «بين السماء والأرض».

وتشهد هذه الدورة أيضا تكريم المخرج العالمي تيري جيليام، وهو واحد من أعظم الفنانين الأحياء، وسينظم له المهرجان ماستر كلاس، يتحدث فيه عن تجربته ويتحاور مع السينمائيين والمهتمين من ضيوف المهرجان.

وتستمر الأقسام الثلاثة التي استحدثت في العام الماضي، وهي (الواقع الافتراضي، عروض منتصف الليل، الجالا) والأخيرة زاد عددها بزيادة عدد عروض السجادة الحمراء في كل ليلة من ليالي المهرجان لعرضين بدلا من عرض واحد.

«القاهرة السينمائي» هو المهرجان العربي الوحيد الذي أعلن الانضمام لمبادرة 5050 في 2020 العالمية للمهرجانات، والمهتمة بالشفافية في نسب تمثيل المرأة في فريق البرمجة واختيارات المهرجان، وهي المبادرة التي انضمت لها كل مهرجانات الصف الأول في العالم، حيث يلتزم المهرجان بالشفافية في الإعلان عن أرقام النساء المشاركات فيه بدون أي تدخل أو أي كوتا يجب على المهرجان تحقيقها.

أما ملتقي القاهرة السينمائي، فيشارك فيه 16 مشروعا من 8 دول عربية، تنوعت بين الروائي والوثائقي، في مرحلتي التطوير وما بعد الإنتاج، وكشف «الملتقى» عن لجنة تحكيم هذه النسخة، التي تضم في عضويتها، السيناريست المصرية مريم نعوم، وإيدا مارتينز المؤسسة والمدير العام لشركة NewFilms MediaLuna والمنتج جورج ديفيد مستشار المشاريع السينمائية والتلفزيونية.

في مرحلة ما بعد الانتاج، يشارك في «الملتقى» هذا العام 3 مشاريع روائية، منها اثنان من مصر هما؛ «عنها» للمخرج إسلام العزازي، و«قابل للكسر» للمخرج أحمد رشوان، والثالث عراقي إيطالي هو «أوروبا» للمخرج حيدر رشيد.

تيري جيليام

في منطقة الشرق الأوسط ويحتفي بالسينما العربية

فيلم «بين السماء والأرض»

كما يشارك 6 مشاريع روائية في مرحلة التطوير، منها ثلاثة مصرية هي «الأرض المعلقة» للمخرجة نادين صليب، و«أنا وليلى» للمخرجة ماجي مرجان، و«سكن للمغتربات» للمخرج ناجي إسماعيل، ومشروعان من لبنان هما؛ «شميم» للمخرج كريم رحباني، و«ورشة» للمخرج نديم تابت، فيما جاء المشروع السادس بعنوان «المحطة» وهو يمني أردني، للمخرجة سارة إسحق.

أما المشاريع الوثائقية، فيشارك 4 منها في «الملتقى» بمرحلة ما بعد الإنتاج، هي «نحن من هناك» من لبنان للمخرج وسام طانيوس، و«لاجيء في الجنة» فلسطيني ألماني للمخرج خالد جرار، و«المدسطنسي» تونسي فرنسي، للمخرج حمزة عوني، و«بيت هناك... سينما هنا» مصري سوري للمخرج نضال الدبس.

ويشارك أيضا 3 مشاريع وثائقية في مرحلة التطوير، هي «مفيش راجل بيعيط» من مصر للمخرج محمد مصطفى، و«عمر الشريف» مصري ألماني للمخرج مارك لطفي والمخرج السويدي أكسيل بيترسون، والمشروع الثالث هو «على خطى جميلة في ظلال الأرز» من لبنان للمخرجة فاطمة راتشا شحادة.

شاشة لمؤشرات لمستقبل

وقال محمد حفظي إن «ملتقى القاهرة السينمائي منذ انطلاقه في 2010 وعلى مدى دوراته، أصبح بمثابة شاشة تعطي مؤشرات لمستقبل السينما العربية في السنوات التالية، وفي كل دورة نشهد مجموعة من أفضل المشروعات السينمائية وهي في طريقها للتحقيق» موضحا في الوقت نفسه، أن ملتقى القاهرة السينمائي، عام 2016 شارك فيه الفيلم التونسي «بيك نعيش» للمخرج مهدي برصاوي، الفائز مؤخرًا بجائزتي أفضل فيلم وممثل في مسابقة أوروزونتي في مهرجان فينيسيا، وهو هذا العام يفتتح مسابقة آفاق السينما العربية، كذلك الفيلم اللبناني «بيروت المحطة الأخيرة» للمخرج إيلي كمال، الذي يُعرض عالميًا لأول مرة في مسابقة آفاق السينما العربية في الدورة 41 أيضا شارك في الملتقى عام 2016 أما الفيلم التونسي «قبل ما يفوت الفوت» للمخرج مجدي لخضر الذي شارك في الملتقى عام 2018، فيعود هذا العام ليتنافس في مسابقة أسبوع النقاد في عرض دولي أول. ويعرض في قسم البانوراما 50 من أهم أفلام العام، كما استحدثت إدارة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، في دورته الأربعين، التي ستبدأ في العشرين من تشرين الثاني/نوفمبر برنامجا جديدا بعنوان «بانوراما خاصة: مواهب سينمائية» حيث يتم من خلاله عرض تاريخ خمسة سينمائيين عرب وعالميين، منهم المخرج السوري محمد ملص، الذي شارك في عدة دورات سابقة لمهرجان القاهرة، حيث يعرض المهرجان فيلما يتناول تاريخه السينمائي من إنتاج لبناني إماراتي بعنوان «فتح أبواب السينما: محمد ملص» إخراج نزار عنداري.

الفيلم الثاني برازيلي بعنوان «بابينكو: أخبرني عندما أموت» الفائز بجائزة أحسن فيلم تسجيلي عن السينما في مهرجان البندقية، وهو من إخراج بربرا باز، وتدور أحداثه حول المخرج الراحل هيكتور بابينكو.

الفيلم الثالث شارك في قسم الكلاسيكيات بالدورة الأخيرة لمهرجان كان، وهو إنتاج فرنسي إيطالي مشترك، بعنوان «شغف آنّا مانياني» من إخراج إنريكو شيراسيولو، ويتناول قصة الممثلة آنا مانياني أيقونة سينما الواقعية الجديدة في إيطاليا.

الفيلم الرابع أيضا شارك في قسم الكلاسيكيات بمهرجان كان، وهو «فورمان ضد فورمان» من التشيك، إخراج هيلينا تريشتيكوفا، جاكوب هيغنا، ويتناول سيرة المخرج العالمي ميلوش فورمان.

أما الفيلم الخامس فهو «بونويل في متاهة السلاحف» من إنتاج إسباني هولندي ألماني مشترك للمخرج سلفادور سيمو، يتناول مرحلة من حياة المخرج الإسباني الشهير لوي بونويل، وقد شارك هذا الفيلم في مهرجان «أنسي» أكبر مهرجان متخصص في عالم سينما التحريك.

محمد ملص

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة الموج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9707 الأحد 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 28 صفر 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9707 Sunday 27 October 2019

السنغال: حضرة صوفية عمرها أكثر من قرن

على مدى أكثر من قرن، ومسجد الحاج مالك سي، في العاصمة السنغالية دكار، ترتفع داخله أصوات الذاكرين كل يوم جمعة من الصباح حتى المساء.

بدأ هذا التقليد عام 1902 على يد المتصوف السنغالي الشهير الحاج مالك سي (1855 ـ 1922) الذي واصل إقامة حضرات الجمعة في المسجد الذي أسسه وسمي باسمه، رغم المضايقات التي كان يتعرض لها خلال حكم الاستعمار الفرنسي.

تعد السنغال إحدى دول غرب افريقيا المطلة على المحيط الأطلسي، ويقدر عدد سكانها بنحو 13.7 مليون نسمة، يشكل المسلمون 95 في المئة منهم.

يهتم المسلمون في السنغال بالطرق الصوفية، ويقبل أغلبهم على المشاركة في الحضرات وحلقات التصوف، رجالا ونساء شيبا وشبابا، ويتدفقون مساء كل جمعة إلى مسجد الحاج مالك سي لهذا الغرض.

يتلو الشعب السنغالي الأذكار بطريقة متناغمة وترانيم خاصة، فيما ترتفع أصوات الذكر في منطقة المسجد، لتضفي عليها أجواء مفعمة بالروحانية.

تبدأ طقوس الحضرة، التي أصبحت بمثابة مهرجان ديني وثقافي، بترديد الصلوات والأدعية والأذكار، من قبل المشاركين الذين يشكلون حلقة حولها حجاب أبيض طويل، لقراءة الأذكار.

بعد ذلك، يبدأ الجميع بترديد الشهادة «لا إله إلا الله» و«الله أكبر» بأسلوب متميز وفريد لفترة طويلة، وبصوت واحد يرمز إلى وحدة الصف والتعاضد.

تتوقف ألسنة السنغاليين اللاهجة بالذكر في الحضرات، عند اقتراب موعد أذان العشاء، وبعد أداء الصلاة، يباشر المشاركون الاستغفار، والأدعية، قبل أن يتفرقوا إلى منازلهم وقلوبهم عامرة بالخشوع وذكر الله.

ويشارك آلاف الأشخاص من مناطق وطبقات اجتماعية مختلفة في هذه الرحلة الروحانية، التي تساوي بين الغني والفقير.

ويقف المشاركون في الحضرة جنبا إلى جنب، جميعهم على قدم المساواة، تاركين اختلافاتهم الاجتماعية والمادية في الخارج، متمسكين بتقاليد الحضرة التي لهجت ألسنة المؤمنين بها منذ قرون.

وتعد الحضرة في السنغال رمزا لتعزيز التآلف وشد وثاق الإيمان والمشاعر الروحية، حيث تقام في أيام مختلفة ضمن المساجد الصغيرة المنتشرة في البلاد.

ورغم اهتمام السنغاليين بالمشاركة في الحضرات بمختلف الأزمنة والأمكنة، إلا أنهم يحرصون على حضور تلك المقامة أيام الجمعة بمسجد الحاج مالك سي في دكار.

ويعتقد السنغاليون أن المشاركة في حضرات أيام الجمعة بمسجد الحاج مالك سي، تمنح المؤمنين مشاعر جياشة وشعورا مختلفا بالطمأنينة والراحة.

ورغم الضغوط التي تعرضوا لها خلال سنوات الاستعمار الفرنسي، واصل السنغاليون إقامة الحضرات، ولم تستطع القوات المستعمرة آنذاك، فك ارتباط المسلمين في السنغال بتقاليدهم الصوفية.

وقال عبد الرحمن جوي، إنه يواظب على المشاركة في الحضرات المقامة أيام الجمعة بمسجد الحاج مالك سي، منذ كان طفلا.

وأضاف جوي، أن المشاركة في الحضرة تقرب العبد من خالقه، وهو ما سعى الشعب السنغالي إلى التمسك به خلال الحقبة الاستعمارية.

وأشار أن قوات الاستعمار الفرنسي وضعت نصب عينيها محاربة الطرق الصوفية في البلاد، ما جعل تقاليدها تحظى باهتمام الشعب، لتتحول إلى رمز للنضال من أجل استقلال السنغال.

وشدد على أن التقاليد الصوفية تشغل مكانة مميزة في المجتمع السنغالي، لذلك يسعى مجتمعنا إلى الحفاظ عليها والتمسك بها.

وأوضح أن الحضرة تعني الاقتراب من الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتغرس في النفس روح الطمأنينة والسلام، ومخافة الله تعالى وحده.

وأشار أن الحجاب «الغطاء» الأبيض المستخدم في الحضرة، يرمز إلى التركيز في ذكر الله، والتفكر بملكوته، ورؤية قدرة الخالق وحب نبيه محمد.

يشار أن أغلب السنغاليين يتبعون الطرق الصوفية التي تلعب دورا مهما في إشاعة أجواء السلام والهدوء في البلاد. (الأناضول)

أوبرا عايدة تعيد صور حياة قدماء المصريين إلى أجواء الأقصر

تستعد مدينة الأقصر المصرية لبدء عروض أوبرا عايدة بساحة معبد الملكة حتشبسوت في البر الغربي بالمدينة، وتعيد هذه العروض للمصريين الكثير من صور الحياة التي عاشها أجدادهم القدماء، ومن بينها ممارسة قدماء المصريين الفنون بشتى صورها، من رسم ونحت وغناء ورقص وتمثيل.

وانطلقت أولى العروض الرسمية لأوبرا عايدة السبت، فيما يقام العرض الرسمي الثاني، يوم غد الإثنين، بعد غياب عروض عايدة عن معبد الملكة حتشبسوت طوال الـ 22 عاما الماضية.

ويقدم عروض أوبرا عايدة في معبد الملكة حتشبسوت 140 من المغنيين والعازفين القادمين من الأوركسترا السيمفونية والكورال الوطني الأوكراني، بقيادة المايسترو الأوكرانية أوكسانا لينيف، ويخرج العروض المخرج الألماني مايكل شتورم.

ويقول الآثاريون والباحثون بعلوم المصريات إن المصريين القدماء عرفوا ما يشبه العروض الأوبرالية قبيل آلاف السنين، والكثير من فنون الترفيه، ولم تكن حياتهم كدا وتعبا، كما يعتقد الكثيرون، إذ تعددت لديهم طرق وألوان التسلية ووسائل الترفيه، وهو ما تسجله مقابر النبلاء والنبيلات في جبانة طيبة غربي مدينة الأقصر.

وقال محمد عباس سلامة، المدير العام لمركز الأقصر للتراث، إن قدماء المصريين عرفوا الكثير من المظاهر التي تشهدها العروض الأوبرالية اليوم، ومن بينها الأناشيد والموسيقى والرقص، ومشاركة الرجال والنساء في الرقص والإنشاد والغناء في حفلات جماعية.

وحسب سلامة، كانت الموسيقى فنا مقدسا في المعابد المصرية القديمة، حيث كان قدماء المصريين ينشدون الأناشيد الدينية للآلهة بمصاحبة القيثارات، وآلات الهارب.

وعرف قدماء المصريين ما يُسمى بـ«رقص المحاكاة» كمحاكاة حركات الحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية، وعرفوا أيضا ما يُعرف بـ« الرقص التمثيلي» وكانوا يقومون من خلاله بتمثيل الحوادث التاريخية، وقصص الحياة ومظاهرها.

وحسب اللجنة المنظمة لعروض أوبرا عايدة، كتب علماء الحملة الفرنسية، على سبيل المثال، في موسوعتهم «وصف مصر» أن المصريين القدماء كانت لديهم فكرة سامية عن الفنون، وأنهم كانوا ينسبون ازدهار حضارتهم إلى «الآثار البهيجة للموسيقى» وأن المعبودة إيزيس كانت تُصوَر وهي تجلس بين الموسيقيين، فيما صورَ المعبود حورس كرئيس لربات الفنون. وتشير هذه الصور إلى تقديس قدماء المصريين للموسيقى والفنون، وإلى أن الحقيقة والجمال والحيوية ودقة التعبير وعذوبته كانت تشكل الموضوع الأساسي للموسيقى في مصر القديمة، وأن عودة عروض أوبرا عايدة لساحة معبد الملكة حتشبسوت مجددا هو محاولة لإحياء صور تلك الفنون التي عرفتها مصر القديمة قبيل آلاف السنين. (د ب أ)